الرسائل الجامعية (١)

جهود الشيخ
عبد الرحمن بن قاسم
- رحمه الله -

العلمية والدعوية

إعداد

عبد الرحمن بن عبد الله الطريف

دار القاسم

الرسائل الجامعية (١)

جهود
الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله
العلمية والدعوية

إعداد
عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن الطريف

دار القاسم
للنشر والتوزيع
الرياض: ١١٤٤٢ ـ ص.ب.: ٦٣٧٣
هاتف: ٤٠٩٢٠٠٠ ـ فاكس: ٤٠٣٣١٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

© دار القاسم للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الطريف، عبد الرحمن عبد الله عبد الرحمن
جهود الشيخ عبد الرحمن بن قاسم العلمية والدعوية./ عبد الرحمن
عبد الله عبد الرحمن الطريف./ الرياض، ١٤٣٢هـ
٣٣٦ ص ؛ ... سم
ردمك: ٠ - ٥٥٠ - ٥٣ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨
١ - ابن قاسم، عبد الرحمن بن محمد، ١٣١٩ - ١٣٤٢ أ - العنوان
ديوي ٩٢٢,٥٨٤ ١٤٣٢/٤٥٤٥

رقم الإيداع: ٤٥٤٥/ ١٤٣٢
ردمك: ٠ - ٥٥٠ - ٥٣ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الصف والمراجعة والإخراج بدار القاسم

دار القاسم للنشر والتوزيع

المكتب الرئيس: هاتف: ٤٠٩٢٠٠٠ - فاكس: ٤٠٣٣١٥٠

فروع دار القاسم للنشر

جدة: هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ - فاكس: ٦٣٣٣١٩١
الدمام: هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ - فاكس: ٨٤١٣٠١١
بريدة: هاتف: ٣٢٦٢٨٨٨ - فاكس: ٣٦٩٢٨٨٨
خميس مشيط: هاتف: ٢٢٢٢٢٦١ - فاكس: ٢٢٢٣٠٥٠
السويدي: هاتف: ٤٢٤٣٥٥٥ - فاكس: ٢٦٧٦٧٠٩

www.dar-alqassem.com
sales@dar-alqassem.com

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل الكتاب رسالة
ماجستير تقدم بها
الباحث للجامعة
الإسلامية بالمدينة المنورة
وحازت على تقدير امتياز
مع مرتبة الشرف الأولى.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصبحه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى من أعظم الأعمال، ووظيفة جليلة من أجل الوظائف، تتابع أنبياء الله ورسله الكرام عليهم الصلاة والسلام على القيام بها، والتشرف بتبليغها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

ثم تتابع بالتشرف في حمل الدعوة وتبليغها من وفقه الله سبحانه وتعالى من أتباع الأنبياء والمرسلين كما قال ﷺ: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره**»(١).

ويأتي في مقدمة هؤلاء الأتباع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ومن بعدهم من التابعين، ثم تتابع علماء الأمة وسلفها الصالح رحمهم الله في حمل لواء الدعوة متبعين أمر العزيز الحكيم ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ثم قام أفراد الأمة المتّبعون لهدي الرسول الكريم ﷺ بتبليغ هذه الدعوة ونشرها بمختلف الوسائل و الأساليب الدعوية المشروعة.

ثم تتابعت أجيال إثر أجيال.. إلى أن أتى عصرنا.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان (٢/ ٢١٥).

ومن أبرز من يقوم بالدعوة إلى الله بوسائلها وأساليبها المختلفة في هذا الزمان العلماء الربانيون ومنهم الشيخ الإمام العالم العلامة العامل المحقق المدقق المجتهد عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي نسبة إلى عاصم وهو جد القبيلة المشهورة بنجد من قبائل قحطان.

وكان - رحمه الله - حسن الخط سريع الكتابة فنسخ بيده شيئاً كثيراً ورزقه الله الصبر والقوة فأكب على المطالعة والبحث والاستفادة والتنقيب عن أفراد المسائل وأماكن الأدلة حتى نال ما تمناه، ثم حرص على العمل والتطبيق فانطبعت في أخلاقه آثار تلك الفوائد فلا يخلو حديثه من فائدة دينية أو مسألة فقهية أو استشهاد بآية أو حديث.

وكان - رحمه الله - غيورًا على حرمات الله آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر يصدع بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم ثم هو مع ذلك حسن السمت دمث الأخلاق دائم البشر، كريم النفس وكان متواضعًا لربه متواضعاً لخلقه لا يستنكف ولا يرفع نفسه عن إجابة الصغير والكبير ومحادثة الغني والفقير مع ما رزقه الله من الهيبة والاحترام في قلوب الخاصة والعامة.

وقد نفع الله بعلومه وبارك في أوقاته **فصنف عدة كتب في مختلف الفنون:**

فمنها في الحديث:

١ - (أصول الأحكام) مختصر قيم انتقى فيه الأدلة الواضحة الصحيحة بإيجاز.

٢ - (الأحكام شرح أصول الأحكام) وقد طبع منه ثلاثة أجزاء في حياته - رحمه الله - ثم طبع الجزء الرابع الأخير بعد وفاته.

ومنها في الفقه:

٣- حاشية على كتاب الروض المربع شرح زاد المستقنع وتقع في عدة مجلدات.

٤- حاشية على نظم الرحبية في علم الفرائض تكرر طبعها.

٥- نبذة مفيدة في تحريم حلق اللحى وقد طبعت مراراً.

٦- وظائف رمضان نبذة لخصها من لطائف المعارف.

ومنها في علوم القرآن:

٧- مقدمة في أصول التفسير مفيدة في بابها.

٨- حاشية مقدمة التفسير. وهي شرح للنبذة المذكورة وقد نشرت في حياة المؤلف.

ومنها في النحو:

٩- حاشية على متن الآجرومية طبعت ونشرت وانتفع الناس بها.

ومنها في التوحيد:

١٠- السيف المسلول في الرد على عابد الرسول طبع قديماً وحديثًا وانتشر.

١١- حاشية ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عبد الوهاب تكرر طبعها في حياة المؤلف وبعد وفاته.

١٢- حاشية (كتاب التوحيد) طبعت قديماً وحديثاً وهي من أنفس ما كُتب على هذا الكتاب.

١٣- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ترتيب رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى زمن المؤلف وقد بذل جهدًا في استقصائها وتتبعها في مختلف البلاد وصبر على ما لقي من صعوبات ونفقات وأخطار وسهر وتعب في البحث والنسخ والمقابلة والتصحيح ثم قسمها فنوناً ورتبها على الكتب والأبواب فجاءت مجموعة ضخمة بلغت ستة عشر جزءاً مختلفة الأحجام. وكان له في هذا العمل الكبير منهج علمي دقيق.

١٤- تراجم أصحاب تلك الرسائل والأجوبة، ذيل به الدرر السنية في جزء

مستقل هو الجزء الثاني عشر، وقد أحسن في الثناء على أولئك المشايخ بما هم أهله.

١٥- ترتيب مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عثر على بعضها أثناء جمعه لرسائل علماء نجد فواصل البحث في المكاتب القريبة والبعيدة بمساعدة ابنه محمد وقد تكبد في سبيل جمعها من الشدة والمشقة ما يرجى له به جزيل البر والأجر عند الله وقد رتبها وقسمها فنوناً وأبواباً وأضاف إليها المطبوع من الرسائل الصغيرة والفتاوى فبلغت خمسة وثلاثين مجلداً احتوت على علم جم لا يقدر قدره ثم عمل عليها ابنه محمد - رحمه الله - فهرساً مفصلاً كان كالتقريب لها ويقع في مجلدين ضخمين. وهناك خمس مجلدات ملحقة، وكان له - رحمه الله - منهج في جمع الفتاوى وفي ترتيبها وتنسيقها وتحقيقها ساعده في ذلك ابنه الشيخ محمد [1] عليهم رحمة الله جميعًا.

وقد اشتغل المؤلف - رحمه الله - أيضاً بالتحقيق لكثير من الكتب المفيدة التي طبعت بعد أن تولى تصحيحها والتعليق عليها.

وأما أعماله الإدارية الدعوية فقد تنقل مدة تزيد على اثنين وثلاثين عاماً بين

---

(١) هو الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ولد - رحمه الله - عام ١٣٤٥ هـ في بلد (البير) نشأ في بيت علم ودين ودرس في الكتاتيب في بلدته، ثم تلقى العلم على العديد من العلماء والمشايخ، منهم والده، وسماحة الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز وسماحة الشيخ عبدالله بن حميد - رحمهم الله تعالى - ومن أخص مشايخه وأكثرهم أثراً في حياته سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم - رحمه الله تعالى - وقد درس - رحمه الله - الدراسة النظامية في المعهد العلمي، ثم تخرج من كلية الشريعة بالرياض تولى طوال أربعين سنة أو تزيد الخطابة توفي ليلة الاثنين ٦/٢٧ / ١٤٢١هـ رحمه الله تعالى. [نقلاً عن كتاب العالم العابد الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله - حياته سيرته ومؤلفاته، إعداد. د. عبدالملك القاسم ص ١٩ وما بعدها].

التدريس في المساجد والإشراف على طبع الكتب ونحو ذلك وقد أدى جهداً كبيراً وأنتج ثمرة يانعة لا يزال أثرها باقياً بين المسلمين.

أهمية الموضوع:

الدعوة إلى الله من أعظم المهمات وأجل القربات. ومن العلماء الذين برزوا في ميدان الدعوة إلى الله تعالى الإمام العلامة الفقيه الداعية الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن قاسم - رحمه الله تعالى -.

وقد عاش - رحمه الله تعالى - للعلم والدعوة والتدريس وتحقيق المخطوطات، والتأليف لكثير من الكتب العلمية، وانتشرت في أنحاء العالم وعم نفعها، وقد تميزت بالتنوع والشمولية في جوانب علمية متعددة في العقيدة والفقه والفرائض وعلوم القرآن والدعوة والنصيحة والردود على المخالفين وغير ذلك من المؤلفات[1].

يقول الشيخ الدكتور عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن قاسم -: "وقد جمعت صفحات كتبه التي طبعت حتى الآن فإذا بها تقارب أربعين ألف صفحة".

ومن حق من كانت تلك سيرته العطرة في الدعوة إلى الله تعالى ومن ترك هذا الإرث العلمي، أن يعنى بدراسة سيرته، واستخلاص منهجه القويم في الدعوة إلى الله تعالى.

ومما يدل على أهمية الموضوع تنوع أساليب ووسائل الشيخ - رحمه الله تعالى- في الدعوة إلى الله منها على سبيل المثال الدروس العلمية والمواعظ والخطابة[2] والتأليف وتحقيق المخطوطات والردود

---

(١) مقدمة حاشية الروض المربع، بقلم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين (٣-٦/ ١).

(٢) لم يكن مكثراً من الخطابة والوعظ ولكنه إذا وعظ أبكى كما ذكر ذلك الشيخ عبدالمحسن القاسم وكنت قد سألت الشيخ عبدالله بن جبرين ـ رحمه الله ـ فقال: لم يعرف عنه الوعظ والخطابة والدروس، والتقيت بالشيخ عبدالعزيز بن حمدان الحمدان وهو ممن عاصر الشيخ =

العلمية[١] ومشاركته في وسائل الإعلام[٢] من خلال كتابته في صحيفة أم القرى[٣].

ومما يدل على أهمية الموضوع تميز منهج الشيخ - رحمه الله - بالشمولية في الدعوة إلى الله، والثبات على المسلَّمات ومنهج السلف الصالح في الدعوة إلى الله ويتضح ذلك في سيرته الدعوية ومؤلفاته العلمية.

أسباب اختيار الموضوع:

تتلخص الأسباب في الآتي:

(١) مكانة الشيخ العلمية والاجتماعية عند ولاة الأمر والعلماء وطلاب العلم والعامة.

(٢) شمولية الدعوة إلى الله تعالى عند الشيخ فهو لم يقتصر على جانب دون جانب.

(٣) رغبة الباحث في دراسة سيرة هذا العالم وجهوده الدعوية وإرثه العلمي الموسوعي والسعي الجاد لاستخلاص المنهج الدعوي منه لاسيما وأنه لم يسبق حسب علمي دراسة الجهود الدعوية أو العلمية لهذا العالم الجليل.

(٤) الإسهام في إبراز جوانب من أعمال هذا العالم الجليل.

قال: كان الشيخ مرحاً مع الجميع وقال: كان والدي إمامًا للجامع في البير لعشرات السنين فسافر أبي إلى الرياض وخطب الشيخ بديلاً عنه يوم الجمعة فكان الشيخ عبدالرحمن يبكي طوال الخطبة حتى بكى الناس ومن شدة البكاء لم يفهم بعض المصلين ما يقول الشيخ وبعدها عزم الشيخ عبدالرحمن ـ رحمه الله ـ أن لا يخطب. ثم قال الشيخ عبد العزيز بن حمدان: إن أحدهم قال للشيخ: قد آتاك الله علمًا ألا تجلس لتدريس الناس ما ينفعهم فلم يرد عليه الشيخ ولم يجبيه.

(١) الشيخ عبدالرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته/ د. عبدالملك القاسم ص٢٣٠.

(٢) لم يشارك في وسائل الإعلام إلا في الصحافة عبر صحيفة أم القرى.

(٣) معجم المصادر الصحفية/ د. منصور الحازمي (١/ ١٦٣ - ١٦٧ - ١٨٥-٢١).

(٥) طول الفترة الزمنية لدعوته الذي امتدت إلى أكثر من خمسين عاماً.

(٦) تبوء الشيخ للعديد من الأعمال الدعوية والعلمية والإدارية لمدة تزيد على اثنين وثلاثين عاماً، قضاها بين التدريس في المساجد والدعوة إلى الله والتأليف والتحقيق وإدارة المكاتب والإشراف على طبع الكتب بمطبعة الحكومة في مكة المكرمة سنة ١٣٥٢هـ، وإدارة مكتبة الرياض السعودية، وجباية الزكاة، ونحو ذلك، وقد كان لتلك الأعمال آثاراً إيجابية في مسار الدعوة إلى الله تعالى.

(٧) حاجة المكتبة الإسلامية لمثل هذه الدراسة.

(٨) سيرته العطرة فقد كان الشيخ - رحمه الله - يتميز بصفات عدة منها أنه كان ذا شخصية مهيبة وصاحب عبادة وقد كان محافظاً على وقته وكان يختم القرآن كثيراً، ولكن أكثر ما استوقفني ما قاله لي الشيخ سعد[١] ابن الشيخ عبدالرحمن قال: كنا مع بعض المشايخ فقال الشيخ عبدالرحمن من باب التحدث بالنعمة: إني لم أقع في صغيرة ولا كبيرة وأنا أعلم[٢]، الله أكبر ما أعظم الهمم التي تناطح الجبال، وقلت هذا للشيخ عبدالله بن عبد الرحمن الغديان -رحمه الله- فقال: صدق والله، وقلت له: هل كان يأخذ على جباية الزكاة مقابلاً؟ قال: لا، ولم تكن الدنيا تعنيه لا من قريب ولا من بعيد.

وقد قيد ذلك الشيخ عبدالملك فقال: وقد قال - رحمه الله - قبل وفاته بسنتين لبعض محبيه من المشايخ الذين زاروه وكانوا يتحدثون في أمورهم

---

(١) قالها لي الشيخ سعد في تاريخ ٢٧/ ٧/ ١٤٢٩ هـ.

(٢) نلاحظ أنه قال: وأنا أعلم، فهو لا يقصد أنه لم يقع في معصية قط وحاشاه أن يقول عن نفسه ذلك ولكن قال: وأنا علم؛ أي: ذاكرًا.

الخاصة: "ما أذكر أني وقعت في حرام أعرفه!" وهذا تواضع منه، وأعتقد - والله أعلم - أنه لم يفعل أمراً فيه شبهة، والأمثلة على ذلك كثيرة! -أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحداً- [١].

أهداف الدراسة:

١- معرفة نشأة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وحياته.

٢- بيان جهود الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في تلقي العلم وتعليمه.

٣- بيان جهود الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في الدعوة إلى الله.

٤- بيان منهج الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في أساليب ووسائل الدعوة.

٥- بيان جهود الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ومنهجه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦- بيان منهج الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في إعداد الدعاة.

تساؤلات الدراسة:

١. من هو الشيخ عبد الرحمن بن قاسم؟

٢. ما جهوده العلمية وما إنتاجه العلمي؟

٣. ما منهجه في بيان مفهوم الدعوة؟

٤. ما مصادر الدعوة عند الشيخ؟

٥. ما منهج الشيخ في الدعوة إلى الله؟

٦. ماذا عن جهود الشيخ - رحمه الله - في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٧. ما هي خصائص منهج الشيخ ومقوماته وكيفية الاستفادة منه؟

---

(١) الشيخ عبدالرحمن بن قاسم حياته وسيرته (ص ٢٤٣).

حدود البحث:

أ- حدود موضوعية:

تقتصر هذه الدراسة على الحياة الدعوية للشيخ عبد الرحمن بن قاسم مركزاً في ذلك على نتاج الشيخ العلمي والدعوي.

ب- حدود زمانية:

تقتصر الدراسة على عصر الشيخ دون النظر إلى من عاصره في تلك المدة إلا بما يخدم البحث.

الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة في موضوع الرسالة:

بعد البحث والاطلاع لم أعثر على حد علمي على دراسة علمية أو مؤلفات تتناول موضوع الدراسة، وإنما وجدت كتاباً بعنوان: (الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ـ رحمه الله تعالى ـ حياته وسيرته ومؤلفاته) إعداد: عبد الملك القاسم، ويتحدث هذا الكتاب عن ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ـ رحمه الله تعالى ـ وسيرته، ومؤلفاته، وليس فيه ما يتصل بذكر منهجيته في البحث والتأليف.

وأفاد الشيخ عبد الملك القاسم وهو أحد أحفاد الشيخ عبد الرحمن بن قاسم بعدم وجود دراسة علمية أو مؤلف له علاقة بموضوع دراستي.

وأثناء كتابتي للبحث أخبرني بعض طلاب العلم أن هناك دراسة عن الشيخ في قسم العقيدة جامعة أم القرى بعنوان جهود الشيخ عبدالرحمن بن قاسم في تقرير عقيدة السلف للطالب عبدالله الحربي.

شُكْرٌ وَتقْدِيرٌ

فإنني أحمد الله تبارك وتعالى وأشكره على ما من به علي من نعم عظيمة لا تعد ولا تحصى، والتي منها توفيقي لإنجاز هذا البحث، فاللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

واعترافًا بالفضل لأهله واستجابة لقول الرسول ﷺ: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»[١].

فأتوجه بالشكر والثناء والدعاء إلى الوالدين حفظهم الله ومتعهم بالصحة والعافية وجعل الجنة مأوانا ومأواهم- بوقوفهم معي ودعواتهم لي الذي كان لها الفضل الكبير بعد الله عز وجل وكذالك الزوجة العزيزة فقد شجعتني على هذه الدراسة فجزاهم الله جميعا عني خير الجزاء.

ثم أتوجه بالشكر والتقدير للقائمين على الجامعة الإسلامية المباركة وعلى رأسهم معالي مديرها فضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن علي العقلا.

وكذلك أتقدم بالشكر الجزيل لكلية الدعوة وأصول الدين ممثلة في عميدها فضيلة الدكتور: عبدالعزيز بن صالح الطويان.

كما أخص بالشكر والتقدير الأستاذ الدكتور عبدالرب بن نواب الدين آل نواب المشرف على الرسالة – حفظه – الله ورعاه وجعل الجنة مأوانا ومأواه- على توجيهاته القيمة وملحوظاته الموضوعية التي كان لها الأثر الطيب في خروج الرسالة بهذه الصورة.

كما أتوجه بالشكر والتقدير لكل من فضيلة الدكتور عبيد بن عبدالله

---

(١) سنن الترمذي، حديث رقم (١٩٥٤) وسنن أبي داود، حديث رقم (٤٨١١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٤٨١١).

السحيمي، وفضيلة الدكتور عبدالمحسن بن محمد القاسم على تفضلهما لقبول مناقشة الرسالة، وستكون ملاحظاتهما محل عناية الباحث واهتمامه، فجزاهما الله خيراً.

وأشكر كذلك رئيس قسم الدعوة، وأعضاء قسم الدعوة، وأعضاء مجلس كلية الدعوة وأصول الدين، وكذا أعضاء الدراسات العليا على ما أبدوه من ملحوظات حول الخطة، والتي استفاد منها الباحث كثيرًا في وضع الخطة بصورتها النهائية.

كما لا يفوتني أن أشكر كل من ساعد في إعداد البحث سواء بمشورة أو بحث عن معلومة أو إعارة كتاب، وأخص منهم الشيخ عبدالملك القاسم.

وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجزي الجميع خير الجزاء ويجعل ذلك في موازين حسناتهم يوم يلقونه؛ إنه سميع الدعاء.

التمهيد

ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى -، وفيه مبحثان.

المبحث الأول: عصر الشيخ.

وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة الدينية.

المطلب الثالث: الحالة العلمية والدعوية.

المبحث الثاني: حياة الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى -.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبه.

المطلب الثاني: طلبه للعلم ورحلاته وشيوخه وتلامذته.

المطلب الثالث: مؤلفاته، وآثاره العلمية.

المطلب الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المطلب الخامس: وفاته ومراثيه.

المبحث الأول

عصر الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى -

توطئة:

بما أن الحياة البشرية ما هي إلا أحداث متراكمة يصعب فصل بعضها عن بعض عبر التسلسل التاريخي؛ فإنه لا بد لدراسة أي شخصية من إلقاء نظرة – ولو سريعة – على الظروف السياسية والاجتماعية التي ساهمت في صياغة الحيز الكبير من مكونات تلك الشخصية، والأساس الذي قامت عليه دعامتها؛ ذلك أن ارتباط الإنسان بمحيطه الاجتماعي وظروف نشأته أمر بين، لذلك كانت دراسة الأحوال السائدة في عصر أي شخصية أمر لا مناص منه لتجلية جوانب مهمة لا يستغنى عنها في فهم أبرز المعالم المكونة لتلك الشخصية..

ومن هنا فإن معرفة عصر الشيخ ابن قاسم – رحمه الله تعالى – أمر في غاية الأهمية خاصة وأن تأثير الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الدعوة يعتبر تأثيرًا جوهريًّا بالغًا..

وقد امتاز عصر الشيخ – رحمه الله تعالى – بهدوء سياسي واستقرار اجتماعي ونهضة دعوية في ظل الحكم الرشيد لمؤسس المملكة طيب الله ثراه..

فكان توحيد المملكة والقضاء على المناوئين والعمل على إعطاء الدولة الحديثة سمات الرقي والازدهار أهم ما تمثل به الهدوء السياسي في عصر الشيخ...

وبإنشاء الملك المؤسس – طيب الله ثراه – للهجر وتوحيد أهل البادية في قرى مستقرة بعد أن كانوا رحالة ينتجعون الكلأ والمرعى أسس لاستقرار اجتماعي ونهضوي لا مثيل له عاصره الشيخ في مراحله الأوليه وعاش في أوج

كماله ونضجه..

وكل ذلك ما كان ليتم لولا الاستقرار السياسي وتوفر الأمن والنهوض الاقتصادي بخطى ثابتة خطاها الملك المؤسس طيب الله ثراه وتبعه أبناؤه من بعده..

المطلب الأول

الحالـة السياسية

عند الكلام عن الحالة السياسية في عصر من العصور فإن المقصود هو الهيئة العامة المتكونة من تعاقب السلطة الحاكمة وسعي كل منها لبسط سيطرته ونفوذه على حيز جغرافي معين والصراعات الناتجة عن ذلك جلية كانت على السطح أم خفية، قديمة كانت أم حادثة، ثابتة كانت أم عارضة زمنية حادثة...

ومن المعلوم أن تأثير السلطة السياسية المتعاقبة عبر العصور على الأفراد العاديين في المجتمع هو تأثير بالغ فما بالك بتأثيرهم وتأثرهم ـ في الوقت ذاته ـ بالعلماء وأهل الفكر...

ومن هنا كانت دراسة عصر الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى - من الناحية السياسية أمر في غاية الأهمية.

لقد حظي العلامة عبد الرحمن بن قاسم بمعاصرة ثلاثة من ملوك الدولة السعودية الثالثة هم:

١- المؤسس الملك عبد العزيز [١] - رحمه الله تعالى -.

٢- ابنه الملك سعود [٢] - رحمه الله تعالى -.

---

(١) هو: عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، من آل مقرن، من ربيعة بن مانع، من ذهل بن شيبان؛ ملك المملكة العربية السعودية الأول، ومنشئها، وأحد رجالات الدهر.

ولد في الرياض سنة ١٢٩٣هـ توفي بالطائف سنة ١٣٧٣هـ ودفن - طيب الله ثراه - في الرياض. الأعلام للزركلي - (٤/ ١٩).

(٢) هو: سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود: من ملوك الدولة السعودية. ولد في الكويت سنة ١٣١٩هـ ونشأ في الرياض. وقرأ على بعض مشايخها. وقام برحلات إلى =

٣- الملك فيصل بن عبد العزيز[١] رحمهما الله تعالى.

حيث تشير بعض الدراسات التاريخية إلى أن مولد الشيخ - رحمه الله تعالى - كان في سنة ١٣١٢ هـ وقيل سنة ١٣١٩هـ، والذي تركن إليه النفس هو القول الأول فقد قرره جماعة من أقاربه كابنه الشيخ سعد[٢]وتلميذه العلامة عبد الله بن جبرين وهو المدون على أغلفة كتبه المطبوعة..

وعلى هذا فتكون فترة طفولته بعد فتح الملك عبد العزيز - رحمه الله تعالى - لمدينة الرياض وما تلا ذلك الفتح من اهتمام جلالة الملك بشؤون الدولة من توسيع لرقعتها وتوحيد لشتاتها بإضافة كثير من المناطق لنفوذها حتى تم توحيدها في سنة ١٣٥١هـ تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله[٣].

ثم تلا ذلك عهد الملك سعود - طيب الله ثراه - الذي عرف بإنشاء الوزارة والاعتناء بالتعليم والأمور الإدارية، وبعده عهد الملك فيصل الذي نشأت فيه

الخارج. وقاد المعارك في حروب أبيه. وتولى العرش السعودي (١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٣) فور وفاة أبيه، وبعهد منه. توفي سنة ١٣٨٨هـ. الأعلام للزركلي - (٣/ ٩٠).

(١) هو: فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، الابن الثالث لوالده الملك عبدالعزيز.

ولد في مدينة الرياض في ١٤ صفر سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦م) شارك في سن مبكرة في المعارك والأحداث التي واكبت نشوء المملكة، وفي يوم الاثنين ٢٧ جمادي الآخرة عام ١٣٨٤هـ ٣/ ١١/ ١٩٦٤، بويع ملكًا شرعيًّا على المملكة العربية السعودية. وتوفي - طيب الله ثراه - سنة ١٣٩٥هـ. الأعلام للزركلي - (٥/ ١٦٦).

(٢)الشيخ سعد بن عبد الرحمن بن قاسم ولد في بلد (البير) عام ١٣٥٨هـ تعلم القراءة في الكتاب ثم انتقل إلى الرياض فقرأ على محمد بن سنان وعلى الشيخين عبد اللطيف بن إبراهيم ومحمد بن إبراهيم آل الشيخ. عين مدرسًا في معهد إمام الدعوة ثم في المعهد العلمي، وتقاعد عام ١٤١٨هـ. ظل إماماً وخطيباً بجامع الرحمانية ١٤عامًا.

(٣)علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢٠٢) الطبعة الثانية ١٤١٩ دار العاصمة. وعبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته ص ٢٢ (مرجع سابق).

الصناعة والاهتمام بالمسائل المستجدة والحرص على نفع المجتمع من خلالها والعمل على ترقيته..

ويمكن القول إن الشيخ عبد الرحمن بن قاسم بمعايشته لكل تلك التطورات استطاع أن يتعامل معها، ويسهم في النهضة التي قامت من خلال تخصصه وميدان عمله.[١]

وتعتبر الدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب لتجديد الدين وتوضيح ما انطمس من معالمه من أهم المرتكزات التي قامت عليها الدولة السعودية فتم بذلك بعث الأمل في نفوس هذه الأمة، وتحقق وعد رسول الله ﷺ حين قال: «**إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنةٍ من يجدد لها دينها**»[٢].

وبقيام دولة التوحيد هذه يرجع لهذه الأمة بعض الأمل في التقدم والرقي وقيادة ركب الإنسانية بعد أن افتقدته فترة طويلة بسبب بعدها عن دينها وتقدم أعدائها عليها وتسلطهم على مقدراتها..

يقول الشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي [٣]: (...ولقد كانت الحضارة

---

(١) يراجع: إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة. د. إبراهيم الفوزان، ص٣١٠ مطابع الفرزدق التجارية ١٤٠١ هـ

(٢) سنن أبي داود المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الناشر: دار الفكر تحقيق: محمد محيي الدين عبد الخميد مع الكتاب: تعليقات كَمَال يوسُفْ الحوُت والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها حديث رقم ٤٢٩٣ وصححه الألباني، صحيح الجامع برقم (١٨٧٤).

(٣) هو: عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي ولد سنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م-.
درس مبكرا وحصل على الشهادة الجامعية من كلية الشريعة في الرياض عام ١٣٨٢هـ والماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للقضاء، عام ١٣٨٩هـ والدكتوراه من جامعة الأزهر، كلية الشريعة والقانون، متخصص في أصول الفقه.
له مؤلفات كثيرة منها: الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة، مناقب الإمام أحمد بن =

الأوربية الغربية في بداية نشأتها مدينة للفكر الحر في شؤون الدين والدنيا، والذي ظل يؤثر في شعوب الغرب منذ القرن السابع عشر الميلادي، ولكننا نجد في شبه الجزيرة العربية، في بداية نهضتها، تجديداً لأمر الدين، وتنقية أصوله في العقيدة والشريعة مما شابها، ونجد بداية لتوحيد شبه الجزيرة سياسيًّا، وتأسيس دولة قوية قادرة، وذلك على يد الأئمة من آل سعود، فخرجت شبه الجزيرة من تخلف الفكر الديني إلى سعة الإسلام الصحيح، ومن نزاعات القبيلة وحروبها إلى أمن الوحدة واستقرارها. وبدأ تقدم شبه الجزيرة العربية بمنجزاتها في العصر الحديث في العلم والعمل، وفي الدين والدنيا، وسطع نجمها في المنطقة العربية، والإسلامية، وعلى اتساع العالم المعاصر).[1]

وفي أوج قيام هذه الدولة وبداية نهضتها نشأ الشيخ عبد الرحمن بن قاسم فشهد فترة التحول في المجتمع السعودي في هذه المرحلة من تاريخه من مجتمع قبلي متناحر متشتت إلى مجتمع يعيش في دولة يريد مؤسسها أن تقود العالم كله إلى الخير والرشاد[2].

وإن من أهم إنجازات هذه الدولة المباركة – بعد إقامة الدين – تحقيق الأمن والقضاء على الخوف والتناحر الذي كان منتشرًا في فترة ما قبل قيام هذه الدولة، فقد كان الفرد لا يأمن على نفسه وماله من اللصوص والمعتدين..

يقول العلامة محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله تعالى -: (...والأمن حتمًا له قيمة، فالدنيا كلها تبذل في سبيل الأمن، ويضحي الإنسان من نفسه

=

حنبل (تحقيق)، توجهات الإسلام في نطاق الأسرة. انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين - (١/ ١٨٨).

(١) الملك عبد العزيز آل سعود أمة في رجل (١/ ٤٧).

(٢) منهج الإمام عبد العزيز بن باز في الدعوة إلى الله تعالى إعداد محمد بن خالد البداح رسالة دكتوراه في الدعوة. ص ٦٧.

بأشياء كثيرة من أجل الأمن ولا يعرف قدر الأمن، إلا من ابتلي بالخوف، واسألوا آباءكم الأولين: ماذا كانت عليه هذه البلاد من الخوف فيما سبق.

كان الناس لا يذهبون من بريدة إلى عنيزة أو من عنيزة إلى بريدة إلا مسلحين وعلى خوف شديد، بل قال بعض الكبار: كنا والله نخرج في رمضان من بيوتنا بعد العشاء، بل بعد المغرب ونحن نحمل السلاح يخافون على أنفسهم من عدو يدخل البلد أو غير ذلك، فنعمة الأمن والرخاء لا يساويها نعمة بعد الدين..) [١]

فنعم المجتمع السعودي بالأمن والاستقرار في ظروف تحكيم الشريعة الإسلامية السمحة، والعدل بين الجميع.

كل هذه العوامل كان لها الأثر الكبير في تكوين شخصية الشيخ عبد الرحمن بن قاسم..

وكان لذلك التحول دور كبير في تكوين شخصية الشيخ - رحمه الله تعالى -؛ فكانت تلك المكتسبات التي حققتها الدولة السعودية بمرأى ومسمع من الشيخ تستحق رجالًا مخلصين يسعون للمحافظة عليها كل في مجال تخصصه، وميدان عمله، وهذا ما عمل عليه الشيخ - رحمه الله تعالى -، فقد سخر كل جهوده لتنمية الدعوة إلى الله تعالى، وسخر قلمه للدفاع عن دعوة التوحيد، وامتداد جذورها، وتفانى في خدمة الدولة الفتية، والمحافظة على مكتسباتها، ودرء شبه الحاقدين عليها...

---

(١) انظر: الشيخ ابن عثيمين، لقاء الباب المفتوح،جمع د. الطيار، ص٢١٤-٢١٧. نقلًا من رسالة دكتوراه أعدها الأخ عبد العزيز بن عبد الرحمن الروضان تحت عنوان منهج الشيخ ابن عثيمين في الدعوة إلى الله ص ٤٧٩.

المطلب الثاني

الحالـــــة الدينية

لقد من الله تعالى على هذه الأمة بظهور المجددين للدين في كل عصر من بعثة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إلى عصرنا الحاضر وذلك مصداق ما أخبر به الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه حين قال: «**يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل**[1]...».

فتوالى المجددون على مر العصور حتى ظهرت في عصرنا الحديث دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب[2] إلى تجديد الدين وتجديد ما اندثر من معالمه على أسسه الشرعية التي قام عليها في أول ظهوره على يد النبي ﷺ وصحابته وتابعيهم.

وكانت تلك الدعوة التجديدية بادرة خير لدحر كيد الشيطان وأتباعه حيث ظهرت في فترة فشا فيها الشرك بأنواعه المختلفة، حتى عبدت الأحجار والأشجار، وأقيمت المشاهد عند قبور من يدعون الولاية أو تدعى لهم، ونجر

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٤).

(٢) هو شيخ الإسلام، الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي النجدي الحنبلي، ولد في العيينة سنة ١١١٥هـ ونشأ بها، وحفظ القرآن قبل العاشرة من عمره، ودرس على والده، ثم حج وأخذ عن بعض علماء الحرم الشريف، ثم زار المدينة، وأخذ عن بعض علمائها، ثم رجع إلى نجد وقصد البصرة، وأخذ عن بعض علمائها، ثم رجع إلى الأحساء وأخذ عن بعض علمائها، ثم رجع إلى نجد، ودعا إلى التوحيد الخالص فنفع الله به العباد، وأنقذهم به من الشرك. توفي - رحمه الله - سنة ١٢٠٦هـ انظر: تاريخ نجد: حسين بن غنام، حرره وحققه: د. ناصر الدين الأسد، جـ١، ص ٧٥، مطابع الشرق الأوسط، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ

وذبح عندهم، وطلبت منهم الحاجات؛ فقام الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - بدعوة الناس إلى إخلاص التوحيد لله عز وجل، ونبذ الشرك والخرافات، والاعتماد على الدليل لا على الرؤى والخزعبلات الشيطانية، والتخرصات الجنية..

يقول الشيخ ابن غنام[١] - رحمه الله تعالى - واصفا تلك الفترة التاريخية: (كان غالب الناس في زمانه - يقصد الإمام محمد بن عبد الوهاب - متضمخين بالأرجاس متلطخين بوضر[٢] الأنجاس، حتى انهمكوا في الشرك... فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين، وخلعوا ربقة التوحيد والدين، فجدوا في الاستغاثة بهم في النوازل والحوادث، والخطوب المعضلة والكوارث، وأقبلوا عليهم في طلب الحاجات، وتفريج الشدائد والكربات، من الأحياء منهم والأموات)[٣]

ويقول الشيخ حمد بن عتيق[٤] - رحمه الله تعالى -: (اعلم أن الله سبحانه

---

(١) هو: حسين بن أبي بكر آل غنام، من بني تميم.ت ١٢٢٥ هـ ولد في المبرز، وهي ضاحية من ضواحي الهفوف (الأحساء). أخذ الفقه على مذهب الإمام مالك فبرع فيه، فكان علامة زمانه. كان له شعر جيد يمتاز بقوة العبارة، وروعة الأسلوب، وغزله لطيف رقيق.
له مؤلفات منها: (العقد الثمين في شرح أصول الدين)، (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام). انظر: تراجم شعراء الموسوعة الشعرية - (١/ ١١٧٣)

(٢) الوَضَرُ: الدَرَن والدسَم. يقال: وَضِرَتِ القصعةُ تَوْضَرُ وَضَراً، أي دَسِمَتْ. قال الشاعر:
سَيُغْني أبا الهندِيِّ عن وَطْبِ سالِمٍ * أَباريقُ لم يَعْلَقْ بها وَضَرُ الزَبْدِ
انظر: الصحاح في اللغَة - (٢/ ٢٨٣).

(٣) روضة الأفكار ١/ ٥، ٦ باختصار.

(٤) هو: العلامة الفاضل المحقق الشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد ابن حميضة واشتهر بابن عتيق نسبة إلى جده الثاني عتيق، ولد في بلدة الزلفي من بلدان نجد سنة ١٢٢٧هـ وطلب العلم مبكرا، وبرع فيه، له مؤلفات كثيرة مفيدة.منها "إبطال التنديد، شرح كتاب التوحيد" ورسالة "بيان النجاة والفكاك"، ورسالة "الدفاع عن أهل السنة والإتباع" توفي سنة ١٣٠١هـ في بلدة الأفلاج. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم - (٢/ ٧١).

وتعالى بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق، فبين للناس ما نزل إليهم[١]، فما من خير إلا دلهم عليه، وعرفهم الطرق الموصلة إليه، وما من شر إلا حذرهم منه وسد عليهم أبوابه المفضية إليه، ومن أعظم ذلك أنه أخبرهم أن «**الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**»[٢] وأخبرهم بظهور الفتن التي «**كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافراً؛ يبيع دينه بعرض من الدنيًا**»[٣] فكان وقوع هذا لما وقع هو وأمثاله من الأدلة على أنه رسول الله...)[٤].

كما صور الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن[٥] - رحمه الله تعالى - حالة الناس في استجابتهم لدعوة الشيخ وعلاقتهم بأعداء الإسلام فقال: (وأكثر الناس استنكروا الإنكار على من والى العسكر المشركين، وركن إليهم، وراح إلى بلادهم، وشهد كفرياتهم، ومبارزتهم لرب العالمين بالقبائح، والكفريات

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...﴾ الآية.

(٢) مسلم حديث رقم ٣٨٩.

(٣) مسلم حديث رقم ٣٢٨ ولفظه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**».

(٤) سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين والأتراك ص (٢٥) نقلا عن "حمد بن علي بن عتيق وجهوده في الدعوة والاحتساب" رسالة من جامعة الإمام كلية الدعوة والإعلام إعداد الطالب سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى العام الدراسي ١٤٢١هـ

(٥) هو: الشيخ العلامة المحقق عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ولد في مدينة الدرعية عام ١٢٢٥هـ وبعد دخول القوات المصرية إلى الدرعية في سن التمييز ذهب إلى البلاد المصرية بصحبة والده المنقول. وتزوج في مصر وطالت إقامته فيها حتى بلغت واحدا وثلاثين عاما قضاها كلها في العلم تعلما وبحثا ومراجعة ومذاكرة حتى صار من حملة العلم الكبار وأوعيته الواسعة. من مؤلفاتتع: رد على داود بن جرجيس.رد على عثمان بن منصور. رد على عبد المحسن الصحافي. توفي في مدينة الرياض في اليوم الرابع عشر من شهر ذي القعدة عام ١٢٩٣هـ. انظر: أرشيف ملتقى أهل الحديث ٢ - (١/ ٢٩٩٢).

المتعددة، هذا مع قرب العهد بدعوة شيخنا، والقراءة في تصانيفه، ورسائله وأصوله، وهذا مما يستبين به ميل النفوس إلى الباطل ومسارعتهم إليه ومحبتهم له، قال تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١] وأهل نجد كادهم الشيطان، وبلغ بهم مبلغًا عظيمًا، وصل بهم إلى عدم الوحشية من أكفر خلق الله، وأضلهم عن سواء السبيل، الذين جمعوا بين الشرك في الإلهية، والشرك في الربوبية، وتعطيل صفات الله، ومعهم جملة من عساكر "الإنقليز" المعطلة لنفس وجود الباري، القائلين بالطبائع [١]، والعلل، وقدم العالم وأبديته)[٢].

وبهذا تتضح غربة الدين في زمن الشيخ وحاجة الأمة إلى دعوته المجددة للدين، وقد قيض الله للإمام محمد بن عبد الوهاب في دعوته للتوحيد أميرًا صالحًا شهمًا أعانه على الدعوة إلى الله وكان له خير نصير ألا وهو الإمام الأمير محمد بن سعود[٣] - رحمه الله تعالى - الذي لم يأل جهدًا في نصر الإمام حتى أثمرت دعوته وآتت أكلها فانتشر الدعاة إليها، وفشت كتبها، وكبر تلامذتها..

ثم تتابع الفضل الرباني بالعلماء الذين خلفوا الشيخ الإمام من تلامذته

---

(١) القائلون بالطبائع هم الدهريون القائلون بعدم وجود الخالق المدبر ويرجعون كل ما يقع في الكون إلى الطبيعة ويسمون: (الطبيعيون) ويزعمون أن الكون وجد بنفسه من غير حاجة إلى علة خارجية. انظر: المعجم الفلسفي ج ٢ ص ١٧ د. جميل صليبا ١٩٧٩م دار الكتاب اللبناني.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية - (١٠/ ٣٩٤).

(٣) هو: محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان، من بني مانع المنسوب إلى مرة بن ذهل بن شيبان، من عدنان: أول من لقب بالإمامة من آل سعود، في نجد، وفي أيامه (١١٥٧) وفد على الدرعية الشيخ محمد بن عبد الوهاب فتعاهدا على أن يكون ابن سعود حارسًا للدين وناصرًا للسنة وأن يستمر ابن عبد الوهاب في الجهر بدعوته. توفي - طيب الله ثراه - سنة ١١٧٩هـ. بالدرعية. انظر: الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة - (١/ ٢٧) الأعلام للزركلي - (٦/ ١٣٨).

وطلابه؛ فامتد بهم حبل الدعوة، وقويت شوكتها، وخاصة بعد ظهور الإمام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي وحد الدولة على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وأعطى للعلماء المكانة التي يستحقونها..

ومن أشهر العلماء الذين قاموا بالدعوة في هذه المرحلة وساعدوا في تركيز وتقوية أركان دولة الإسلام الجديدة: العلماء من أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب والعلامة حمد بن عتيق[١]، وعبد الله العنقري[٢]، ومحمد بن محمود، وسليمان بن سحمان[٣] وغيرهم..

وقد شهد الشيخ ابن قاسم تلك النهضة العلمية والدينية ودرس على علمائها ودرس طلابها ونشر الكتب وكان له نصيب لا يستهان به في قيام تلك النهضة الفكرية والعلمية، وسنبين ذلك بشيء من التفصيل في المباحث والمطالب الآتية إن شاء الله تعالى.

---

(١) هو: العالم العلامة الحبر: سعد بن حمد بن عتيق: قاض، من علماء نجد، ولد في مدينة (الافلاج) سنة ١٢٧٧هـ ورحل إلى الهند يطلب العلم، فاتصل بصديق حسن خان. وعاد إلى بلاده، ثم ولي القضاء والتدريس في الرياض. وتوفي بها. له مؤلفات منها: (نظم شرح الزاد) في الفقه، ورسائل صغيرة في التوحيد والسنة والنصائح. الأعلام للزركلي - (٣/ ٨٤).

(٢) هو: الشيخ المحقق عبد الله بن عبد العزيز العنقري التميمي النجدي، ولد -رحمه الله- في بلدة ثرمداء من قرى إقليم الوشم بنجد سنة ١٢٩٠هـ. له مؤلفات منها: حاشية وضعها على الروض المربع شرح زاد المستقنع في الفقه الحنبلي، وله تعليقات على نونية الإمام ابن القيم لا تزال مخطوطة لم تطبع. توفي - رحمه الله - في الثاني من شهر صفر سنة ١٣٧٣هـ عن عمر يناهز الثلاثة والثمانين عاماً قضاها في التحصيل والقضاء ونشر العلم. مشاهير علماء نجد وغيرهم (٣/ ٤٠).

(٣) هو: الشيخ سليمان بن سحمان بن مصلح ابن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر الخثعمي التبالي العسيري النجدي. ولد سنة ١٢٦٦هـ في قرية السقا من أعمال أبها. من مؤلفاته: الاسنة الحداد في الرد على الحداد، الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق اي جميل الزهاوي. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٤٩هـ. معجم المؤلفين - (٤/ ٢٦٤) مشاهير علماء نجد وغيرهم - (٢/ ٩٣).

المطلب الثالث

الحالة العلمية والدعوية

كانت الجزيرة العربية في فترة ما قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مليئة بالشركيات والكفريات والبدع بعيدة عن الطريق الرباني والهدي المحمدي، فسخر الله لهذه الأمة مجددًا يزيح الغبار المتراكم على محيا الدين وينير الطريق الذي أظلم بعد المجددين عبر التاريخ الإسلامي، فقام بالدعوة خير قيام، ونهج الطريق السوي المعتدل الذي لا شطط فيه ولا عوج..

إن الدعوة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - كانت هي البداية الحقيقية لما حدث ويحدث في العالم الإسلامي من يقظة وصحوة مباركة وعودة صادقة إلى الدين.

إن تلك الدعوة لم تكن سوى دعوة الناس إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وهي استمرار لما نادى ودعا إليه السلف الصالح جميعًا فهي نفسها دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في القرن الثامن الهجري إلى الرجوع إلى معين الشرع الكريم من الكتاب والسنة، و هي عينها الدعوة التي امتحن من أجلها الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - في القرن الثالث الهجري، وفحواها باختصار هو دعوة الناس إلى الرجوع للإسلام الصحيح كما أنزل على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، بفهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم من أهل القرون المفضلة، عقيدة وشريعة ومنهجًا وسلوكاً.

ولكن ما إن قبض الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - حتى بدأت الدعوة تنكص شأنها في ذلك شأن كل الدعوات التي تقوم على رجال

مخلصين فيرحلون عنها فيبدأ ماؤها في الانحسار ويكشر أعداؤها عن الأنياب فتبدأ بالتقلص بعد أن كانت تتمدد، وتتراجع بعد أن كانت تتقدم..

ولكن في هذه المرة سخر الله تعالى لها تلاميذ ذلك المجدد فشمروا عن ساعد الجد ونذروا أنفسهم للدعوة لدين الله تعالى، وأقلامهم لتبيين مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ يدعمهم في ذلك أمراء مخلصون شجعان في الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، فأقاموا ما اعوج، وبنوا ما تهدم، وتحقق بهم وعد المعصوم ﷺ حين قال: «**لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك**»(١).

فرحمهم الله تعالى رحمة واسعة، وأجزل لهم المثوبة والأجر..

وقد تركوا ذلك الإرث والعبء الثقيل وقلدوه رقاب طلابهم وخاصة الأذكياء منهم مثل الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى - فقام بمتابعتهم في الدعوة إلى الله تعالى وإحياء تراث علماء الأمة الربانيين ونشره وتسهيله لطلاب العلم وتدريسه لهم..

وتلك - لعمري - هي أهم مرتكزات الدعوة وهي وظيفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد كان كل منهم يجدد ويحيي ما انطمس من آثار دعوة التوحيد التي قام بها النبي الذي قبله ويبعثها في نفوس الناس بتذكيرهم بها وتوضيحها لهم ودعوتهم إلى الإيمان بها، كما قال ﷺ: «**الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد**»(٢).

قال الإمام ابن حجر (٣): (معنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد

---

(١) البخاري حديث رقم ٣٤٤٢ ومسلم حديث رقم ٥٠٥٩

(٢) البخاري حديث رقم ٣٢٥٩ ومسلم حديث رقم ٦٢٨١ بمعنى لفظ البخاري.

(٣) هو: أحمد بن على بن محمد، المعروف بابن حجر نسبة إلى بعض أجداده، الكناني العسقلاني، ثم المصري، أبو الفضل شهاب الدين الشافعي المذهب عملاق علوم الحديث عامة، ولد =

وإن اختلفت فروع الشرائع)[١].

وهكذا كان المجتمع السعودي في غالبه في عصر الشيخ ابن قاسم دعاة إلى تجديد الدين، وبناء ما تهدم منه ونشر العقيدة الصحيحة، يشجعهم على ذلك ويتقدمهم في إنجازه ملوك عرفوا قيمة الدين، وأهميته في النهضة والاستقرار..

يقول الملك سعود بن عبد العزيز طيب الله ثراه: "لا يمكن لنا بأي حال من الأحوال أن نستبدل دين الإسلام بأديان أخرى، أو أن نستبدل الشريعة الإسلامية بمذاهب وشرائع وقوانين ما أنزل الله بها من سلطان مهما كانت الأسباب والمسببات.

ويقول الملك فيصل طيب الله ثراه: "إننا حين ندعو إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإنما ندعو أنفسنا إلى سلوك السبيل الذي نأمل به خير الدنيا والآخرة" ويقول: "إننا في هذا البلد الشريف قد عاهدنا الله على أنفسنا بأن نكون - بحول الله وقوته خداماً لشريعة الله، داعين إلى الله متعاونين مع كل إخواننا المسلمين في أقطار الأرض لما فيه نصرة هذا الدين، وتحكيم شرع الله، وخدمة شعوبنا بل وفي نشر العدالة في العالم أجمع.[٢]

سنة ٧٧٣ هـ واشتهر بالتصانيف الكثيرة المفيدة ومن أشهرها: (فتح الباري شرح صحيح البخاري) و (تهذيب التهذيب) و(الإصابة في تمييز الصحابة) وغيرها توفي سنة ٨٥٢هـ.

انظر ترجمته في: "حسن المحاضرة" ج ١ ص ٣١١ و"هدية العارفين" ج ١ ص ١٢٨.

(١) فتح الباري - ابن حجر - (ج ٦/ ص ٤٨٩).

(٢) اتخاذ القرآن الكريم أساسا لشؤون الحياة والحكم في المملكة - (١/ ١٣٣) إصدار الندوة العالمية عام ١٤٢١ هـ

المبحث الثاني

حياة الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى -

المطلب الأول

اسمه وكنيته ونسبه

هو العالم العلامة المحقق المدقق المتفنن في العلوم والمعارف أبو عبد الله عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

يرجع نسبه لآل عاصم من قبيلة [1] قحطان الصغرى التي هي من شعب قحطان الكبرى إحدى شعبي العرب.

وقبيلة قحطان التي ينتمي إليها هذا الشيخ هي إحدى القبائل المعروفة في نجد وفي المملكة العربية السعودية عامة.

---

(١) فائدة: قال الماوردي في الأحكام السلطانية في الباب الثامن عشر: رتبت أنساب العرب ست مراتب جمعت طبقات أنسابهم، وهي: شعب ثم قبيلة، ثم عمارة، ثم بطن، ثم فخذ، ثم فصيلة؛ فالشعب النسب الأبعد كعدنان سمي شعبا لأن العرب منه تشعبت، ثم القبيلة وهي: ما انقسمت فيه أنساب الشعب كربيعة سميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها، ثم العمارة وهي: ما انقسمت فيها أنساب القبائل كقريش وكنانة، ثم البطن وهو: ما انقسمت فيه أنساب العمارة كعبد مناف، ثم الفخذ وهو: ما انقسمت فيه أنساب البطن كبني هاشم، ثم الفصيلة وهي: ما انقسمت فيها أنساب الفخذ كبني العباس؛ فالفخذ يجمع الفصائل، والبطن يجمع الأفخاذ، والعمارة تجمع البطون، والقبيلة تجمع العمائر، والشعب يجمع القبائل؛ فإذا تباعدت الأنساب صارت القبائل شعوبا والعمائر قبائل. وقد نظمها العالم الجليل محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي رحمه الله فقال:

الشعب ثم قبيلة فعماره * فالبطن ثم الفخذ ثم فصيلته

انظر: "المطلع" ج١ ص٢٨٧.

المطلب الثاني

مولده ونشأته ووفاته

ولد العلامة عبد الرحمن بن قاسم في (البير)[١] - بالباء ثم الياء وبعدهما راء - قرية من قرى المحمل تقع على بعد حوالي مائة كيلو شمال غربي مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية وعاصمة العلوم الشرعية أيام ولادة وترعرع الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى -.

وكان مولده سنة ١٣١٢هـ[٢] فنشأ في هذه القرية وقرأ القرآن الكريم وحفظه عن ظهر قلب مجودًا كما أخذ مبادئ القراءة والكتابة، ثم أخذ طرفًا من العلوم الشرعية قبل أن يرحل إلى الرياض لاستكمال تلقي العلوم من أجلاء العلماء المنتشرين فيها آنذاك والذين كان لهم الأثر البالغ في تكوين شخصية هذا العالم العلمية والدعوية.

وفاته ومراثيه:[٣]

نشأته:

شب وترعرع في مسقط رأسه بلدة البير أول عمره، في بيت عرف أهله بدين وصلاح واستقامة، و بها أخذ مبادئ القراءة والكتابة، وقرأ القرآن مجودًا على يد

---

(١) فائدة: البير المعروفة عند العرب هي من الأسماء المؤنثة خلافا لما هو شائع عند كثير من الناس، قال أحد علماء الشناقطة:

البير والعير أنث والدليل لدى بير معطلـــة وعنـــد أيتـــــها

أفادني هذه الفائدة الشيخ إبراهيم بن أبي الحسني.

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون ج ٣ ص ٢٠٢ (مرجع سابق).

(٣) للتوسع في ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم يراجع كتاب علماء نجد خلال ثمانية قرون ج ٣/ ٢٠٢-٢٠٨ وكتاب عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته وآثاره وكذلك كتبه المطبوعة.

مقرئ بقريته وحفظ القرآن عن ظهر قلب وهو في سن صغيره لم يتجاوز التاسعة من عمره، ثم قرأ مبادئ العلوم على مشايخ بلدته، ثم انتقل مع والده إلى القصب، وبعدها انتقل إلى الرياض[١]، (وأقام بها حتى كان عام ١٣٦٦هـ حيث غرس - رحمه الله - مزرعته في أول طريق العمارية والمسماة "المغيدر".

وبنى له فيها بيتًا متواضعًا سكن فيه هو وزوجته وأولاده، وكانت له غرفة صغيرة تحت الأرض هي مكتبته ومساحتها لا تتجاوز٤م٢، وفيها دولاب لكتبه - رحمه الله -، وقد أمضى في هذا المسكن بقية عمره حتى تاريخ وفاته في عام ١٣٩٢هـ أي: ما يقارب من ستة وعشرين عاما، وقد زاره في هذا المنزل الملك سعود بن عبد العزيز وجمع من الأمراء)[٢].

وقد كانت زوجته نورة بنت محمد الزومان، نعم المعين بعد الله له في طلبه للعلم وبذله، فقد كانت ذات عقل ورزانة وورع وعبادة وعفاف وقراءة للقرآن.

تقول رحمها الله: كنت أنزعج كلما أراد السفر، خاصة أنه يغيب شهورًا متواصلة، فلما قلت له يومًا في ذلك، قال لي: أنت شريكتي، قالت رحمها الله: فما عدت أقول له شيئًا بعد ذلك.

وكانت حريصة على تربية أبنائها والمحافظة عليهم، ومن ذلك أنها كانت تحفظهم كتاب الله عز وجل وهي تعمل وقد جعلتهم بجوارها.

وقد عانت من فراق الزوج كثيرًا حتى إنها ذكرت ما يشبه أحاديث السلف، فقالت رحمها الله: إنه كان يسافر وقد حملت بحمل في بطني ثم يعود، وإذا بالحمل قد وضعته، بل ويجري ويستقبل والده.

وقد توفيت رحمها الله في ٣٠ شعبان، وصلي عليها ليلة رمضان ١/ ٩/ ١٤١٨

---

(١) انظر: روضة الناظرين (١/ ٢٣٥)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢٠٢)، حاشية الروض المربع(١/ ٣).

(٢) انظر: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله حياته وسيرته ومؤلفاته (٢٨٥)، بتصرف.

هـ، وقد صلى عليها جمع من العلماء والمشايخ، منهم الشيخ عبد الله بن جبرين حفظه الله، ودفنت في مقبرة العود بالرياض رحمها الله رحمة واسعة[١].

صفاته الخَلقية، والخُلقية:

كان قمحي اللون يميل إلى البياض، متوسط الشعر، حسن السمت، كريم النفس، دمث الأخلاق، مترفعًا عن سفاسفها، حلو الشمائل، كريمًا سخيًّا، مستقيمًا في دينه وخلقه، غيورًا على محارم الله، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن النكر، يصدع بالحق، ولا يخاف في الله لومة لائم، مهابًا ومحبوبًا وقريبًا من الصغير والكبير، والغني والفقير، يتعاهد المحتاجين، قال عنه محمد القاضي: «وكان طويلا، نحيفا، قمحي اللون يميل إلى البياض، متوسط الشعر، دمث الأخلاق، لا يحب المظهر والشهرة، سخيا، لين العريكة، حلو الشمائل، واصلًا للرحم، مستقيمًا في دينه وخلقه»[٢].

وقال عنه العلامة الشيخ عبد الله بن جبرين حفظه الله: «وكان غيوراً على حرمات الله، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، يصدع بالحق، ولا يخاف في الله لومة لائم، ثم هو مع ذلك حسن السمت، دمث الأخلاق، دائم البشر، كريم النفس، متعزز عن رذائل الأمور، وسفاسف الأخلاق، وكان متواضعًا لربه لا يستنكف، ولا يرفع نفسه عن إجابة الصغير والكبير، ومحادثة الغني والفقير، مع ما رزقه الله من الهيبة والاحترام في قلوب الخاص والعام»[٣].

وقال الشيخ عبد الله بن بسام: «كان على جانب كبير من الأخلاق، حلو الشمائل مستقيمًا في دينه وخلقه، وكان عنده غيرة على حرمات الله، ويكره جدًّا مساكنة الكفار وجوارهم، وكان يخشى ويتخوف دائمًا بسبب سوء الأوضاع

---

(١) انظر: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله حياته وسيرته ومؤلفاته (٢٨٢-٢٨٤). بتصرف.
(٢) روضة الناظرين (١/ ٢٣٧-٢٣٨).
(٣) حاشية الروض المربع (١/ ٣-٤).

الدينية في الدولة العربية، والإسلامية أن يصيبها السوء بسبب معاصيها وبعدها عن الله»[١].

وقال حفيدةُ الشيخ عبد الملك: «امتازت أخلاقه بسمو النفس، وعلوها، وحسن الخلق، وطيبة، زاد ذلك إيمان وتقى وورع، وكان - رحمه الله - غيورًا آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، له في ذلك مراسلات مع الملوك والأمراء.وقد ذكر أحد أحفاده أنه قال له يوماً: يا أبي، لماذا ترسل وأنت ترى أنه لا يرد على رسائلك؟ فقال - رحمه الله -: ما أرسلت ليرد على رسائلي، ولكن أرسلت براءة للذمة ونصيحة للأمة»[٢].

وقد امتاز ابن قاسم بصفات جليلة، نذكر أبرزها، على وجه التفصيل، وهي ما يلي:

الأول: ورعه:

كان الشيخ ابن قاسم من العلماء الربانين، الذين آثروا الآخرة على الدنيا، فكان مضرب المثل في ورعه وزهده ومن ذلك:

أنه كان يتحرج من الفتوى ولا يفتي البتة! مع أنه ألف حاشية الروض في سبع مجلدات، ويستطيع أن يفتي من قرأها، كيف بمن عكف عليها أربعين سنة؟!

كان يدفع من جيبه لتعبئة قلمه بالحبر، مع أنه كان مديرًا للمكتبة السعودية بالرياض، وكان عنده دواة للحكومة وأخرى له، فملأ الموظف قلمه من دواة الحكومة فغضب عندما علم، وقال له: تريد أن تدخلني النار!، وهذا ورع منه.

ومن شدة ورعه أنه إذا ركب مع الناس في سيارة أجرة لتنقله خارج الرياض كان يعطي الأجرة مثل غيره من الركاب، وإذا عرفه صاحب السيارة رفض أخذ

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢٠٦).

(٢) الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله حياته وسيرته ومؤلفاته (٢٦١-٢٦٢).

الأجرة منه، فيقوم إذا نزل بإلقائها عليه ويسرع ماشيًا.

كان يسكن في بيت طين متواضع في مزرعته، ولما زاره الملك سعود قال له: نريد أن نبني لك بيتًا غير هذا، وكان البيت مبنيًا من الطين في وسط المزرعة، فقال - رحمه الله تعالى -: قد بنيت لي دارًا وانتظر الرحيل إليها، فسكت الملك سعود رحمهم الله جميعًا.

وبعده عما يخالف الشرع، فعندما زاره أحد العلماء وهو بمرتبة وزير، وكان معه بعض القانونيين كره جلوسهم معه في المجلس، ونهرهم، وذكرهم بحكم الشرع وتحكيمه، فقاموا.

وقد أوصى أن تمزق صورته في حفيظة النفوس إذا مات.

ومن ورعه أنه لم يدخل التلفاز والمذياع في بيته[1].

وقال لي ابنه الشيخ سعد أن من ورعه العدل بين أبنائه حتى في دخول منازلهم فيقول كنت مرافقًا له في آخر حياته من أجل معرفتي بمواعيد علاجاته فكنا بقرب منزلي وأتيت له بالوضوء في الخارج فهو لا يريد أن يدخل منزلي دون منازل إخوتي.

الثاني: تواضعه:

التواضع سمت العلماء الربانين، وقد كان ابن قاسم - رحمه الله -: «متواضعًا مستكينًا لربه، ظهر ذلك في معاملته للناس عامة وللفقراء والمحتاجين خاصة، وكان لا يرضى أن يسمى شيخا، ودائمًا يقول: لست شيخًا، المشايخ في الرياض، ويرفض أن يقبل رأسه.

ومن تواضعه أنه كان يأكل مع عمال المزرعة جميع الوجبات، بل لم يتميز بوجبة خاصة إنمًا كان الطعام مشتركا، وكان يمازحهم ويحادثهم ويعلمهم

(١) انظر: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله حياته وسيرته ومؤلفاته (٢٤٤، ٢٦١، ٢٤٦).

أمور دينهم، ويسألهم عن ذلك.

وقد ذكر الشيخ عبد العزيز بن محمد أخو الشيخ ابن قاسم أنهم عندما قدموا إلى الرياض مروا بمزرعة شخص ذي كرم وضيافة على الطريق، يقال له ابن دغيم، تقع في أعالي الدرعية قرب الملقا، قال: فلما عرف أن أخي الشيخ أراد أن يقوم، فمنعه أن يكرمه بشيء زايد عن عمال المزرعة، ورفض ذلك بشدة قال الشيخ عبدالعزيز: فلما أكلنا معه وعماله، أقسم على أخي أن ينام في سطح المنزل فقبل»[١].

محافظته على الوقت:

العلماء هم أحق من يعرفون أهمية الوقت، ولذلك فهم أسعد الناس بالاستفادة منه، والأخذ به، قال السخاوي عن شيخه ابن حجر: «... إنما كان همته المطالعة والقراءة والسماع والعبادة والتصنيف والإفادة، بحيث لم يكن يخلي لحظة من أوقاته عن شيء من ذلك، حتى في حال أكله وتوجهه وهو سالك، كما حكى لي ذلك بعض رفقته الذين كانوا معه في رحلته، وإذا أراد الله أمرًا هيأ أسبابه...»[٢].

واقتدى ابن قاسم بأولئك العلماء الأجلاء فكان - رحمه الله - يقرأ ويكتب حتى في حال مرضه، ناهيك عن حال صحته، وعافيته، وسفره، وإقامته، وقد ذكر ابنه الشيخ سعد، أمرًا عجبًا منه - رحمه الله تعالى - فقال: «كان لدينا في المزرعة عمال يحفرون بئرا، فلما زاد الحفر والعمق، وكأن همتهم ونشاطهم قلا، كان - رحمه الله تعالى - ينزل بكتبه وهم يحفرون البئر، ويقول: أنتم تعملون وأنا أعمل أهـ و هذه القصة تذكرنا بقصة الإمام السرخسي لما سجنه الحاكم في بئر بسب كلمة قالها، فكان تلاميذه يكتبون ما يملي عليهم وهو في البئر فكتبوا

(١) الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله حياته وسيرته ومؤلفاته (٢٤٧)، بتصرف.
(٢) الجواهر والدرر (٤٨).

عنه (المبسوط) في الفقه، ولما انتهى من إملائه لهم قال اكتبوا: هذا آخر شرح العبادات أبسط المعاني، وأيسر العبارات إملاء المحبوس عن الجمع والجماعات...»[١].

«وكان - رحمه الله تعالى - يكتب في كل وقت وينقل كتبه وأوراقه معه أينما ذهب، ولا تراه إلا في عبادة أو جالسًا لإكرام ضيف أو يكتب، وكان يكتب بعد الفجر والظهر والعصر حتى أذان المغرب، ولا يكتب في الليل إلا قليلًا لعدم توفر الإضاءة بشكل كاف، وكان له محفظة يضع فيها أوراقه وينقلها معه في كل مكان حتى إنه يرقى على مرتفع من الأرض ليشرف على أعمال المزرعة ويكتب.

وكان - رحمه الله تعالى - يقرأ في الليل، ثم يطفئ السراج لينام، فإذا به يعود ويشعل السراج مرة أخرى، ليكتب، وهكذا ينام ويستيقظ»[٢].

عبادته:

ومما ذكر عنه - رحمه الله تعالى - أنه «كان عابدًا ورعًا تقياً، يختم القرآن في كل أسبوع، وله في رمضان ختمة في كل يوم ونصف، أي يختم في رمضان عشرين ختمة.

وذكر عبد الرحمن بن عبد العزيز القاسم: أنه كان يمشي معه من بلدة البير إلى الرياض سيرًا على الأقدام، وكان سريع المشي يتقدمه في السير، لا يدركه إلا إذا سجد. اهـ

وذكر الشيخ سعد حفظه الله أنهم كانوا يسيرون معه في نواحي المزرعة فإذا به يهوي ساجدًا! ومعنى ذلك أنه كان يقرأ القرآن وهو يسير حتى في مزرعته.

وفي مرض موته في المستشفى كان يقرأ القرآن كاملًا من صدره، وإذا مر بآية

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله حياته وسيرته ومؤلفاته (٢٥٦) بتصرف.

(٢) الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله حياته وسيرته ومؤلفاته (٢٥٧) بتصرف.

أومأ إيماء حيث كان لا يستطيع السجود.

وقد ذكرت زوجته رحمها الله أنه سأل مرة: أين المصحف؟ كي يقرأ فيه، ولم يكن المصحف قريبًا فقالت متسائلة: ألست بحافظ للقرآن؟ قال: - رحمه الله -: بلى، ولكن اشتقت لحروفه.

وكان - رحمه الله تعالى - يذهب إلى المسجد قبل ساعة من غروب الشمس يوم الجمعة رغبة في إدراك ساعة الإجابة، وله نصيب من قيام الليل منذ حداثة سنة، قالت زوجته: كنت أصلي- أي في الليل-ويصلي لكنه كان كثير البكاء»[(١)].

الغيرة على محارم الله:

ومما يتصف به العلماء غيرتهم على محارم الله، وإنكارها، ولهذا كان - رحمه الله - غيورًا على محارم الله أن تنتهك، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر في عامته وخاصته.

ومن عجيب قصصه نفرته الشديدة من الشرك، وإن كان شرك أصغر، فقد سمع عاملا، أتي: إليهم في المزرعة، يقول: والنبي فقال: لا يبقى عندي، ويعلم التوحيد قبل أن يرجع به[(٢)].

وقال الشيخ عبد الله آل بسام متحدثًا عن غيرته - رحمه الله تعالى - على محارم الله: «وكان عنده غيرة على حرمات الله، ويكره جدًّا مساكنة الكفار، وجوارهم، وكان يخشى ويتخوف دائمًا بسبب الأوضاع الدينية في الدول العربية والإسلامية أن يصيبها السوء بسبب معاصيها وبعدها عن الله»[(٣)]؛ وذلك مما يشاهده هناك من خلال سفراته للعلاج من العقائد المنحرفة وأنواع المعاصي الظاهرة، فماذا يقول لو شاهد عصرنا الحاضر، والله المستعان؟!!

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله حياته وسيرته ومؤلفاته (٢٧٠-٢٧١)بتصرف.

(٢) أنظر: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله حياته وسيرته ومؤلفاته (٢٦٨).

(٣) علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢٠٦)، انظر: حاشية الروض المربع (١/ ٣).

النصيحة:

النصيحة الصادقة من القلب الصادق، تصل إلى القلب، وينتفع بها المنصوح، وكان للشيخ مشاركة في بذل النصيحة شفقة على الأمة ورفقًا بالخاصة والعامة، فقد كان يتعاهد العلماء بالنصيحة والتواصي على الحق، والصبر، وله مراسلات مع الملوك في النصيحة، فقد كان - رحمه الله تعالى - يرسل نصائح للملك سعود، ثم الملك فيصل، بخطابات يسلمها إليهم بوساطة أحد المقربين منه.

وفقد ذكر شيئًا من مناصحته ابن الشيخ سعد، وبقوله: «كان يتواصل مع الملوك بالنصيحة، وذكر أنه في أواخر سنوات عمره في عام ٩٠ أو ١٣٩١هـ كتب نصيحة للملك فيصل من صفحتين، ثم سأل أبناءه ومن حوله من يسلمها للملك فيصل؟، قلت: أنا قال: هناك رجل عند الملك فيصل اسمه حسين، اسأل عنه ودعه يدخلك على الملك، وسلم الخطاب للملك يدًا بيد، قال: فذهبت وكان الاستقبال بعد المغرب، وعندما وصلت إلى قصر الملك، وقفت مع الناس، وكان عددهم من خمسين إلى سبعين رجلا، قال: فلمحني رجل، وقال: أنت ابن قاسم؟ قلت: نعم، قال: أنا ابن حسين ماذا لديك؟ قلت: الوالد أرسلني بخطاب إلى الملك فيصل، فأخذ بيدي وأدخلني، وسلمت الخطاب للملك فيصل يدًا بيد. اهـ

ومن مناصحته أيضًا مراسلته لطلبة العلم، ومن يشفق عليه ويحبه، ومنهم الشيخ حمد الجاسر حيث كان يحبه في شبابه وبداية طلبه للعلم الشرعي، وله منزلة في قلبه حين بدأ في طلب العلم، لما يتوسم فيه من النجابة والنباهة»[1].

طرائفه:

مجالس العلماء مليئة بالعلم والفائدة، قال عنه - رحمه الله - الشيخ عبد الله ابن جبرين حفظه الله: «فلا يخلو حديثه من فائدة دينية، أو مسألة فقهية، أو

(١) الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله حياته وسيرته ومؤلفاته(٢٧٧) بتصرف.

استشهاد بآية، أو حديث»[١].

قال حفيده عبد الملك: «كان - رحمه الله تعالى - صاحب طرفة ونكتة، لا يتجاوز حدود الأدب والسمت والوقار، ولكنه كان يتبسط مع الناس، ويتواضع لهم، ويحدثهم بما يفهمون؛ولهذا أحبه العلماء والعامة، ومن تلك الطرائف:

وأنه في مرحلة قوة الإخوان كانوا يقابلون من يدخل إلى الرياض ويسألون في الأسواق: من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ وكان حظهم في أحد الأيام الجد - رحمه الله تعالى -، وهم لا يعرفونه فاستوقفوه، وسألوه الأسئلة الثلاثة.

فقال - رحمه الله تعالى - أولاً: أنا أسألكم ثم أجيب، قالوا له: اسأل قال أنتم دخلتم في الدين، أم الدين دخل فيكم، فاحتاروا وتركوه!»[٢].

سخاؤه وكرمه:

عرف - رحمه الله تعالى - بالسخاء والكرم، وتعاهده للفقراء، والمحتاجين، وطلبة العلم بما يجوده، قال حفيده عبد الملك: «كان منفقًا ذات اليمين والشمال على الفقراء والمحتاجين، وعندما ضرب البرد مزرعة جاره، وهو الذي حدثني بالقصة، وكان له الكثير من الأبناء الصغار، ذهب إليه - رحمه الله تعالى -، ومعه ما يقارب (٨٠٠٠) ريال وقال له: هذه لك، ثم قال لي: ففرحت بها فرحًا شديداً، وسد الله بها فاقتي، وحاجاتي، وكان ثمن محصولي لا يتجاوز هذا المبلغ، وكان في حينه كبيرًا.

وكان له - رحمه الله تعالى - عناية بأقاربه ومعارفه، يكرمهم ويدعوهم إلى مزرعته ويلح عليهم في ذلك، ويرسل سيارته إلى الرياض لإحضار من يرغب المجيء إليه»[٣]. لكل نجم ساطع أفول، ولكل شمس مشرقة غروب، ولكل

(١) حاشية الروض(١/ ٣).

(٢) الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله حياته وسيرته ومؤلفاته (٢٥٨).

(٣) الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله حياته وسيرته ومؤلفاته (٢٧٩)، بتصرف.

إنسان أجل تنتهي إليه حياته، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

جرت سنة الله أن هذا الأعمار تطوى، والأيام تنقضي، ولا يبقى إلا الحي القيوم، ولقد طويت صفحة حياته - رحمه الله تعالى - في ٨/ ٨/ ١٣٩٢هـ، في مدينة الرياض، وصلي عليه في جامع الرياض الكبر، و دفن في مقبرة العود.[١]

وقد ذكر حفيده عبد الملك قصة مرضه ووفاته، فقال: (أصيب الجد - رحمه الله تعالى - في حادث سيارة في عام ١٣٤٩هـ، وأثر في رأسه تأثيرًا بالغًا، واختل نظام الدم في رأسه، فأصابه من ذلك أذى كثيراً، ثم بعد ذلك عوفي، فلما ضعف جسمه، وصار مسنًّا، عاوده الألم بشدة، وأصيب بعد ذلك بسنوات بحادث سيارة آخر، ولكنه لم يؤثر عليه بشيء، ولله الحمد.

قال الوالد رحمه الله وهو يحدثنا عن ذلك في حج عام ١٤١٤هـ قال: ... لما ذهبنا إلى بيروت لم يستفد الوالد من العلاج، ثم بعد فترة ذهبنا إلى فرنسا، وبقينا فيها سبعة أشهر، وأصبح الوالد في عافية بعد أن كشفوا عليه بالأشعة، وأظهرت أن هناك دمًا جامدًا في الرأس، ولما ذكرت لهم سبب الدم، وإنه من حادث سابق، قالوا: هناك ثلاثة حلول اختر أحدها:

الأول: أن نفتح جمجمة الرأس ونشفط الدم.

الثاني: أن يذاب الدم المتجمد بالحرارة الشديدة.

الثالث: أن ننفخ الرأس مع استعمال الأدوية.

فاختار الثالث، وهي النفخ مع الأدوية، فلما استخدم الدواء تعافى، وتحسنت حاله، ولكنه لم يداوم على الدواء، حيث انتهى الدواء، ولم يوجد مثله في السعودية أهـ.

---

(١) انظر: روضة الناضر عن مآثر علماء نحد (٢٣٨)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢٠٦).

ولما مرض الجد - رحمه الله تعالى - كان الوالد محمد - رحمه الله - يذهب يوميًّا من الرياض إلى المزرعة حيث يعطي الجد حقنة -إبرة-؛ لتخفيف الألم الذي كان يصيبه في رأسه؛ ولأنه لم يبق من الإبر إلا القليل، فقد استأذن الوالد من الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله -، وقال: الإبر لا تكفي والوالد تعب حين انتهت الأدوية وأريد أن أذهب إلى فرنسا اشتري له الدواء، قال الشيخ محمد بن إبراهيم: أخشى أن تتأخر، قال الوالد: إن شاء الله ثلاثة أيام.

وكانت العلاقة مقطوعة بين المملكة وفرنسا في حينها، فذهب الوالد إلى البحرين ومنها إلى فرنسا، وأحضر الدواء، ثم رجع عن طريق ألمانيا وتركيا، ثم البحرين ثم الظهران فلما استعمل الجد الدواء قام صحيحًا.

وقد ذكر الوالد - رحمه الله - كلامًا مؤثرًا قال: لما أقبلت على المزرعة بعد هذه الرحلة فإذا بوالدي خارجها يمشي وحده، قال: فلما رآني فرح فرحًا شديدًا ومن شدة فرحه بكى، قال الوالد - رحمه الله -: ... بكى من فرحته بالدواء وذلك لشدة ما كان يجد من الألم أهـ.

ومع ذلك لم يزل مكبًّا على إخراج كتبه ومؤلفاته مع ما أصابه في حياته من ألم شديد في الرأس، وفي أواخر أيامه ضعف بصره - رحمه الله - من كثرة ما يقرأ ويكتب وهذه حال العلماء[1].

وكان - رحمه الله تعالى - قد رأى رؤيا قبل وفاته أنه أذن المؤذن فدخل المسجد للصلاة، ورأى شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام أحمد بن حنبل وجمعًا من العلماء واقفين في الصف فقدموه للصلاة!. وقال: ما أراه إلا أجلي قريب، فما بين الأذان والإقامة إلا قليل أهـ.

---

(١) جاء في ترجمة الحافظ عبد الغني المقدسي: «...وكان قد ضعف بصره من كثرة المطالعة والبكاء، وكان أوحد زمانه في علم الحديث...» ذيل الروضتين (٤٧).

ولكنه - رحمه الله تعالى - قال: إن كنت مع هؤلاء فلا علي خوف، فمكث أربعين يومًا ثم توفي، وقد ذكر الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وزير الأوقاف هذه الرؤيا عندما أتى معزيًا بوفاة ابنه الشيخ محمد ثم قال: وهذه لها مناسبة، فهو الذي أخرج مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية مجموع الفتاوى، وكذلك مؤلفات الإمام أحمد بنشر حاشية الروض، وغيرها.

وقد ذكر ابنه الشيخ أحمد - رحمه الله -: أن والده - رحمه الله تعالى - رأى شيخ الإسلام يضع التاج على رأسه.

وعندما اشتد به المرض ذهبوا به من المزرعة إلى المستشفى، وكانت شفاهه تتحرك بقراءة القرآن، ويومئ برأسه حين يمر بسجدة، وظل على هذه الحال قرابة أسبوعين حتى وافاه الأجل المحتوم في مدينة الرياض يوم ٨/ ٨/ ١٣٩٢هـ ودفن - رحمه الله تعالى - في مقبرة العود، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وحزن له العلماء، وطلبة العلم لوفاته، وقد كتبت عنه الصحف، والمجلات المحلية، وعدَّدت منافعه، وأشادت بأعماله، وفضله[1]

وقد رثاه محمد بن عبد العزيز بن هليل بقصيدة عصماء قال فيها [2]:

مصاب على الإسلام بين العوالم
على العلم والدين القوي الدعائم
رحيل رجال العلم والمجد والتقى
أولي الصدق والإخلاص من كل عالم

(١) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢٠٦)، المتبدأ والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر(٢/ ٣٠١).

(٢) ديوان زاهي الأزهار في مليح الأشعار ص ٤٤.

نجـــوم الهـــدى والرشـــد والحـــق والعلـــى
رجـــوم العـــدى مـــن كـــل غـــاو وآثـــم
فكـــم فاضـــل حبـــر جليـــل مهـــذب
حكـــيم حلـــيم ثابـــت الجـــأش حـــازم
تـــصرمت الأيـــام أيـــام عمـــره
وبـــات بأطبـــاق الثـــرى المتـــرادم
وفي اليـــوم ذا تجـــري الـــدموع غزيـــرة
كهتـــان وبـــل مـــن خـــلال الـــسواجم
وتتقـــد الأحـــشاء حزنًـــا ولوعـــة
تجـــيش بهـــا الأشـــجان مثـــل الـــضرائم
لفقـــد التقـــي الألمعـــي أخ الوفـــا
أخـــي الـــسبق في شـــأو العـــلا والمكـــارم
هـــو العابـــد الـــرحمن نجـــل محمـــد
أكيـــد الإخـــا الـــشيخ الأديـــب بـــن قاســـم
هـــو الـــصالح المحبـــوب والناصـــح الـــذي
يـــسير علـــى الـــنهج المنيـــر المعـــالم
علـــى الأصـــل والتقـــوى وحـــسن عقيـــدة
وصـــحة إيـــمان ورشـــد القـــوادم
عفـــاف وزهـــد صـــادق وتـــورع
وحـــسن اعتنـــاء في الأدا والتفـــاهم
ونـــصح وإرشـــاد وحـــزم وغيـــرة
بحكمـــة داع مـــشفق غيـــر نـــاقم

وحـــرب علـــى الإلحـــاد والغـــي والـــردى
وكـــــل انحـــــراف زائـــــغ أو جـــــرائم
ســـــخاء ونبـــــل فـــــائق وســـــماحة
وعـــــون مـــــع الإخـــــوان أوفى مـــــساهم
وترتيـــــل آيـــــات الكتـــــاب تـــــدبرا
وخـــــشية رب بالـــــسرائر عـــــالم
مفيـــد بـــما يـــدري ومـــا صـــح علمـــه
بحـــسن بيـــان واضـــح غيـــر كـــاتم
ومـــا لـــيس بالمعنيـــة عنـــه بمعـــزل
وعـــن كـــل خـــوض ســـيء أو تخاصـــم
لـــه في ســـبيل العلـــم ولحـــق والهـــدى
جهـــاد بمجهـــود الـــدؤوب المـــلازم
حـــريص علـــى نـــشر العلـــوم ونـــصرها
وتأليفهـــا والجمـــع بـــين المـــلازم
فنـــون بحـــوث ضـــم بعـــضًا لبعـــضها
بترتيـــب فـــن لائـــق مـــتلائم
لـــه القلـــب الموهـــوب عزمًـــا وقـــوة
بخـــط رشـــيد شـــيق الـــسطر راقـــم
بعـــزم وجـــد واهـــتمام مواظـــب
ولم يثنـــه وهـــن ولا لـــوم لائـــم
فللـــه شـــوق في المعـــارف والعلـــى
بهمـــة صـــبار قـــوي العـــزائم

ويكفيك عن عد الخصال لماجد
عظيم مساع في سجل المكارم
فقد طار في الآفاق بالخير ذكره
وسار إلى أدنى وأقصى الأقالم
فنوجوا له خير الثواب مضاعفا
بواسع إحسان من الله دائم
وأن يخلف المولى بخير تكرما
ويجبر صدعًا في المصاب المداهم
وسبحان رب دائم أبدع الورى
ويفني الورى محي العظام الرمائم
وكل ملاق في الحساب جزاءه
وما الله يوما للعباد بظالم
فيانعم من يلقى السعادة فائزا
وبئس لحظ خاسر الربح نادم
من الله نرجوا العفو واللطف رأفة
وأحسن عقبى وهو أرحم راحم
وحمدًا وتسليمًا مع الصبر والرضا
بكل قضاء الله أعدل حاكم
وأزكى صلاة الله ربي مسلما
على المصطفى الهادي الأمين بن هاشم
وأتباعه الأبرار ما ناح طائر
وهب الصبا وأنهل صوب الغمائم

ومما لا شك فيه أن من مات وخلف ذلك العلم الكثير النافع فإن أعماله الصالحة لم تنقطع؛ لأنه مذكور كل حين يترحم عليه في كل لحظة قرئ فيها كتاب من كتبه، والذي يدعو له بالرحمة هم خيرة خلق الله تعالى من العلماء وطلبة العلم الذين يستغفر لهم كل شيء حتى الحيتان في قعر المحيطات؛ فرحم الله الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمة واسعة وجميع علماء الأمة الربانيين.

المطلب الثالث

تلقيه العلم ورحلاته

تقدم الحديث عن بداية طلب الشيخ للعلم وأنها كانت في مسقط رأسه حيث أخذ فيها رأس العلوم وذروة سنامها وهو كتاب الله تعالى حفظًا وتجويدًا وإتقاناً، إلا أن أصحاب الهمم العالية من أمثال الشيخ - رحمه الله تعالى - لا تقف هممهم عند حد بل لا يزالوا يطلبون العلم ويستزيدون فيه مقتدين في ذلك بخير البرية صلوات الله وسلامه عليه عندما قال له ربه عز وجل: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

رحلاته العلمية: [١]

لقد كان ديدن العلماء وطلبة العلم قديمًا وحديثًا هو الاستزادة من العلم والرغبة في التحصيل العلمي فلم يكن بعد العالم أو الكتاب حاجزًا عندهم ولا مانعًا من السعي من أجل الحصول عليه..

وكانت تدفعه أمه إلى طلب العلم، وترسل له ما يحتاج (ووصيتها التي كتبت في عام ١٣١٧ هـ تنبئ عن ذلك).

ويذكر أن محمد بن عبد الله بن زومان - أمير بلدة البير في حينه، وهو من أخوال أبناء الشيخ، كان حريصاً على طلب الشيخ عبد الرحمن للعلم، حيث قال لأمه: "أقرئي ولدك القرآن...." ولما حفظ القرآن، قال لها: "ادفعيه لطلب العلم..."[٢].

سمت همته إلى طلب العلم خارج بلده، فرحل - رحمه الله - إلى موطن العلماء في عصره حيث سافر إلى الرياض قبلة العلماء في حينه، وتلقى العلم على

(١) ينظر: عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته. ص ٥١ وما بعدها (مرجع سابق).
(٢) ينظر: عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته. ص ٢١ بتصرف.

أيدي جملة من العلماء فيها.

وهكذا كان الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى - فقد كان عصره بحاجة إلى من يتصف بقوة الجلد والصبر في تحمل مشاق جمع تراث الأئمة الأعلام عامة وخاصة المجددين للدين ليخرجه لطلاب العلم بطريقة عصرية بعد ظهور المطبعة وانتشار المطبوعات فقام الشيخ - رحمه الله تعالى - بهذا الجهد خير قيام..

فقد رحل - رحمه الله تعالى - رحلات جمع فيها علمًا كثيرًا ومخطوطات نادرة، ورسائل فريدة، ولم يكن له هدف من تلك الرحلات سوى جمع ذلك التراث المهم، وإن ظن البعض أن هناك هدفًا ظاهرًا - وهو العلاج مثلًا كما في بعض رحلاته - إلا أن الحقيقة أن هدفه الحقيقي كان كما ذكرت [١]، ويتضح ذلك من خلال حمله لكل ما يتعلق بجمع ذلك التراث كالدفاتر التي كان يكتب فيها مظان وجود المخطوطات والفهارس التي كان يحملها لكل ما سبق جمعه ونحو ذلك، ولا شك أنه - رحمه الله تعالى - قد لقي الدعم في رحلاته تلك من العلماء في زمنه ومن ولاة الأمر وخاصة الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه، ومن العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله تعالى -. [٢]

وأبرز معالم منهجيته - رحمه الله تعالى - يمكن تلخيصها فيما يلي:

أ - الجمع: فكان يقوم بتصوير المخطوطات التي يعثر عليها في رحلاته تلك ثم يقوم بتوثيقها والتأكد من نسبتها ونحو ذلك مما هو مهم في عملية جمع المخطوطات.

ب - تحقيق النص وتصحيحه: دون إثقاله بالحواشي حتى يخرج لطلاب

(١) ينظر: عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته. ص ٨٢ (مرجع سابق).
(٢) ينظر: المرجع السابق.

العلم أقرب ما يكون إلى الحالة التي كتبه بها مؤلفه.

يقول - رحمه الله تعالى -: (وأعيذ بالله من يتولاه - يقصد رسائل شيخ الإسلام - أن يحشي عليه، فهو ذهب مصفى حققه من قد علمت نزرًا من مزايا فضله، فهو غني عن زعم تحقيق بعض المعاصرين، الذين لم يبلغوا شأوه، وغني عن عنونتهم وغيرها أثناء كلامه، وعن تعليقاتهم، فلبعضهم من الاعتراضات والسقطات ما يعرفه الناقد البصير)[١].

ج - فهرسته: عمل عليها ابنه الشيخ محمد - رحمه الله - فهرساً مفصلاً كان كالتقريب لها ويقع في مجلدين ضخمين.

د - أنه - غالبًا - يقرأ ما جمعه على العلماء ليتأكد من صحة جمعه ودقة تصحيحه.

قال - رحمه الله تعالى - متحدثًا عن الدرر السنية: (وأعانني عليه شيخنا الفاضل، الحبر الثقة، الشيخ محمد بن الشيخ إبراهيم، وحرره وهذبه، أعدته وأبديته عليه فزها، فظهر آثار القبول عليه وأبهى، كررت الفقه عليه مراراً، والأصول وغيرها إمرارًا.

وقرأت أكثره على شيخنا النبيل، الشيخ محمد بن الشيخ عبد اللطيف وعلى الشيخ: سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ: عبد الله بن عبد العزيز العنقري، فجاء بحمد الله جامعًا جل رسائلهم وفتاويهم، بل كلها إلا قليلًا)[٢].

وبعد عرض منهجية الشيخ وأهداف رحلاته وتوضيح بعض الدعم الذي كان يعينه عليها وخاصة من الناحية العلمية من المشايخ الذين ذكرهم نخلص إلى سرد لأهم رحلاته - رحمه الله تعالى - ونوجزها في الآتي:

١ - الرحلة إلى الحجاز حيث كان يفتش في مكتبة الحرم المكي، فاستخرج

---

(١) المرجع السابق ص ٦٩.

(٢) انظر مقدمة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله تعالى لكتاب الدرر السنية.

منها مسائل مفيدة، كما تلقى مسائل أخرى من بعض علماء الحرم الأفاضل.[١]

٢ – رحلته إلى بيروت في سنة ١٣٧٢هـ حيث كان يقوم ببعض الفحوصات الطبية، وعندما أنهاها توجه إلى مكتبة بيروت العمومية، للبحث عن كل ما يتعلق بشيخ الإسلام من مخطوطات أو كتب مطبوعة أو رسائل ونحو ذلك، ثم فتش في مكتبة الجامعة الأمريكية إلا أنه لم يجد شيئًا في المكتبتين.

٣ – الرحلة إلى الشام: ورغم أنه لم يقم بهذه الرحلة بنفسه إلا أنه هو الذي رتب لها وأمر بها ابنه محمد، وقد قام بها خير قيام حيث جمع فيها كمية كبيرة من كتب ورسائل شيخ الإسلام.

٤ – الرحلة إلى باريس مرورًا بالقاهرة: فقد سافر الشيخ – رحمه الله تعالى – للعلاج في فرنسا مرورًا بالقاهرة فقام بزيارة "دار الكتب المصرية" وجمع منها مجلدًا متوسطًا لم يكن من الموجود عنده، وبعد أن وصل إلى باريس وأجريت له عملية ناجحة بحمد الله تعالى بادر إلى شغله الشاغل الذي ما فتئ يحمل له الأوراق ألا وهو الجمع العلمي والاستزادة من العلم الشرعي النافع، فذهب إلى "مكتبة باريس الوطنية" فوجد فيها مسائل تتعلق بشيخ الإسلام، فقام بتصويرها، وهي مما لم يجده في البلدان العربية.

وتعتبر هذه الرحلات من أهم الرحلات التي قام بها الشيخ بنفسه أو رتب لها وأمر بها، ومن الواضح للعيان أهميتها من ناحية الجمع العلمي، والبحث الشرعي.[٢]

---

(١) الظاهر أن هذه الرحلة كانت بعد سنة ١٣٤٠هـ ولم أجد تحديد وقتها بشكل دقيق. يراجع: عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته. ص ٥١ (مرجع سابق).

(٢) يراجع في رحلات الشيخ كتاب عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله حياته وسيرته ومؤلفاته من ص ٥١-٥٨ (مرجع سابق).

المطلب الرابع

شيوخه وتلاميذه

نهج الشيخ - رحمه الله تعالى - هذا النهج، وسلك ذات الطريق فرحل إلى الرياض وتلقى فيها العلم عن صفوة من كبار العلماء منهم:

١- العلامة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف[١]: أخذ عنه التوحيد والعقائد والتفسير والحديث والفقه وغيرها.

٢- عبد الله بن عبد العزيز العنقري: وكان من خواص تلامذته وقد رافقه مدة من الزمن وأخذ عنه علوما جمة.

٣- الشيخ محمد بن محمود: أخذ عنه الفقه والفرائض.

٤- العلامة الشيخ سعد بن عتيق: أخذ عنه التوحيد والحديث.

كما أخذ عن غير هؤلاء من أمثال: الشيخ سليمان بن سحمان والشيخ حمد بن فارس[٢] الذي أخذ عنه علوم اللغة العربية والشيخ محمد بن

---

(١) هو: الإمام العلامة المحقق الشيخ: عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: فقيه خطيب، عالم من أشهر علماء نجد.
ولد في الهفوف، سنة ١٢٦٥هـ، وبرع في كل العلوم واشتهر بالكرم والعلم والدهاء السياسي والحنكة، توفي بالرياض سنة ١٣٤٠هـ. الأعلام للزركلي (٤/ ٩٩) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية - محماس بن عبدالله الجلعود الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م (١/ ٢٤).

(٢) هو: العلامة ذو الفنون والعلوم الشيخ حمد بن فارس بن محمد بن رميح من قبيلة سبيع ولد سنة ثلاث وستين ومائتين وألف تقريباً. وبرع في كل العلوم ودرس كثيرا من طلبة العلم. توفي في الساعة العاشرة بعد العصر في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وألف وصلي عليه في جامع الرياض وأم الناس في الصلاة عليه الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ وشيعه خلق كثير ودفن في مقبرة العود. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم (٢/ ٩٢).

مانع[١]، وغيرهم.

وقد امتاز الشيخ - رحمه الله تعالى - بالصبر وقوة الجلد في الطلب والتحصيل

قال الشيخ أبن حبرين وقد نهل من العلم وتروى من معينه، حتى اشتهر بينهم بالتفوق والتقدم على زملائه، ونبغ في شتى العلوم كالفقه والتوحيد والعقيدة والنحو وغيرها[٢].

قال الشيخ عبد الله البسام - رحمه الله -: "...فأجاد هذه العلوم إجادة تامة"[٣].

ويقول الشيخ عبد الله بن جبرين[٤] - رحمه الله تعالى -: (اشتهر هذا الشيخ في وسط القرن الرابع عشر الهجري، حيث رزقه الله تعالى الفهم والعلم الصحيح، والصبر وقوة الجلد على التعب في جمع العلم)[٥].

---

(١) هو: العلامة الفقيه الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مانع الوهيبي التميمي النجدي. ولد في مدينة عنيزة سنة ألف وثلاثمائة من الهجرة، وطلب العلم مبكرا، ورحل في طلبه إلى بلدان كثيرة، واستقر به المقام في قطر، ثم رجع إلى الحجاز ودرس في الحرم المكي ثم رجع إلى قطر، وتوفي سابع عشر شهر رجب عام ١٣٨٥هـ بمدينة بيروت على إثر عملية جراحية أجريت له، ونقل جثمانه إلى قطر ودفن بها، له مؤلفات منها: إقامة الدليل والبرهان بتحريم الإجارة على قراءة القرآن، وتحديث النظر في أخبار الإمام المهدي المنتظر، وإرشاد الطلاب إلى فضيلة العلم والعمل والآداب. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم - (٣/ ٦١).

(٢) من رسالة كتبها في ٤/ ٥/ ١٤٢٦ هـ بعنوان (ما عرفته عن شيخنا عبد الرحمن بن قاسم ـ رحمه الله تعالى ـ).

(٣) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٣/ ٢٠٣.

(٤) هو: العلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبدا لله الجبرين. ولد سنة ١٣٤٩هـ في بلد محيرقة وهي إحدى قرى «القويعية» بدأ حفظ القرآن سنة ١٣٦١هـ فحفظه عن ظهر قلب. وتعلم مبادئ النحو الإعراب والفرائض، ثم بقية العلوم وتبحر فيها، وبدأ التدريس في المساجد وغيرها، وإلقاء المحاضرات، توفي عام ١٤٣٠هـ. انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين - (١/ ١٨٢).

(٥) من رسالة كتبها الشيخ عبد الله بن جبرين في ٤/ ٥/ ١٤٢٦هـ بعنوان (ما عرفته عن شيخنا عبد =

وقد جمع الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى - علوماً جمة من هؤلاء العلماء وكان كالنحلة يجمع الرحيق من الأزهار المتنوعة الأشكال والألوان ليهضمها ويخرجها في صورة عسل مصفى امتلأت به كتبه التي ألف، وأشبع منه تلامذته الذين أخذوا عنه.

تلاميذه:[١]

إن الهدف الأساس من طلب العلم الشرعي هو العمل به وتعليمه للناس وقد أوضح النبي ﷺ ذلك في أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ بشأن القرآن الذي هو أساس كل العلوم النافعة ومنبعها: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[٢] كما بين ذلك الهدف السامي في قوله ﷺ: «**إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**»[٣]

فكان الشيخ - رحمه الله تعالى - حريصًا على تعليم الناس العلم الشرعي إما مشافهة متى ما تيسر ذلك أوعن طريق الكتابات والمؤلفات النافعة..

فقد درس في الجامع الكبير في الرياض زاد المستقنع وتلقاه عنه جماعة كثيرة من طلبة العلم.

الرحمن بن قاسم رحمه الله تعالى) نقلا عن كتاب: عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته ص ٢٤ الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ دار القاسم.

(١) ينظر: عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته.ص ٢٣٧ (مرجع سابق).

(٢) صحيح البخاري حديث رقم ٤٧٣٩

(٣) صحيح البخاري حديث رقم ٧٩ وصحيح مسلم حديث رقم ٦٠٩٣.

وممن درسهم الشيخ - رحمه الله تعالى -: الشيخ العلامة عبد الله بن جبرين والشيخ عبد الرحمن بن فريان والشيخ فهد بن حمين والشيخ عبد الرحمن بن مقرن كما درس ولديه محمد وأحمد.[١]

إلا أن انشغاله - رحمه الله تعالى - بالتأليف كان أكثر، فكان كل وقته يذهب في الجمع والتأليف.

وكأنه في ذلك - رحمه الله تعالى - يعمل بنصيحة ابن الجوزي[٢] إمام المصنفين حين قال: (رأيت من الرأي القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة.

لأني أشافه في عمري عدداً من المتعلمين، وأشافه بتصنيفي خلقاً لا تحصى ما خلقوا بعد.

ودليل هذا أن انتفاع الناس بتصانيف المتقدمين أكثر من انتفاعهم بما يستفيدونه من مشايخهم.

فينبغي للعالم أن يتوفر على التصانيف إن وفق للتصنيف المفيد، فإنه ليس كل من صنف صنف.

---

(١) عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته ص ٢٣٧

(٢) هو: العلامة الحافظ المفسر عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي البغدادي الحنبلي الواعظ، صاحب التصانيف، يرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه وأرضاه - ولد سنة تسع أو عشر وخمسمائة، سمع من ابن الحصين، والحسين بن محمد البارع، وعلي بن عبد الواحد الدينوري، وطائفة، مجموعهم يزيد على الثمانين شيخا، حدث عنه ولده العلامة محيي الدين يوسف، وولده الكبير علي الناسخ، والحافظ عبد الغني، والشيخ موفق الدين ابن قدامة، وخلق، وصنف في التفسير "المغني" ثم اختصره في أربع مجلدات وسماه "زاد المسير"، وله "تذكرة الأريب" في اللغة، و"فنون الأفنان"، ويصل مجموع تصانيفه نحو مائتين وخمسين كتابا.مرض خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين الثالث عشر من رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة. انظر ترجمته في: "سير أعلام النبلاء" ج٢١ ص٣٦٥

وليس المقصود جمع شيء كيف كان، وإنما هي أسرار يطلع الله عز وجل عليها من شاء من عباده ويوفقه لكشفها، فيجمع ما فرق، أو يرتب ما شتت، أو يشرح ما أهمل، هذا هو التصنيف المفيد.

وينبغي اغتنام التصنيف في وسط العمر، لأن أوائل العمر زمن الطلب، وآخره كلال الحواس.

وربما خان الفهم والعقل من قدر عمره، وإنما يكون التقدير على العادات الغالبة لا أنه لا يعلم الغيب فيكون زمان الطلب والحفظ والتشاغل إلى الأربعين، ثم يبتدىء بعد الأربعين بالتصانيف والتعليم)[1].

وهذا ما عمل به الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى - فأكثر من التأليف والجمع المفيد والشروح ونحو ذلك..

(١) صيد الخاطر ٧٥.

المطلب الخامس

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

إن معرفة مقدار أي عالم ومدى تبحره في العلوم يعرف من خلال مؤلفاته وتلامذته وأقوال أهل العلم فيه، وقد قدمنا آثار الشيخ العلمية وتلاميذه وسنلقي الضوء على أقوال العلماء في هذا الحبر والجهبذ النحرير..

قال الشيخ محمد بن إسماعيل المدني: (رأيت الشيخ عبد الرحمن بن قاسم فقيها في "حاشيته على الروض المربع" ومحدثًا في كتابه "إحكام الأحكام" وفرضيًّا في شرحه على "الرحبية"، وأصوليًّا في "حاشيته على ثلاثة الأصول"، ونحويًّا في شرحه "للآجرومية" إلى أن قال: وكان - رحمه الله تعالى - عالمًا تقيًّا ورعًا زاهدًا)[1].

وقال العلامة الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله تعالى: (الشيخ عبد الرحمن رحمه الله تعالى له باع طويل في فنون العلوم الشرعية في التوحيد وعلوم القرآن والحديث والفقه والفرائض والنحو، وله في هذه الفنون مؤلفات يعول عليها العلماء وطلاب العلم)[2].

وكان المعول على كتبه في المدارس السعودية في فترة طويلة من الزمن حتى قال الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق: (أما الشيخ عبد الرحمن فقد تفرغ للجمع والتأليف مما أغنى المكتبات العلمية بالكتب والمؤلفات، أذكر أننا لا نقرأ من الكتب والشروح غير ما كتبه الشيخ عبد الرحمن بن قاسم للآجرومية والرحبية وثلاثة الأصول، وكانت هذه الكتب رائجة رواج كتب أئمة الدعوة وبالأخص

---

(١) عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته ص ٢٩ (مرجع سابق).

(٢) من رسالة كتبها في ٢٩/ ٥/ ١٤٢٦هـ نقلا من كتاب عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته ص ٣٠ (مرجع سابق).

في الرياض، وتلامذة هذه المدرسة)[١].

ومما ساعد الشيخ على كثرة المؤلفات التي أعطته المكانة العلمية المرموقة ما اختصه الله به من صفات العلماء المؤلفين كحسن الخط وسرعة الكتابة والصبر على مشاق الجمع والتأليف...

قال الشيخ العلامة عبد الله بن جبرين - رحمه الله تعالى -: (... وكان حسن الخط سريع الكتابة فنسخ بيده شيئًا كثيرًا ورزقه الله الصبر والقوة بحيث لا يعتريه ملل ولا سآمة، فأكب على المطالعة والبحث والاستفادة والتنقيب عن أفراد المسائل وأماكن الأدلة حتى نال ما تمناه..)[٢].

وكان الشيخ عبد الرحمن - رحمه الله تعالى - يتمتع بسهولة العبارة في مؤلفاته وصفائها وجودة سبكها وتنسيقها وتحقيقها..

قال - رحمه الله تعالى -: (إثبات المسألة بدليلها تحقيق، وبدليل آخر تدقيق، والتعبير عنها بفائق العبارة ترقيق، وبمراعاة علم المعاني والبديع في تركيبها تنميق، والسلامة فيها من اعتراض الشرع توفيق، ونسأل الله بأسمائه الحسنى الهداية والتوفيق، لما اختلف فيه من الحق إلى أقوم طريق)[٣].

فانظر إلى هذا النسق التعبيري المحكم، وتلك المؤلفات الفريدة، وذلك الثناء العطر من نخبة العلماء في هذا البلد؛ لتعرف قيمة الرجل ومكانته العلمية، وانظر إلى انتشار آثاره العلمية وكثرة المستفيدين منها من العلماء وطلبة العلم لتعلم مدى إخلاص نيته في أعماله لله عز وجل؛ فالله يرحمه ويغفر له، ويكثر من أمثاله في هذه الأمة ليرجع الشرع المطهر إلى ما كان عليه أيام ازدهاره، وانتشاره في عصوره الذهبية.

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون ٣/ ٢٠٤.

(٢) حاشية الروض المربع ١/ ٣.

(٣) المرجع السابق ١/ ٩ .

المطلب السادس

مؤلفـــــاتـــــه

بدأ الشيخ - رحمه الله تعالى - التأليف في وقت مبكر من حياته، فقام بتأليف كتب نافعة مفيدة، كما قام بشرح كتب أخرى، وجمع بعض المخطوطات النادرة، وكان جمع المخطوطات يأخذ الحيز الأكبر من مساحة التأليف عند الشيخ كما ألف أيضًا كتبًا فريدة من نوعها، ويمكن تقسيم جهود الشيخ في إطار الجمع والتأليف إلى قسمين:

القسم الأول: جمع المخطوطات:

وقد أخذ كثيرًا من وقت الشيخ جمعه للآثار العلمية النفيسة، وأهم أعماله في هذا المجال:

١ – مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: فقد قام بجمعها بمساعدة ابنه محمد ورتبها وقسمها إلى أبواب جمع في كل باب ما يناسبه من الفتاوى فبلغت خمسة وثلاثين مجلدًا احتوت على علم كثير وأماطت اللثام عن محيا شيخ الإسلام فاتضحت بها معالم نهجه في كل العلوم، وأشرقت بها أنوار سواحل علمه وتحقيقه، فنهل طلاب العلم من معينه العذب الزلال عن طريق ذلك المجموع الفريد.

يقول العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد - رحمه الله -[1]: (إن هذا المجموع

---

(١) هو: العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد، ينتهي نسبه إلى بني زيد الأعلى، من قبيلة بني زيد القضاعية المشهورة في حاضرة الوشم، وعالية نجد، وفيها ولد عام ١٣٦٥ هـ وطلب العلم على جماعة من المشايخ الكبار، ولازم محمد الأمين الشنقيطي حتى توفي ثم سجل للماجستير ثم الدكتوراه، فنالهما، له =

المبارك "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" لابن قاسم هو غرة في جبين الدهر، زينة لأهل الإسلام، لسان صدق للعلماء، عمدة للباحثين، نفع الله به أقوامًا بعد آخرين وقد انتشر في العالمين انتشار العافية، وكتب له من القبول والانتشار ما يعز نظيره في جهود المتأخرين فالحمد لله رب العالمين)[1].

وقد أخذ هذا المجموع المبارك من عمر الشيخ وابنه محمد أكثر من أربعين سنة حتى أخرجاه مطبوعًا مبوبًا منقحًا.

يقول حفيده الشيخ عبد الملك القاسم واصفًا ما عاناه جده وأبوه في إخراج هذا العمل المبارك: (وقد أمضى الجد والوالد رحمهما الله تعالى أكثر من أربعين عامًا في جمعه وترتيبه وطبعه، وقد وجدوا في سبيل ذلك من العناء والمشقة ما أحتسب أن يكون رفعة لهمًا وذخرًا..

فقد عانيا من كثرة السفر، والبحث عن المخطوطات وترك الأهل والأبناء ومفارقة الأوطان مع قلة الزاد، ثم في قراءة وفك خط شيخ الإسلام حيث إنه قدس الله روحه كان سريع الكتابة وكان خطه في غاية التعليق والإغلاق وبعضه بدون نقط ولا تكاد تظهر حروفه وقد أشكلت على تلميذه ابن الوردي فيدعو تلميذه أبا عبد الله بن رشيق المغربي لحله)[2].

وكان ابن قاسم - رحمه الله تعالى - محتسبًا في كل ذلك الجهد الذي قام به فلم يأخذ عليه مقابلاً ماديّاً، وهل يمكن أن يؤخذ على مثل ذلك العمل الفريد

مؤلفات كثيرة منها: فقه القضايا المعاصرة: (فقه النوازل) والتقنين والإلزام.والمواضعة في الاصطلاح وغيرها توفي يوم الثلاثاء ٢٧/ ١/ ١٤٢٩هـ. المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين - (١/ ٣٧).

(١) المداخل إلى آثار شيخ الإسلام ج١ص٩٣ نقلا عن عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله حياته وسيرته ومؤلفاته ص ٦٦ (مرجع سابق).

(٢) عبد الرحمن بن قاسم جياته وسيرته ومؤلفاته ص ٣٨-٣٩ (مرجع سابق).

مقابل – أيًّا كان – من الدنيا، وهل الدنيا برمتها تساوي مجلدًا واحدًا من ذلك المجموع؟

لعل الإجابة على تلك التساؤلات عند العلماء الذين يعرفون القيمة العلمية والشرعية لذالك

قال الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز[١] – رحمه الله تعالى –: (...ومن أجمع ذلك فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –، والدرر السنية في الفتاوى النجدية جمع العلامة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم – رحمه الله تعالى –)[٢]

وكان يقرأ عليه – أعني الشيخ ابن باز – في دروسه التي في الجامع الكبير في الرياض.[٣]

وقالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ردًّا على سؤال وجه إليها ونصه: لقد شرعت قبل سنوات في قراءة فتاوى شيخ الإسلام ووصلت للمجلد (١٥) وحاشا لمثلي أن ينتقد ذلك الجهبذ الحبر، لكن وجدت فيها كثرة إسهاب وتكرار، فهل أتركها؟ وبماذا توجهون؟

فأجابت بما نصه:

ننصحك بإكمال قراءة مجموع فتاوى الإمام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – والصبر والاحتساب في ذلك، فهو كتاب عظيم القدر، جم الفوائد، كثير المسائل والمباحث الفيدة في حياة الإنسان وآخرته، إذ هو موسوعة علمية شاملة لجميع العلوم، سواء في مجال العقيدة والتوحيد، أو الفقه وأصول الفقه،

---

(١) هو: العلامة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن باز. ولد فى الرياض فى شهر ذى الحجة عام ١٣٣٠ هـ وحفظ فيها القرآن وجوده على الشيخ سعد وقاص البخارى بمكة المكرمة.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز ج٧ ص٧٠.

(٣) الإلمام بطريقة ودروس الشيخ الإمام ص٣٨ – ٤٠.

أو الحديث، والتفسير، وعلم الفلك، والمنطق والمناظرة، والملل والمذاهب، واللغة العربية، والجغرافيا، والتاريخ، وعلم النفس، وغير ذلك كثير..

فهذا الكتاب عظيم الشأن، جليل القدر، أظهر الله به الحق، وأزال به كثيرًا من شبه المبطلين، وبدع المنحرفين عن الصراط المستقيم، فلقد قارع مؤلفه - رحمه الله تعالى - أهل الباطل بالحجج النقلية والعقلية، ورد عليهم من صميم مذهبهم، فكان أعلم بمذاهب أهل الباطل من أهل الباطل أنفسهم حتى ألجمهم الحجة، وأزال الشبهة ونصر مذهب السلف، فأبان حقيقة هذا الدين وعقائده، وموافقة العقل السليم للنقل الصحيح كل ذلك مع حسن التصنيف وجودة العبارة، والتقسيم والتبيين، فمن قرأ هذا الكتاب العظيم خرج - إن شاء الله تعالى - بعقل سليم من الشبه والضلالات وفكر نير سليم ورأي سديد، وعلم غزير ينتفع به وينفع به...)[1]

إلى غير ذلك من ثناء أهل العلم على هذا المجموع المبارك الذي لا تفي الصفحات بمنافعه، ولا توضح الكلمات فوائده، فنسأل الله العلي القدير أن يجعله ذخرًا لمؤلفه وجامعه رحمهما الله تعالى.

٢ - كتاب "الدرر السنية في الأجوبة النجدية": وهو عبارة عن جمع وترتيب رسائل ومسائل علماء نجد من زمن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى زمن المؤلف رحم الله الجميع.

وقد استمر في طباعة هذا الكتاب في مكة المكرمة - حرسها الله تعالى - حوالي اثنتي عشرة سنة، إلى أن أخرج الطبعة الأولى منه بمطبعة أم القرى في سنة ١٣٥٢هـ، ثم طبع مرتين أخريين مع بعض الزيادات إلى أن اكتمل في الطبعة

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ١٢/ ١٢٥.

الثالثة باسم الطبعة الثانية منقحة ومزيدة، ووصل فيها إلى (١٦) جزءًا [١].

وقد قال - رحمه الله تعالى - في سبب جمعه لهذه الدرر: (... فأمرني من تجب طاعته علي أن أجمعها وأرتبها حسب الطاقة مع أني لست من أهل تلك البضاعة فتمادت بي الأيام أقدم رجلًا وأؤخر أخرى لكثرة الأشغال ومعالجة المعاش والضيعة وعدم الأهلية إلى أن قويت العزيمة وخلصت النية وظهرت ويسر الأمر وسهله ووفقه إليه فحينئذ أمعنت النظر وأمعنت الفكر وجمعت ما أدركته، وأعانني عليه شيخنا الفاضل الحبر الثقة الشيخ محمد بن إبراهيم..)[٢].

أما مكانة هذا الكتاب فيكفي في توضيحها عدد العلماء الذين قدموا له وقرظوه ومكانتهم العلمية، وهم: الشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ سعد ابن عتيق، والعلامة محمد بن إبراهيم[٣]، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

قال الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ - رحمه الله تعالى - في تقريظه لهذا الكتاب: (نظرت في هذا المجموع الفائق الرائق الذي جمعه ورتبه الابن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، فرأيته قد جمع علوما مهمة، ومسائل كثيرة جمة،

---

(١) طباعة الكتب ووقفها عند الملك عبد العزيز ص ٨٦ نقلا من كتاب عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته ص ٨٢ (مرجع سابق).

(٢) انظر: عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته ص ٨١ (مرجع سابق).

(٣) هو: العلامة الجليل الأصولي المحدث الفقيه الشيخ محمد بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها في حياته -رحمه الله-.
ولد في مدينة الرياض في السابع عشر من شهر محرم سنة ألف وثلاثمائة وإحدى عشرة من الهجرة، وطلب العلم مبكرا، وبرع في كل العلوم، وشغل المناصب العالية، وافتتح المعاهد العلمية، وألف الكتب النافعة، وتخرج على يديه جمهرة من العلماء. توفي - رحمه الله تعالى - ظهر يوم الأربعاء في الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ألف وثلاثمائة وتسع وثمانين.
انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم - (٢/ ٢٩).

مما أوضحه علماء أهل هذه الدعوة الإسلامية في مسائلهم ورسائلهم الساطعة أنوارها، لمن أراد الله هدايته.

فإنهم - رحمه الله تعالى - حررًوا هذه المسائل والرسائل، تحريرًا بالغاً، مشتملًا على مستنداته، من البراهين والحجة، وعلى طريق الهداية إلى واضح السبيل والمحجة، لاسيما ما تضمنه من العقائد، والردود، والنصائح التي لا تظفر بأكثرها في مجموع سواه.

وقد رتبها الترتيب الموافق، وتابع بينها التتابع المطابق، لاسيما المسائل الفقهية، التي رتبها على حسب أبواب الفقه، وفرقها فيها من غير إخلال بشيء من المقصود؛ فكان هذا المجموع هو الدرة المفقودة، والضالة المنشودة).[١]

وقد أثنى العلماء على كتاب الدرر السنية كثيرًا[٢].

القسم الثاني: ما ألفه الشيخ:

لقد اهتم الشيخ بالتأليف – كما قدمنا – اهتمامًا بالغًا وكان موفقًا في جل ما ألفه سواء من ناحية اختيار الموضوع حيث كان ينتقي مواضيع يحتاجها طلاب العلم بشكل ملح، أو من حيث معالجته للمواضيع التي يختارها، حيث كان مرتبطًا بالدليل غير مقلد لقول أحد كائنًا من كان؛ يعرف ذلك من طالع كتبه ولاحظ ثناء العلماء عليها، والانتشار والقبول الذي لقيته، ويمكن سرد تلك المؤلفات القيمة والنادرة في أبوابها على النحو التالي[٣]:

٣ – حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع.

٤ – متن أصول الأحكام.

٥ – حاشية كتاب التوحيد.

---

(١) كتاب الدرر السنية (١/ ٥ - ٦).

(٢) انظر ص ٤٦ من هذا البحث.

(٣) عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته ص ٢٧.

٦ – حاشية ثلاثة الأصول.

٧ – حاشية الدرة المضية.

٨ – السيف المسلول على عابد الرسول.

٩ – مقدمة في أصول التفسير.

١٠ – حاشية مقدمة التفسير.

١١ – حاشية مقدمة الرحبية.

١٢ – حاشية الآجرومية.

١٣ – وظائف رمضان.

١٤ – شرح أصول الأحكام.

١٥ – تحريم حلق اللحى.

١٦ – ملخص الفواكه العديدة في المسائل المفيدة[1].

١٧ – كتاب التاريخ.

وتعتبر مؤلفات الشيخ – رحمه الله تعالى – فريدة من نوعها متنوعة في مضامينها محتوية على كثير من المعارف والعلوم الشرعية النافعة، ويرجع ذلك بالأساس إلى فضل الله تعالى أولًا ثم إلى ما حبا الله به الشيخ من التبحر في العلوم وسنلقي الضوء على ذلك في المطلب الآتي لنعرف مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه رحمهم الله تعالى.

(١) سيأتي التعريف بالكتب في ص (١٥٣-١٦٧).

الفصل الأول

جهود الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى - في بيان مفهوم الدعوة وحكمها ومصادرها ومقاصدها ومجالاتها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الدعوة وحكمها وجهود الشيخ في بيانهما.

المطلب الأول: مفهوم الدعوة وجهود الشيخ في بيانه.

المطلب الثاني: حكم الدعوة وجهود الشيخ في بيانه.

المبحث الثاني: مصادر الدعوة ومقاصدها وجهود الشيخ في بيانهما.

المطلب الأول: مصادر الدعوة، وجهود الشيخ في بيانها.

المطلب الثاني: مقاصد الدعوة، وجهود الشيخ في بيانها.

المبحث الثالث: جهوده في مجالات الدعوة: (في العقيدة، والشريعة، والأخلاق).

المطلب الأول: مجالات الدعوة.

المطلب الثاني: جهود الشيخ في مجالات الدعوة.

المبحث الأول

جهود الشيخ في بيان مفهوم الدعوة وحكمها

المطلب الأول

مفهوم الدعوة، وجهود الشيخ في بيانه

أولاً: تعريف الدعوة في اللغة: [١]

الدعوة في اللغة من دعا يدعو دعوة – بالفتح – يقال: كنا في دَعوة فلان ومدعاة فلان، وهو مصدر، والمراد الدعاء إلى الطعام.

وقد تأتي الدعوة بمعنى الاستغاثة: كقولك للرجل: إذا لقيت العدو خاليًا فادع المسلمين، أي: استغث بالمسلمين.

ودعوته زيداً: سمّيته، وأصابتهم دواعي الدهر: صروفه، وأنا أداعيك: أي أحاجيك، ومنه قول الشاعر:

أُداعِيك ما مُسْتَصْحَباتٌ مع السُرى... حسانٌ وما آثارُها بِحسانِ [٢]

يعني السيوف.

ودعا بالكتاب: استحضره ومنه قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ﴾ [ص: ٥١]

ودعا أنفه الطّيب إذا وجد رائحته فطلبه، قال ذو الرمة:

أمسى بوهبين مجتازًا لمرتعه... من ذي الفوارس تدعو أنفه الربب[٣]

وتداعت عليهم القبائل من كل جانب: اجتمعت عليهم وتألبت بالعداوة،

---

(١) يراجع الصحاح في اللغة - (ج ١/ ص ٢٠٦) وتهذيب اللغة - (ج ١/ ص ٣٤٧) لسان العرب - (ج ١٤/ ص ٢٥٧) وتاج العروس - (ج ١/ ص ٨٣٨١).

(٢) أنشده أبو عبيد عن الأصمعي. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس - (ج ٢/ ص ٢٨١).

(٣) انظر: أساس البلاغة - (ج ١/ ص ١٣٤).

وفلان يدعي بكرم فعاله: يخبر عن نفسه بذلك. قال الشاعر:

فلم يبق إلا كلّ خوصاء تدعى * بذي شرفات كالفنيق المخاطر[١]

والدعوة: المرة الواحدة من الدعاء، ومنه حديث أبي أمامة - رضي الله تعالى عنه - قال: قلت: يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام[٢].

فدعوة إبراهيم عليه السلام؛ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

أما بشارة عيسى عليه السلام؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦]. ولكلمة الدعوة عدد من المعاني كالنداء؛ والدعاء؛ والاستمالة؛ والحث وغيرها.

مصطلح الدعوة في اللغة: الطلب، يقال دعا الرجل دعواً ودعاءً: ناداه والاسم الدعوة، دعوت فلاناً أي: صحت به صحت به واستدعيته، وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضًا حتى يجتمعوا، ودعاه: صاح به، ومنه الدعاء والأدعي[٣].

هذه مجمل معاني الدعوة في اللغة وهي في غالبها تدور على طلب الفعل من الآخر أيًّا كان على الوجه اللائق به من أمر أو طلب أو دعاء ونحو ذلك من معاني الطلب.

---

(١) انظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف - (ج ١/ ص ٦١).

(٢) مسند الإمام أحمد حديث رقم ٢٢٢٦١ (٣٦/ ٥٩٥) قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف.

(٣) انظر تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، مادة (دع ى)، ٦/ ٢٣٣٦-٢٣٣٧، الطبعة الثانية (بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

ثانياً: الدعوة في الاصطلاح الشرعي:

أما الدعوة في الاصطلاح الشرعي[١] فيراد بها عند الإطلاق أحد معنيين:

المعنى الأول: دعوة الناس إلى الدخول في الإسلام.

المعنى الثاني: دعوة الداخلين فيه إلى التمسك بتعاليمه وتطبيقها في حياتهم اليومية وفي المجال الدعوي والدراسات الدعوية يقصد هذا المفهوم على العموم، أي دعوة الناس كافة إلى دين الله تعالى على وجه العموم سواء كانت الدعوة إلى الإسلام وترك الكفر، أو الدعوة إلى الطاعة وترك المعصية، أو الدعوة إلى فعل العمل الفاضل وترك المفضول.

ومن التعريفات الاصطلاحية التي جاءت بمعنى "النشر والبلاغ" مايلي: قول شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله تعالى - (الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين.... والدعوة إلى الإيمان بالله..)[٢].

إن المقصود بالدعوة إلى الله تعالى الدعوة إلى دينه، وهو الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

قال الإمام ابن كثير[٣] - رحمه الله تعالى -: (وقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ

---

(١) يراجع: د.فالح بن محمد بن فالح الصغير.سلسلة أحاديث في الدعوة والتوجيه. حديث مثل ما بعثني الله دراسة حديثية دعوية - (ج ١/ ص ٣٢) ورضا أحمد صمدي ٣٠ طريقة لخدمة الدين - (ج ١/ ص ٧٦).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم ١٥/ ١٥٧.

(٣) هو: عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القيسي البصروي، مفسر بارع، ومحدث متقن، وفقيه متفنن، ولد سنة سبعمائة أو بعدها بيسير، لازم المزي وقرأ عليه، وصاهره على ابنته، وأخذ عن ابن تيمية، ففتن بحبه، وامتحن بسببه، له مؤلفات نفيسة نفع الله بها، ومن أشهرها: تفسير القرآن، والبداية والنهاية، وغيرهما، توفي - رحمه الله تعالى - سنة: ٧٧٤ هـ انظر ترجمته في: "الدرر الكامنة" ج ١ ص ٤٤٥.

الإِسْلاَمُ﴾ إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد ﷺ، الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقي الله بعد بعثته محمدًا ﷺ بدين على غير شريعته، فليس بمتقبل، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقال في هذه الآية مخبرًا بانحصار الدين المتقبل عنده في الإسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وذلك أنه هو الدين الكامل الشامل، لدين جميع الأنبياء والرسل، دين السعادة والراحة والطمأنينة، ارتضاه الله لهذه الأمة، وأكمله على حبيبه وخير خلقه؛ محمد بن عبد الله ﷺ، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [المائدة: ٣].

ولذا كانت الدعوة إليه هي الدعوة المطلوبة شرعاً، وهي المرادة عند الإطلاق كما قرر ذلك علماء الأمة ودعاتها.

وسأذكر هنا أهم تعريفات الدعوة في الاصطلاح الشرعي ومن أهمها:

١ – أن الدعوة: هي السعي لنشر دين الله تعالى عقيدة وشريعة وأخلاقاً، وبذل الوسع في ذلك.[١]

٢ – أن الدعوة هي: طلب تغيير الواقع الحياتي للناس بالقول والفعل ليكون موافقًا للشريعة في جميع نواحي الحياة.[٢]

٣ – وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: (فالدعوة إلى الله تكون بدعوة

---

(١) انظر: العلماء هم الدعاة – (ص ٨) د. ناصر بن عبد الكريم العقل.

(٢) انظر: المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى – (ج ٨/ ص ٢٧٢).

العبد إلى دينه، وأصل ذلك عبادته وحده لا شريك له، كما بعث الله بذلك رسله،وأنزل به كتبه)[١].

وعرفها في موضع آخر فقال: (فالدعوة إلى الله تتضمن الأمر بكل ما أمر الله به،والنهي عن كل ما نهي الله عنه،وهذا هو الأمر بكل معروف،والنهي عن كل منكر)[٢].

كما عرفت تعريفات أخرى كثيرة ولست هنا محل الاستقصاء والإحصاء وحسبي من السوار ما أحاط بالمعصم.

فالدعوة إذن بهذه المعاني تأبى أن تنحصر في هيئة معينة ثابتة لا تتغير.

فقد دعا رسول الله ﷺ إلى دين الله بكل ما أمكنه من خطبة أو موعظة في المسجد أو في ساحة القتال أو عند المرور بالقبور ونحو ذلك..

أما في عصرنا الحاضر فإن الناظر في الواقع المعاش يعلم أنه لا يمكن حصر مفهوم الدعوة في جوانب معينة، فقد تعددت وسائلها وأشكالها في هذا العصر خاصة أكثر من غيره من العصور ويمكن - في شيء من الإيجاز - ذكر صور لذلك الاتساع لمفهوم الدعوة في هذا العصر فمنه مثلاً:

- توجيه المسلمين بالوسائل المختلفة (تلفزيون، انترنت، رسائل الجوال...) للحفاظ على وهويتهم الإسلامية، والعمل بدينهم الكامل التام، وهو ما لم يكن متاحًا في العصور السابقة.

- الغوث عند الشدائد والحروب، وهو كسابقة لم يكن ممكنًا بالشكل والحجم الممكن به الآن.

- العمل على ما يشد من أزر التضامن الإسلامي برعاية مؤسساته وإقامة

---

(١) انظر: أحكام المرتد عند شيخ الإسلام ابن تيمية - (٢/ ١٧).

(٢) انظر: المرجع السابق (٢/ ١٩).

ندوات فكرية تبقي التضامن الإسلامي حيًّا في الأذهان، وتمهد لحياته في العيان..

مفهوم الدعوة وعلاقته بمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومفهوم الدعوة أوسع كما هو معلوم من مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد يدعو الداعية إنسانًا وإن لم ير عليه خطأ، وقد يدعوه – والحالة أنه كافر – إلى الدخول في الإسلام إلى غير ذلك من الأمور التي تسمى دعوة وإن لم يمكن إطلاق مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليها، وإن كانت في حقيقتها وجوهرها أمرًا بمعروف ونهيًا عن منكر..

كما أن مفهوم الدعوة كذلك أوسع من أن ينحصر في دعوة الناس، فإن الدعوة إلى الله عز وجل على قسمين:

أ- دعوة النفس: وهي مهمة، وخاصة إذا فهمنا أن غالب الناس لا يستجيبون إلا للقدوة بمعنى أن من يدعو إلى شيء لا يعمله قل من يستجيب له، وقد أعاب الله عز وجل ذلك على من يقوم به، قال جل من قائل: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

قال العلامة القرطبي[1] – رحمه الله تعالى –: (قال ابن عباس: كان يهود المدينة يقول الرجل منهم لصهره ولذي قرابته ولمن بينه وبينه رضاع من المسلمين اثبت على الذي أنت عليه وما يأمرك به هذا الرجل يريدون محمدًا ﷺ فإن أمره حق فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه.

---

(١) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الشيخ الإمام أبو عبد الله الأنصاري الأندلسي القرطبي، صاحب التفسير، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين، حدث عن أبي علي الحسن بن محمد، ومحمد البكري، وغيرهما، صنف كتبا كثيرة مفيدة من أهمها: تفسيره المشهور بتفسير القرطبي وكتاب الأسنى في أسماء الله الحسنى، وكتاب التذكرة، وكان مستقرا بمنية بني خصيب، وتوفي بها، ودفن في شوال من سنة إحدى وسبعين وستمائة.
انظر ترجمته في: "الوافي بالوفيات" ج٢ ص٨٧ و"الديباج المذهب" ج١ ص٣١٧.

وعن ابن عباس أيضاً: كان الأحبار يأمرون مقلديهم وأتباعهم باتباع التوراة وكانوا يخالفونها في جحدهم صفة محمد ﷺ)[١].

ومن المعلوم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر في علم الأصول.

ب - دعوة الغير: وهي دعوة الناس كافة إلى الخير الذي اهتدى إليه الإنسان وهي أثر عدم الأنانية التي يتصف بها المؤمنون والدعاة، ذلك أنهم لن يقفوا ويقولوا قد وجدنا الخير وكفى، بل إنهم بحاسة محبتهم للخير للجميع سيدعون الناس ويطلبون ويرجون لهم الهداية..

وتتضح هذه الصفة في دعوات جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكل من جاء بعدهم من دعاة الخير والإيمان.

ولا يغيب عن الأذهان أنه إذا حدد مفهوم الدعوة فيما سبقت الإشارة إليه فلا يعني ذلك إغفال صفة مهمة يجب أن تكون حاضرة في مفهوم الدعوة ألا وهي الإخلاص لله تعالى، ذلك أن كثيرًا من الدعاة حين يدعو فإنما يدعو لنفسه لا إلى الله تعالى، وهذا ما نبه عليه الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - في كتاب التوحيد حيث قال - رحمه الله تعالى -: (المسألةُ الثانية: التنبيهُ على الإخلاص، لأنَّ كثيرًا لو دعا إلى الحقِّ فهو يدعو إلى نفسه).[٢]

جهود الشيخ ابن قاسم في بيان مفهوم الدعوة:

وبعد بيان مفهوم الدعوة عند العلماء الأقدمين فإنني أعرج على جهود الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى - في بيان مفهوم الدعوة؛ فقد عرفها في أماكن كثيرة من كتبه وبينها أتم بيان، ولعل أوجز تعريف وأتمه ذلك الذي بينه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المالكي ج ١ ص٣٦٥

(٢) التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين - (ص ٨٤).

- رحمه الله تعالى - في حاشية كتاب التوحيد حيث قال: (والدعوة إلى الله هي الدعوة إلى توحيده والإيمان به وبما جاءت به رسله، وذلك يتضمن الدعوة إلى أركان الإسلام وأصول الإيمان والإحسان، بل الأمر بما أمر به، والنهي عما نهى عنه، ولا تتم إلا بذلك، وأول ما يبدأ به الدعوة إلى التوحيد الذي هو معنى الشهادة، كما كان شأن المرسلين وأتباعهم)[١]

فالدعوة إذن عند الشيخ - رحمه الله تعالى - شاملة لكل تعاليم الدين أي أنها دعوة للأساس الأول الذي هو الدخول في الإسلام، ثم هي تشمل إضافة إلى ذلك الدعوة إلى الالتزام بأوامر الدين من الأوامر والنواهي، بل إنها أشمل من ذلك حيث تتضمن الدعوة إلى فعل العمل الفاضل، وترك المفضول، يضاف إلى ذلك تطعيمه - رحمه الله تعالى - لمفهوم الدعوة، بمسائل جوهرية كصفة التدرج فيها، حيث يبدأ المرء بالدعوة إلى تنقية التوحيد من شوائب الشرك، وبراثن الجاهلية، ثم بعد ذلك الدخول في العبادات الأخرى كفعل الأوامر وترك النواهي.

وقد بين - رحمه الله تعالى - تلازم الدعوة، والمشاق والأذى، حيث يبين في مواضع كثيرة من كتبه أن الداعية إلى الحق لا بد أن يلقاه من الأذى ما لقي أئمة الدعوة في كل عصر، وفي مقدمتهم - بالطبع - الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، وكأنه في ذلك يشير إلى قول الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم حين سئل أي الناس أشد بلاء قال: (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة)[٢].

---

(١) حاشية كتاب التوحيد ص ٥٥ وتعريفه رحمه الله تعالى للدعوة يقارب تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ويؤديان نفس المعنى. وراجع: مجموع الفتاوى - (١٥/ ١٥٧).

(٢) سنن الترمذي حديث رقم ٢٣٩٨ (٤/ ٦٠١) وقال: حسن صحيح.

يقول - رحمه الله تعالى -: (...فإن من قام بالدعوة إلى الله فلابد أن يحصل له من الأذى بحسب ما قام به)[١].

فالشيخ إذن يضيف عنصرًا آخر لا تخفى أهميته في مفهوم الدعوة، بالإضافة إلى تفانيه في القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى، وذلك بحساب مقدار الأذى الذي يناله في سبيل دعوته إلى دين الله تعالى، فكلما زاد دل ذلك على سيره في الاتجاه الصحيح، وتلك هي سنة الله تعالى في الكون، وهي لا تتغير، ولا تتبدل،كما قال تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٦٢] ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾[الإسراء: ٧٧].

وقد صرح بها رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم حين قال: "قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصد ذلك عن دينه"[٢]

ومن أصرح الأدلة الدالة على ذلك قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**» وقد بوب عليه البخاري - رحمه الله تعالى - فقال: باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

وقد بين الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى - أهمية الدعوة ومدى تعلق هذه الأمة بها وجعل القيام بها ركنًا من أركان الانتماء لهذه الأمة المباركة..

يقول - رحمه الله تعالى - معلقًا على استدلال الشيخ محمد بن عبد الوهاب بسورة العصر: (أوصى بعضهم بعضاً بالإيمان بالله وتوحيده، وبالكتاب والسنة

---

(١) حاشية الأصول الثلاثة، الشيخ عبدالرحمن بن قاسم ص ٢٠ الناشر: دار الزاحم الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٢) صحيح البخاري حديث رقم ٣٨٥٢- (٩/ ٤٣٥).

والعمل بما فيهما، ومنه الدعوة إليه. أي: على أداء الفرائض، وإقامة أمر الله وحدوده، ويدخل فيه الحق الواجب والمستحب، وفيه الصبر على الأذى فيه، فإن من قام بالدعوة إلى الله فلا بد أن يحصل له من الأذى بحسب ما قام به. وفي هذه السورة الكريمة التنبيه على أن جنس الإنسان كله في خسار إلا من استثنى الله، وهو من كمل قوته العلمية بالإيمان بالله، وقوته العملية بالطاعات، فهذا كماله في نفسه ثم كمل غيره بوصيته له بذلك وأمره به، وبملاك ذلك وهو الصبر، وهذا غاية الكمال. ومعنى ذلك في القرآن كثير). [١]

فالتواصي بالحق والتواصي بالصبر الذي هو الدعوة إلى الله تعالى بعينها أمر لا يستغني عنه المؤمن وإلا كان خاسرًا في الدنيا والآخرة.

بل إن الشيخ - رحمه الله تعالى - بين أن العالم الذي لا يدعو إلى الله تعالى ولا يبلغ دينه للناس هو من جملة الذين ذمهم الله تعالى بكتمان العلم، وأن علمه يكون وبالًا عليه فلا ينتفع به.

قال - رحمه الله تعالى -: (الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما انزل الله من الهدى والبيّنات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله) [٢].

وهكذا نجد أن الشيخ - رحمه الله تعالى - كان مهتمًا ببيان مفهوم الدعوة إلى الله تعالى وتوضيح أساسيات ذلك المفهوم في ثنايا كتبه - رحمه الله تعالى -، وقد وفق إلى حد كبير في بيان ذلك وتعليمه لطلبة العلم فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

---

(١) حاشية الأصول الثلاثة، الشيخ عبدالرحمن بن قاسم ص ٢٢ الناشر: دار الزاحم الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٢) المرجع السابق ص٢٢.

المطلب الثاني

حكم القيام بالدعوة وجهود الشيخ في بيانه

أولاً: الحكم في اللغة:

الحكم: [١] معروف حكم يحكم حكماً، والله عز وجل الحاكم العدل، والحكم العدل في حكمه.

وحكمت فلانًا في كذا وكذا تحكيماً، إذا جعلته إليه، والكلمة من الحكمة: التي جاءت في الخبر، الحكمة ضالة المؤمن، فكل كلمة وعظتك وزجرتك ودعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة وحكم، وهو تأويل قوله ﷺ: «**إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرًا**»[٢].

والحكم العلم والفقه قال الله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] أي علمًا وفقهًا. والحكم أيضاً: المنع، ومنه سميت حَكَمَةُ الدابة وهي حديدة في اللجام، لأنها تمنع الدابة من مخالفة مراد صاحبها.

ويطلق الحكم بمعنى القضاء، وفيه معنى المنع؛ لأن قضاء القاضي يمنع ضياع الحقوق. فالحكم في اللغة إذن يدور على معان منها: المنع، والعلم، والفقه، والعدل، وغير ذلك..

ثانياً: حكم القيام بالدعوة: [٣]

الحكم في الاصطلاح اختلف فيه العلماء كل حسب اختصاصه وعرف لغته و الذي يهمنا في هذا المبحث هو الحكم الفقهي للدعوة، هل هي واجبة، أم

---

(١) يراجع: النهاية في غريب الأثر - (١/ ١٠٢٣) ولسان العرب - (١٢/ ١٤٠) وجمهرة اللغة - (١/ ٢٩٢).

(٢) سنن ابن ماجه حديث رقم ٣٧٥٥- (٢/ ١٢٣٥) وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: صحيح

(٣) ينظر: درر الحكام في شرح مجلة الأحكام (ج ١٣/ ٦٣) والبحر المحيط (ج١/ ١٣١).

سنة، أم مندوبة، وإذا كانت واجبة فهل هو الوجوب العيني الذي يراد من كل مسلم، أم أنه الوجوب الكفائي؟ ومن هنا فلا بد أن يعرف الواجب العيني والكفائي حتى يكون القارئ على بصيرة من الموضوع الذي تتم معالجته.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، قد يتوهم الجاهل من ظاهر هذه الآية الكريمة عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١]، ولكن نفس الآية فيها الإشارة إلى أن ذلك فيما إذا بلغ جهده فلم يقبل منه المأمور، وذلك في قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾؛ لأن من ترك الأمر بالمعروف لم يهتد، وممن قال بهذا حذيفة، وسعيد بن المسيب، كما نقله عنهما الألوسي في تفسيره، وابن جرير، ونقله القرطبي عن سعيد ابن المسيب، وأبي عبيد القاسم بن سلام، ونقل نحوه ابن جرير عن جماعة من الصحابة منهم ابن عمر وابن مسعود.[٢]

فالواجب ينقسم إلى واجب عيني، وواجب كفائي، واجب عيني ويسمى فرض عين، وواجب كفائي وهو المسمى فرض كفاية. أما الواجب العيني أو الفرض العيني: فهو ما خوطب كل مكلف بعينه بأدائه.[٣]

أما الواجب الكفائي: فهو ما إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين.

وقيل: هو ما خوطب المكلفون بمجموعهم بأدائه لا بكل فرد بعينه[٤].

وبعد هذه اللمحة الموجزة عن الحكم وأقسامه الشرعية ينبغي ذكر كلام العلماء حول حكم الدعوة، فقد اختلف العلماء قديمًا وحديثًا في حكم الدعوة

---

(١) وكذالك الدعوة.

(٢) أضواء البيان ج ٢/ ١٦٩ علم الكتب بيروت لم تذكر سنة الطبع.

(٣) راجع: أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله - (ج ١/ ٢٦) وشرح الورقات في أصول الفقه - آل الشيخ - (ص ١٩) ومعالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة - (ص ٢٧٦).

(٤) شرح متن الورقات - (ص ١٩).

إلى الله تعالى، هل هي فرض عين أم فرض كفاية؟ ومع ورود آيات كثيرة وأحاديث صحيحة في الأمر بالدعوة، ومع أن المقرر في علم الأصول وما كان عليه السلف الصالح أن الأمر للوجوب إذا لم يصرفه صارف ولا صارف في كثير من الأدلة المذكورة، أقول ومع كل ذلك فإن كثيرًا من أهل العلم يرى أن الدعوة فرض كفاية يسقط بفعل البعض؛ لأن الشارع في فروض الكفاية ينظر إلى الفعل دون النظر إلى فاعله وهذا يناسب الدعوة، بخلاف فرض العين فإن الشارع ينظر فيه إلى كل عين من أفراد المكلفين؛ بل لم يخالف في أنها من فروض الكفاية إلا قلة من العلماء.

يقول الآلوسي معلقًا على قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ...﴾ الآية: ("من" هنا قيل: للتبعيض، وقيل: للتبيين وهي تجريدية كما يقال: لفلان من أولاده جند، وللأمير من غلمانه عسكر، يريد بذلك جميع الأولاد، ومنشأ الخلاف أن العلماء اتفقوا على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية، ولم يخالف في ذلك إلا النزر... قالوا إنه من فروض الأعيان)[1]

وبهذا يتضح أن من أهم أسباب اختلاف العلماء في هذه المسألة اختلافهم في فهم المراد ب (من) في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فالذين قالوا إنها فرض كفاية قالوا: إن (من) في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾ للتبعيض، وقالوا: إن الآمرين يجب أن يكونوا علماء وليس كل الناس علماء، والذين قالوا إنها فرض عين قالوا: إن (من) لبيان الجنس، وأن المعنى: لتكونوا كلكم دعاة إلى الخير.

---

(١) روح المعاني - (٤/ ٢١).

يقول الثعالبي[١]: (ذهب الزجاج وغيره إلى أن المعنى ولتكونوا كلكم أمة يدعون، و(من) لبيان الجنس، ومعنى الآية على هذا: أمر الأمة بأن يدعوا جميع العالم إلى الخير فتدعون الكفار إلى الإسلام، والعصاة إلى الطاعة، ويكون كل واحد في هذه الأمور على منزلته من العلم والقدرة)[٢].

ثم إن الذين قالوا بأن الدعوة والأمر والنهي فرض كفاية اختلفوا هل فرض الكفاية واجب على جميع المكلفين، أم هو واجب على البعض كولاة الأمر من العلماء والأمراء ونحوهم؟

فذهب الجمهور من أهل العلم إلى أنه من فروض الكفاية[٣] مستدلين بأن الجميع يأثم بتركه؛ ولذا عده الأصوليون من فروض الكفاية.

قال العلامة الشيخ سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي[٤] في المراقي:

فروضه القضا كنهي أمر رد السلام وجهاد الكفر

---

(١) هو: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المغربي المالكي. ممن أخذ عن أبي القسم العبدوسي وحفيد ابن مرزوق والبرزلي والغبريني، وحج وأخذ عن الولي العراقي، وكان إماماً علامة مصنفاً اختصر تفسير ابن عطية في جزءين وشرح ابن الحاجب الفرعي في جزءين وعمل في الوعظ والرقائق وغير ذلك؛ ومات في سنة ست وسبعين أو في أواخر التي قبلها عن نحو تسعين سنة رحمه الله. انظر ترجمته في الضوء اللامع - (٢/ ٢٩١).

(٢) تفسير الثعالبي - (١/ ٢٩٧).

(٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٣/ ١٦).

(٤) هو: الشيخ العلامة الأصولي الفقيه المحدث عبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام محنض أحمد العلوي، نسبة إلى قبيلة "إدوعل" التي يرجع نسبها إلى علي بن أبي طالب ﷺ، ولد بعد منتصف القرن الثاني عشر الهجري، ألف تآليف مفيدة، ونظم أنظاما عديدة منها: كتابه "مراقي السعود" وشرحه "نشر البنود" وهو من أفضل ما يقرأ في علم الأصول، وله كتاب "طلعة الأنوار" في مصطلح الحديث، وشرحها هدى الأبرار، وغير ذلك. انظر ترجمته في: "مذكرة أصول الفقه" ص ٥٧.

وذهب الرازي[١] وغيره إلى أنه واجب على البعض فقط مستدلين بالاكتفاء بحصوله من البعض، قالوا فلو وجب على الكل لم يكتف فيه بفعل البعض لأنه يستبعد سقوط الواجب عن المكلف بفعل غيره، وكل من الفريقين اعترض اعتراضات على أدلة الفريق الآخر، وأجاب عن اعتراضات خصمه بأجوبة واعتراضات ليست محل بحثنا.

هذا هو تقرير مذاهب أهل العلم في مسألة حكم الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتباره جزءًا من الدعوة.

ويمكن أن يستدل لمذهب الجمهور القائل بأنها فرض كفاية بأدلة منها:

١ – أن الراجح من تفسير الآية المذكورة أن لفظة "من" فيها للتبعيض.[٢]

٢ – أن علماء الأصول قد قرروا أن فرض الكفاية لاتتكرر مصلحته بخلاف فرض العين فإن المصلحة تتكرر من فعله دائمًا كما في تكرير الصلوات الخمس من الخشوع والإخبات لله عز وجل والانكسار أمام الخالق فإن هذه المصلحة تتكرر كلما تكررت الصلوات.[٣]

قال في مراقي السعود مبينًا هذا الفرق بين فرض الكفاية وفرض العين:

مزه من العيني بأن قد حظلا تكرير مصلحته إن فعـــلا

لكن هذه الأدلة كلها وغيرها لا يمكن أن تعارض بها الأدلة الصحيحة الثابتة الدالة على أن الدعوة فرض عين على كل مكلف ومنها:

١ – حديث: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[٤].

---

(١) تفسير الرازي: (٨/ ١٥٧).

(٢) تفسير البحر المحيط (٣/ ١٦).

(٣) أنوار البروق في أنواع الفروق - (١/ ٤٧٠).

(٤) صحيح مسلم حديث رقم ١٨٦ - (١/ ٥٠).

فقد دل هذا النص الصحيح الصريح المعبر عنه بأوضح صيغة تدل على الوجوب وهي الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر (فليغيره) وإخباره أن ترك ذلك المذكور من الأمر والنهي ليس وراءه شيء من الإيمان، وتعبيره صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بلفظة: "من" التي هي من صيغ العموم المطلقة، كل ذلك لا شك أنه يدل دلالة واضحة لا لبس فيها على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين هما أساس الدعوة إلى الله واجبان وجوبًا عينيًّا.[١]

٢ - حديث عبدالله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب؛ يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنه تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»[٢].

فهذا الحديث كسابقة يصب في نفس المنحى ويدل دلالة واضحة على أن الدعوة فرض عين على كل مكلف، وأنه بانتفاء أقل درجاتها تنتفي أدنى درجات الإيمان.

٣ - حكاية الإجماع: فقد حكى ابن عبد البر[٣] إجماع المسلمين على أن تغيير

---

(١) راجع في صيغ الأمر: أضواء البيان - (٤/ ٤١٩).

(٢) صحيح مسلم حديث رقم ١٨٨ - (١/ ٥٠).

(٣) هو: الإمام العلامة حافظ المغرب، شيخ الإسلام، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، مولده في سنة ثمان وستين وثلاثمائة، أدرك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع، وصنف، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان، سمع من عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الوهراني، وأبي عمر الطلمنكي، والحافظ أبي الوليد بن الفرضي، وخلق، وحدث عنه أبو محمد بن حزم، وأبو العباس بن دلهاث الدلائي، وأبو محمد بن أبي قحافة، =

المنكر واجب على كل من قدر عليه وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى فإن ذلك لا يجب أن يمنعه من تغييره، فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فيقلبه ليس عليه أكثر من ذلك.[١]

وهناك أوجه للجمع بين القولين أعني القول بأن الدعوة فرض كفاية والقول بأنها فرض عين، ومن المعلوم أن الجمع بين الأدلة واجب متى ما أمكن، قال في مراقي السعود:

والجمع واجب متى ما أمكنا إلا فللأخير نسخ بينا

وقد أعرضت عن ذكرها لعدم دخولها في موضوع البحث.

لكن حتى على القول بأنها فرض كفاية فإنه يجب أن لا يفهم ذلك الفهم الذي يدعو إلى التكاسل عن الدعوة والاتكالية في إقامتها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: (وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره، فما قام به غيره سقط عنه، وما عجز لم يطلب به)[٢].

وعلى هذا ففرض الكفاية واجب على الجميع؛ لأن القيام به قيام بمصلحة عامة، فالأمة مطالبة بسدها على الجملة.

يقول الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى -: (...لكن قد يصح أن يقال أنه واجب على الجميع على وجه من التجوز لأن القيام بذلك الفرض قيام بمصلحة عامة فهم مطلوبون بسدها على الجملة فبعضهم هو قادر عليها مباشرة وذلك من كان أهلًا لها والباقون وإن لم يقدروا عليها قادرون على إقامة القادرين فمن

وخلائق. قال عنه ابن حزم: لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله؛ فكيف أحسن منه. توفي رحمه الله تعالى سنة ٤٦٣ هـ. انظر ترجمته في: "سير أعلام النبلاء" ج١٨ ص١٥٣.

(١) تفسير القرطبي - (٤/ ٤٨).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ج١٥ ص١٦٦.

كان قادرًا على الولاية فهو مطلوب بإقامتها ومن لا يقدر عليها مطلوب بأمر آخر وهو إقامة ذلك القادر واجباره على القيام بها فالقادر إذا مطلوب بإقامة الفرض وغير القادر مطلوب بتقديم ذلك القادر إذ لا يتوصل إلى قيام القادر إلا بالإقامة من باب ما لا يتم الواجب إلا به وبهذا الوجه يرتفع مناط الخلاف فلا يبقى للمخالفة وجه ظاهر.(١)

ومما يؤكد ذلك أن حقيقة الكفاية على وجهها الشرعي عند العلماء لا يتصور وجوده في هذا الزمن لكثرة الفتن، واشتداد ضراوة الحرب على الإسلام وأهله وانتشار الجهل بالإسلام حتى من أبنائه وأهله ناهيك عن الآخرين من أعدائه ومن سار في ركبهم؛ فيتضح لمن نظر إلى تلك النواحي أن من يقول بوجوب الدعوة في هذا الزمن على كل مكلف أنه لم يبعد النجعة ولم يحدث بدعة؛ بل إن كلامه هو مصب كلام أهل العلم، وهو المساير لمقاصد الشرع المطهر.

أما فضل الدعوة إلى الله عز وجل فقد وردت فيه آيات كثيرة وأحاديث صحيحة وهو محل اتفاق بين أهل العلم رحمهم الله تعالى.

قال عز وحل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

هذا بالنسبة للأمة جمعاء وبيان سبب من أهم أسباب تفضيلها وخيريتها على الأمم الأخرى؛ بل إن من أخص خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه داع إلى الله عز وجل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] الآية وقال جل من قائل: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ

(١) الموافقات ج١ ص ١٧٨ – ١٧٩.

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فبين سبحانه وتعالى أنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بعث داعيًا إلى الله عز وجل وأن من اتبعه سار على نهجه في الدعوة إلى الله عز وجل على بصيرة؛ بل أمرنا ربنا عز وجل باتباعه والتأسي به كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال الإمام الشنقيطي - رحمه الله تعالى - يشترط في الآمر بالمعروف أن يكون له علم يعلم به، أن ما يأمر به معروف، وأن ما ينهى عنه منكر، لأنه إن كان جاهلاً بذلك فقد يأمر بما ليس بمعروف، وينهي عما ليس بمنكر، ولا سيما في هذا الزمن الذي عم فيه الجهل وصار فيه الحق منكراً، والمنكر معروفاً والله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ الآية [يوسف: ١٠٨] ، فدل على أن الداعي إلى الله لا بد أن يكون على بصيرة، وهي الدليل الواضح الذي لا لبس في الحق معه، وينبغي أن تكون دعوته إلى الله بالحكمة، وحسن الأسلوب، واللطافة مع إيضاح الحق. لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ الآية [يوسف: ١٢٥]، فإن كانت دعوته إلى الله بقسوة وعنف وخرق، فإنها تضر أكثر مما تنفع، فلا ينبغي أن يسند الأمر بالمعروف إسناداً مطلقاً، إلا لمن جمع بين العلم والحكمة والصبر على أذى الناس، لأن الأمر بالمعروف وظيفة الرسل، وأتباعهم وهو مستلزم للأذى من الناس، لأنهم مجبولون بالطبع على معاداة من يتعرض لهم في أهوائهم الفاسدة، وأغراضهم الباطلة، ولذا قال العبد الصالح لقمان الحكيم لولده، فيما قص الله عنه: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ الآية [لقمان: ١٧] ، ولما قال النبي ﷺ لورقة بن نوفل: «**أو مخرجي هم؟**» يعني قريشاً أخبره ورقة أن هذا الدين الذي جاء به لم يأت به أحد إلا عودي، وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: ما ترك الحق لعمر صديقاً، واعلم أنه لا يحكم على الأمر بأنه منكر،

إلا إذا قام على ذلك دليل من كتاب الله تعالى، أو سنة نبيه ﷺ، أو إجماع المسلمين.(١)

واعلم أن الدعوة إلى الله بطريقين: طريق لين، وطريق قسوة. أما طريق اللين فهي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإيضاح الأدلة في أحسن أسلوب وألطفه. فإن نجحت هذه الطريق فبها ونعمت، وهو المطلوب وإن لم تنجح تعينت طريق القسوة بالسيف حتى يعبد الله وحده وتقام حدوده، وتمتثل أوامره، وتجتنب نواهيه، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ الآية [الحديد: ٢٥](٢).

يشترط في جواز الأمر بالمعروف، ألا يؤدي إلى مفسدة أعظم من ذلك المنكر، لإجماع المسلمين على ارتكاب أخف الضررين. قال في مراقي السعود:

وارتكب لأخف من ضرين... وخيرن لدى استوا هذين.

ويشترط في وجوبه مظنة النفع به، فإن جزم بعدم الفائدة فيه لم يجب عليه، كما يدل له ظاهر قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى: ٩].

جهود الشيخ في بيان حكم الدعوة:

لقد سلك الشيخ - رحمه الله تعالى - نهج العلماء الربانيين في تبليغ دين الله تعالى بالأدلة الشرعية من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بفهم سلف الأمة والقرون المفضلة المشهود لهم بالخير وإن المطالع لكتب الشيخ - رحمه الله تعالى - يتضح له بجلاء أنه مع العلماء القائلين بوجوب الدعوة إلى الله تعالى على الأعيان، وقد أوضح هذا مرارًا في ثنايا مؤلفاته

(١) أضواء البيان ج ٢/ ص ١٧٤.
(٢) المرجع السابق ج ٢/ ص ١٧٤-١٧٥.

وحواشيه على تآليف العلماء..

يقول - رحمه الله تعالى -: (فإذا حصل له - يعني المؤمن - بتوفيق الله العلم بدين الإسلام والعمل به فيجب عليه السعي في الدعوة إليه، كما هي طريقة الرسل وأتباعهم)[١]

ويوضح هذا الحكم بجلاء فيقول في حاشية كتاب التوحيد: (لما ذكر المصنف التوحيد وفضله وتحقيقه وما يوجب الخوف من ضده، نبه بهذه الترجمة على أنه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه، فإن الرجل إذا علم وجب عليه العمل، فإذا علم وعمل وجبت عليه الدعوة إلى الله، حتى يكون من ورثة الأنبياء وعلى طريقهم وطريق أتباعهم، قال الحسن لما تلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ﴾ [فصلت: ٣٣]، قال: "هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته")[٢].

ثم إن الشيخ - رحمه الله تعالى - يسلك في توجيهه ودعوته منهج التدرج، ويرشد الدعاة إليه مبينًا لهم أنه إذا كان حكم الدعوة هو الوجوب، فالذي ينبغي هو التدرج في القيام بذلك الواجب، والسعي إلى إقامته بالطرق المفيدة المدروسة كما هو حال جميع الأنبياء، فإنهم كانوا يدعون إلى ترك الشرك أولًا ثم الإقرار بالتوحيد ثم بالشرائع وهكذا..

يقول - رحمه الله تعالى -: (وأعلى مراتب العلم الدعوة إلى الحق وسبيل الرشاد،ونفي الشرك والفساد، فإنه ما من نبي يبعث إلى قومه إلا ويدعوهم إلى

---

(١) حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم - ص١٨.

(٢)حاشية كتاب التوحيد ص ٥٥.

طاعة الله وإفراده بالعبادة، وينهاهم عن الشرك ووسائله وذرائعه،ويبدأ بالأهم فالأهم بعد ذلك من شرائع الإسلام)[١].

ويبين - رحمه الله تعالى - نوعية هذا الوجوب بأن كل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم بما يقدر عليه من الدعوة إلى الله تعالى، حتى يكمل كل واحد من أفراد الأمة أخاه، ويسد كل امرئ منهم الثغر الذي يليه، فيستقيم بناء الأمة على أحسن حال، ويرتفع طودها شامخًا عزيزًا على غير اعوجاج..

يقول - رحمه الله تعالى - في حاشية كتاب التوحيد: (وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره)[٢].

وهذا يدل أن الشيخ يختار أن الدعوة فرض كفاية.

(١) حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم - ١٨

(٢) حاشية كتاب التوحيد ص ٥٥

المبحث الثاني

جهود الشيخ في بيان مصادر الدعوة ومقاصدها

المطلب الأول

مصادر الدعوة، وجهود الشيخ في بيانها

المصدر في اللغة:

صدر: الصدر أعلى مقدم كل شيء وأوله حتى إن العرب ليقولون صدر النهار والليل وصدر الشتاء والصيف وما أشبه ذلك، وأصدرته فصدر أي رجعته فرجع والموضع مصدر ومنه مصادر الأفعال وصادره على كذا والصدر نقيض الورد، قال تعالى: ﴿حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَآءُ﴾ [القصص: ٣٣].

والمصدر ما يصدر عنه الشيء، وهو موضع الصدور، والانصراف، ويجمع على مصادر[١].

التعريف الاصطلاحي:

لقد اختلف العلماء في تعريف المصدر اصطلاحًا كل حسب اختصاصه وموضوع علمه فعرفه النحاة بأنه اسم الحدث الجاري على الفعل، وقال بعضهم هو: اسم ما سوى الزمان من مدلولي الفعل...[٢].

وعرفه المشرعون بأنه الأصل الذي يؤخذ منه التشريع[٣].

وفي اصطلاح المؤلفين هو الكتاب الذي تتخذه أصلاً لتأليفك، أو تنقل شيئاً

---

(١) المعجم الوسيط (١/ ٥١٠) تاج العروس من جواهر القاموس - (١٢/ ٣٠٠).

(٢) راجع ألفية ابن مالك وشراحها عند قوله: والمصدر اسم ما سوى الزمان من مدلولي الفعل كأمن من أمن.

(٣) معجم لغة الفقهاء - (١/ ٤٣٣).

منه إلى مقالتك أو بحثك أو كتابك، أو ترجع إليه في بحثك.[١]

أما مصادر الدعوة المقصودة في هذا المطلب فهي الأصول التي تستمد الدعوة منها أساليبها ووسائلها وطرقها؛ وهي متعددة من حيث الجملة، ولكنها تعود إلى أصول يمكن حصرها - بشيء من التجوز - فيما يلي:[٢]

أولاً: القرآن الكريم:

تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحاً:

لقد عرف علماء اللغة القرآن بأنه التنزيل العزيز وهو من مادة قرأ.

يقول ابن منظور: (القرآن التنزيل العزيز وإنما قدم على ما هو أبسط منه لشرفه قرأه يقرؤه ويقرؤه الأخيرة عن الزجاج قرءًا وقراءة وقرآنًا الأولى عن اللحياني فهو مقروء)[٣].

وأما في الاصطلاح فهو: كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقّاً، وأيقنوا أنه كلام الله حقيقة، سمعه جبريل عليه السلام من الله عز وجل، ونزل به على خاتم رسله محمد ﷺ بلفظه ومعناه المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف المحفوظ من التغيير والتبديل[٤].

وهو مصدر رئيس لكل العلوم الإسلامية، وخاصة علم الدعوة، ففيه آيات كثيرة تكررت في سور عديدة تتكلم عن أخبار الرسل الكرام وما جرى لهم مع أممهم وما خاطبهم الله تعالى به مبينًا لهم طرق الدعوة إليه، ووسائل عطف

---

(١) لسان المحدثين - (٦/ ١٤٣).

(٢) يراجع: حفظ القرآن الكريم وتعليمه في جميع مراحل التعليم والتعليم الجامعي - (١/ ٣٨) كتاب الجمع والتجريد في شرح كتاب التوحيد - (١/ ١٨٦).

(٣) لسان العرب - (١/ ١٢٨).

(٤) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة - (١/ ١٨٤).

قلوب الناس إليه ونحو ذلك.

وهذه الآيات الكريمة تستفاد منها أصول الدعوة ووسائلها التي يجب أن يتعلمها المسلم حق التعلم، ويفقهها حق الفقه مثل - أو أكثر - مما يتفقه أمور الدين الأخرى، لأن الله جل جلاله ما قصها علينا عبثًا حاشا وكلا، وما أخبرنا بها إلا لنتعلم منها ونستفيد ونتزود من معانيها العذاب ما ينير لنا طريق الدعوة إلى الله تعالى، قال جل من قائل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

فالمطلوب من أولي الألباب والحجا إذن هو الاتعاظ بغيرهم، وأن تحجزهم عقولهم عن الوقوع فيما وقع فيه من كان قبلهم من أخطاء، سواء كانت بالوقوع في المعاصي والآثام، أم كانت بالسكوت عن الإنكار على المنغمسين في المعاصي، وعدم زجرهم عنها، وأمرهم بمفارقتها: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

ولا شك أن من أهم فوائد قصص تلك الأمم السابقة، وأخبار أنبيائها معها، هو تثبيت قلوب الدعاة إلى الله عز وجل وتعليمهم أن ما يتلقونه من محاربة بالإعلام وبالسجن والتعذيب، بل وبالقتل أحيانًا إنما قد سبقوا إليه من طرف الدعاة إلى الله تعالى الأقدمين من الأنبياء والمصلحين وصبروا على كل ذلك الأذى؛ ففي هذا تنشيط لعزائم الدعاة، وتثبيت لأفئدتهم كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: (وكل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم جرى لهم من المحاجات والخصومات

وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين. كل هذا مما نثبت به فؤادك يا محمد أي قلبك ليكون لك ممن مضى من إخوانك المرسلين أسوة)[١].

ولما عدد الله تعالى أكثر عدد من الأنبياء في القرآن الكريم متواليًا أتبعه بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ومن المعلوم أن الخطاب الموجه له صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم موجه لأمته كذلك.

قال الإمام الشنقيطي[٢] - رحمه الله تعالى -: (وأما الخطاب الخاص بالنبي ﷺ في نحو قوله: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾، فقد دلت النصوص على شمول حكمه للأمة، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الآية إلى غيرها مما تقدم من الآيات، وقد علمنا ذلك من استقراء القرآن العظيم حيث يعبر فيه دائماً بالصيغة الخاصة به ﷺ، ثم يشير إلى أن المراد عموم حكم الخطاب للأمة، كقوله في أول سورة الطلاق: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، ثم قال: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾

---

(١) تفسير ابن كثير - (٢/ ٥٦٦)

(٢) هو العلامة المفسر الفقيه الأصولي اللغوي النحوي، فريد عصره، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح الجكني الحميري الشنقيطي، ولد سنة ١٣٢٥ هـ، وحفظ القرآن الكريم وعمره عشر سنوات، أخذ العلم عن خاله عبد الله بن محمد المختار وزوجته، والشيخ أحمد الأفرم بن محمد المختار، وغيرهم، وأخذ عنه العلم خلائق لا يحصون، ومن أشهرهم: الشيخ عطية محمد سالم، والشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، وغيرهما، ألف مؤلفات مفيدة نفع الله بها، ظهر بها علمه وفضله وورعه، واتباعه للحق، وعدم تقليده لأي مذهب، ومن أهمها: "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" و"دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب" و"آداب البحث والمناظرة" وغيرها، قلت: من قرأ كتب الشيخ يعلم علم اليقين أنه لم يظهر في عصره من يقارن به حفظا وتحقيقا وتنقيحا.
توفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٩٣ هـ

الآية، فدل على دخول الكل حكماً تحت قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾...)[١].

وإن من أعظم معالم الدعوة في القرآن الكريم، والتي يسترشد بها الداعية إلى الله تعالى: الإخلاص، فالداعية لا يدعو لنفسه، ولا من أجل المال والجاه، وإنما من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، قال جل من قائل: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ثانياً: السنة النبوية:

تعريف السنة لغة واصطلاحاً:

السنة لغة الطريقة والسيرة، حميدة كانت أو ذميمة، والجمع سنن.[٢]

وأما في الاصطلاح فهي: كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية.[٣]

والسنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر الدعوة؛ فحياة الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم القولية والعملية والتقريرية هي الدعوة بعينها، وهي النبراس الذي يهتدي به الدعاة في حالك ظلام أزمانهم..

ومن المعلوم أنه قد وردت أحاديث كثيرة تتعلق بطرق دعوة الناس إلى الخير ووسائل تلك الدعوة.

أما من الناحية العملية فإن ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في مكة وفي طريق الهجرة وفي المدينة وفي كل غزواته ورحلاته، ما هو إلا تعليم لكيفية معالجة الداعية للأحداث والظروف والمصاعب التي تواجهه مع القريب والبعيد، والصديق والعدو، والمؤمن والمنافق..

---

(١) أضواء البيان - (١/ ٣٧٧).

(٢) المعجم الوسيط (١/ ٤٥٦).

(٣)توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار - (١/ ٣) المؤلف: محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني الناشر: المكتبة السلفية - المدينة المنورة تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

ولا شك أن ذلك الجانب قد أمد الدعاة بمادة غزيرة جدًّا، لأن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم مر بظروف مختلفة، وأحوال متنوعة تكاد تنحصر فيها التقلبات التي يمكن أن يمر بها أي داع في كل زمان وفي كل مكان..

وإن من يتدبر تلك السيرة الطاهرة المباركة ليعلم أنه ما من حالة يكون فيها الداعية، وما من أحداث تواجهه، إلا ويجد مثلها أو شبهها أو قريب منها في سيرة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فيستقي منها الداعية الحل الصحيح الثابت والموقف السليم.

فالواجب على الداعية تعلم سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وتلمس حلول المشاكل والعقبات التي تواجهه منها فإن الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ما كان إلا قرآنًا يمشي على الأرض، فهو تطبيق عملي بشري لما أراد الله تعالى من البشر.

ثالثاً: سيرة السلف الصالح:

تعريف السلف:

السَّلف في اللغة: ما مضى وتقدم، يُقال: سلَف الشيءُ سَلَفاً: أَي مضى، والسَّلف: الجماعة المتقدِّمون، أَو القوم المتقدمون في السير[1].

وفي الاصطلاح: إذا أطلق السلف عند علماء الاعتقاد فإنما تدور كل تعريفاتهم حول الصحابة، أو الصحابة والتابعين، أو الصحابة والتابعين وتابعيهم من القرون المفضلة؛ من الأئمة الأعلام المشهود لهم بالإمامة والفضل واتباع السنة والإمامة فيها، واجتناب البدعة والحذر منها، وممن اتفقت الأمة على إمامتهم وعظيم شأنهم في الدين، ولهذا سمي الصدر الأول بالسلف الصالح[2].

---

(١) تهذيب اللغة (١٢/ ٢٩٩).

(٢) الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة - (١/ ١٥).

إن السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان هم مجيبوا دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وهم الثمرة التي البرزتها الدعوة المباركة، وخلاصة ما بذل فيه النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من التوجيه والمتابعة..

والذي لا ينكره إلا مكابر أو جاهل هو أن الصحابة رضوان الله عليهم سكنوا مع النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وعايشوه في جميع الأوقات، وتعلموا منه أسس الدعوة ومقاصدها ووسائلها، في أوقات اليسر، وساعات العسر وفهموا من خلال تعليمه لهم طرق تطبيق ذلك في الواقع المعيشي للناس، على اختلاف أحوالهم وأزمانهم، ومواقعهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية..

ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم نقلوا ذلك العلم وطبقوه على من بعدهم من التابعين..

ولا شك أن الداعية إلى الله تعالى يحتاج لجهود أولئك الدعاة الأول ليستنير بها ويجعلها مصدرًا مهمًّا من مصادر دعوته، ونبراسًا يهتدي به كلما أظلمت عليه الطرق، وتشعبت به السبل..

رابعاً: استنباطات الفقهاء:

إن الفقهاء رحمهم الله تعالى يعنون باستنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها الشرعية المتعددة، ومن هذه الأحكام ما يتعلق بالدعوة ونحوها، مثل أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد والحسبة وغيرها..

ومن المعلوم أن ما قرروه من اجتهادات في أمور الدعوة ومجالاتها، حكمه حكم اجتهاداتهم الأخرى، التي قد تصيب وقد تخطئ لكن احتمال إصابتها هو الأكثر، وهذا إذا لم تستند إلى دليل واضح، أما إن استندت إلى فهمهم للأدلة الشرعية، فاليقين قائم بأن اجتهادهم في فهمهما أولى من فهمنا، وأن استيعابهم

لمدلولاتها، أعمق من إدراكنا، فالواجب على الداعية هو الاستفادة من استنباطات الفقهاء وجعلها مصدرًا من مصادر دعوته.

وما زال الناس يتحدثون عن أثر الفقه على الداعية، وأن نجاح الداعية مرتبط بتفقهه وتبصره بأبواب الفقه المختلفة[١].

يقول مفيد خالد زرت كثيراً من المراكز الدعوية في أوربا والبلاد العربية، فوجدت الشباب المثقف هم القائمون على الدعوة فيها، وأما العلماء والمتخصصون فقل أن تجدهم، وكنت أسمع من الفتاوى الفقهية والدعوية من الشباب ما يندى له الجبين[٢].

والأصل أن يكون لكل داعية حظّ وافر من الفقه والعلم ليمارس عمله الدعوي، وكذالك يكون لكل فقيهٍ ممارسةٌ دعوية يؤدي بها زكاة علمه وفقهه.

أما الفقيه الداعية - الذي لا يعدم وجوده في الأمة - جمع الله له خير الفئتين وإجابياتهما، فآتاها الله مع العلم شرف تحمل مسئولية نشره وبثه في الأمة[٣].

خامساً: التجارب

إن من أهم معلمي الداعية الذين يدرسونه كيفية التعامل مع المدعوين، والصبر في تحمل مشاق الدعوة هو التجربة..

وتجارب الدعاة هي ثمرة تعاملهم مع الناس، وهي نتيجة تطبيق الوسائل على ضوء ما فهموه من مصادر الدعوة التي قدمنا، فالتطبيق العملي قد يظهر لهم بعض أخطائهم فيما فهموه من الأدلة، مما يؤدي بهم إلى تجنب تلك الأخطاء في

---

(١) العلاقة بين الفقه والدعوة. مفيد خالد عيد أحمد عيد ص ٨ مكتبة دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع الكويت الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٥م.

(٢) المرجع السابق ص ٩.

(٣) المرجع السابق ص ٢٤١.

المستقبل فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «**لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين**»[١].

وكما أنه لا يلدغ من جحر مرتين فإنه كذلك لا يلدغ من جحر لدغ منه أخوه على علم منه، فالواجب على الداعية أن يستفيد من تجاربه هو، كما يستفيد من تجارب الدعاة الآخرين، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها وعض عليها بالنواجذ...[٢].

جهود الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في بيان مصادر الدعوة:

لا شك أن العلامة عبد الرحمن بن قاسم كان مستحضرًا لمصادر الدعوة التي بينت وكثيرًا ما يفيد منها طلاب العلم ويستخلص منها ما يعينه في تبيين المراد الذي يصبو إلى الدعوة إليه..

فتجده مستحضرًا للقرآن العظيم مستفيدًا منه في دعوته إلى الدين مستدلًّا به في كثير من المسائل التي تعرض لها..

ومن ذلك – على سبيل المثال لا الحصر – استدلاله به على أهم ما يدعو له الداعية وهو توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة..

يقول – رحمه الله تعالى –: (ومعرفة الخالق – جل وعلا –، ضرورية فطرية والمهاجرون والأنصار وسائر السلف يعرفون الله عز وجل بتصديق الرسول ﷺ وأعلام الرسالة، ودلائلها، لا من باب النظر في الوجود، والأجسام، والأعراض، والحركة، والسكون، وكان، ويكون، ولو كان واجبًا عليهم لما أضاعوه، ولو أضاعوا الواجب ما نطق القرآن بتزكيتهم، وإنما التوحيد الذي أرسلت به الرسل، وأنزلت به الكتب، وتجب معرفته، هو: إفراد الله بالعبادة،

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم ٦١٣٣- (١٥/ ٣٦٧) وصحيح مسلم حديث رقم ٢٩٩٨ - (٤/ ٢٢٩٥).

(٢) أصول الدعوة الدكتور عبد الكريم زيدان ٤٦٥.

ونفي عبادة ما سواه الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾[١].

ولم يقتصر استحضاره للقرآن الكريم واستمداده منه على التوحيد وحده بل في غالب المسائل التي أوردها في كتبه كان يستدل بين الفينة والأخرى بالقرآن العظيم ويجعله مصدرًا مهما من مصادر دعوته، بل إنه - رحمه الله تعالى - يجعل القرآن العظيم هو مصدر كل العلوم حيث يقول - رحمه الله تعالى -: (وإنزال القرآن على محمد ﷺ لا يمتري فيه مسلم قال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات، وتواترت به السنة وأجمع عليه المسلمون، وسماه تعالى كتاباً: لجمعه العلوم، والقصص، والأخبار على أبلغ وجه.

...وجعله تبيانًا لكل شيء، بين فيه علم كل شيء، من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وكل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دينهم ودنياهم، ومعاشهم ومعادهم؛ قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ فقد اشتمل على ما يجري في العالم)[٢].

ويستمد من القصص القرآني الكريم الكثير من العبر ليدعو الناس إلى الاعتبار بقصص الأمم السابقة مع أنبيائهم وكيف عاقب الله تعالى من عصاه وأثاب من أطاعه.

يقول - رحمه الله تعالى - شارحًا قوله: "والإخبار عن الجنة، والنار، والثواب، والعقاب" في حاشيته على مقدمة التفسير يقول: (عن الجنة، وما أعد فيها من النعيم، وعن النار، وما أعد فيها من العذاب، وعن الثواب لمن أطاعه،

(١) حاشية الدرة المضية ص ١٤.

(٢) حاشية مقدمة التفسير ص١.

والعقاب لمن عصاه، ولا ريب أنه سبحانه بين في القرآن، كل ما يحتاج إليه في أصول الدين، قرر فيه التوحيد، والنبوة والمعاد بالبراهين، التي لا ينتهي إلى تحقيقها نظر، واحتج فيه بالأمثال الصمدية التي هي المقاييس العقلية، المفيدة لليقين، وإما بالآيات المشهودة من عقوبات مكذبي الرسل، ومن عصاهم ومن نصر الرسل وأتباعهم على الوجه الذي وقع وما وقع من إكرام الله لأهل طاعته، وجعل العاقبة لهم وانتقامه من أهل معصيته، وجعل الدائرة عليهم لا بمجرد الخبر، كما يظنه طوائف من أهل الكلام بل قرر أمور الآخرة، وضرب الأمثال حتى كأنه مشاهد).[1]

أما السنة النبوية فحدث ولا حرج عن اعتناء الشيخ بها، واستناده إليها عند استمداده لمصادر لما يدعو له..

ومن ذلك – مثلًا – استدلاله بها ترغيبًا للناس في طلب العلم والاشتغال به والدعوة إليه..

يقول – رحمه الله تعالى – معلقًا على آية شهادة الله والملائكة وأولي العلم: (أي: والملائكة شهدوا لله بأنه لا إله إلا هو، كما شهد الله بذلك لنفسه المقدسة، وأولوا العلم شهدوا بذلك أيضاً أنه لا إله إلا هو، وفسرت بالإقرار والتبيين والإظهار، واستشهادهم فيه تعديل وتزكية لأهل العلم إذا ارتقوا إلى هذا المقام الذي استشهدهم الله تعالى فيه على وحدانيته عز وجل، ولينتف جحد الجاحدين وانتحال المبطلين، وهذا من أعظم حاث لك على طلب العلم.

فإن الله شهد واستشهد الملائكة، واستشهد أهل العلم، ففي هذه الشهادة رفعة أهل العلم، حيث استشهدوا على ما شهد به رب العالمين، وأي ثناء أشرف من هذا الثناء عليهم وتعديلهم، وشهادته لهم على أنهم أهل العلم، وجعلهم

(١) المرجع السابق ص ١٠٥.

حجة على من أنكرها، فدل على فضل العلم، وفي الحديث: «**يحمل هذا العلم من كل أمة عدولها**»[١] وهذا أعظم مرغب في العلم وإن زهد فيه الأكثر، والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي هو نور القلوب)[٢].

أما بيانه لبقية المصادر فهو متناثر في ثنايا كتبه وحواشيه، وبين من خلال حياته العملية وكذلك من خلال جمعه لتراث السلف الصالح..

ويكفيه استفادة من سيرة السلف الصالح من جمع ذلك التراث الذي جمعه متمثلًا في فتاوى شيخ الإسلام، والدرر السنية في الأجوبة النجدية؟

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ ولكن في السنن الكبرى للبيهقي.حديث رقم ٢١٤٣٩- (١٠/ ٢٠٩): "يرث هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالين" قال ابن الوزير "...وهو حديث مشهور صححه ابن عبدالبر وروي عن أحمد ابن حنبل أنه قال: هو حديث صحيح. انظر العواصم من القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (١/ ٣٠٨-٣١٢)، ومنهم من ضعفه قال صديق حسن خان: أورده ابن عدي من طرق كثيرة كلها ضعيفة، انظر الحطة في ذكر الصحاح الستة (ص٧٠-٧١).

(٢) حاشية الأصول الثلاثة ص٧٩.

المطلب الثاني

مقاصد الدعوة، وجهود الشيخ في بيانها

إن من أهم ما يعتني به الداعية إلى الله عز وجل معرفة علم المقاصد عامة ومقاصد الدعوة بشكل خاص، حتى يعرف الغايات التي من أجلها يعمل هذا العمل، ويبذل ذلك الجهد الدائم، ويتعرض لتلك المشاق والصعاب.

وإن مقاصد الدعوة إلى الله عز وجل كثيرة ومتشعبة ولكن يمكن حصرها من حيث الجملة في ثلاثة مقاصد هي: تبليغ الدين، والسعي إلى هداية الناس، وإعلاء كلمة الله تعالى في الأرض، ولتوضيحها أذكرها مفصلة على النحو التالي:

المقصد الأول: تبليغ الدين، وتأدية الأمانة.

ذلك أن الله عز وجل قد أمر رسوله بإبلاغ رسالته إلى الناس، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

بل حصر في مواطن من كتابه دور الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في البلاغ تأكيدًا على أهمية هذا المقصد، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨].

قال العلامة الشربيني[(١)]: (﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ أي: عن الإجابة فيما دعوتهم إليه ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ أي: بما لنا من العظمة﴿عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أي: تقهرهم على

---

(١) هو: الشيخ العلامة: شمس الدين محمد بن محمد الشربيني الشافعي، الخطيب، نشأ بالقاهرة، وعلى شيوخ عصره أخذ، ولما رأوه أهلا للفتوى، والتدريس أجازوه بهما، فدرس، وأفتى، وانتفع به خلق كثير توفي عصر يوم الخميس الثاني من شعبان سنة ٩٧٧ هـ.
له مؤلفات منها: شرح كتاب المنهاج، وشرح كتابه التنبيه، و"السراج المنير" في التفسير. انظر ترجمته في: الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير (١/ ١٨٣).

امتثال ما أرسلناك به ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ لما أرسلناك به، وأما الهداية والإضلال فإلينا)[١]

واستفهم القرآن الكريم الكفار مقرعًا لهم ومبينًا أن مهمة الرسل إنما هي البلاغ المبين وتوضيح الحق للناس، وسيهدي الله من شاء من عباده بسبب قبوله ذلك البلاغ، وسيضل من شاء بسبب إعراضه عنه يقول تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

قال العلامة الألوسي: (فهل على الرسل إلا البلاغ يتضمن الإشارة إلى ردهم كأنه قيل: ما أشرتم إليه من أن اللائق بالرسل ترك الدعوة إلى خلاف ما شاءه الله تعالى منا والجري على المشيئة والسكوت عنا باطل لأن وظيفتهم والواجب عليهم هو التبليغ وهو مراد الله تعالى منهم لتقوم به حجة الله تعالى عليكم لا السكوت وترك الدعوة)[٢].

وبما أن العلماء والدعاة هم ورثة الأنبياء فقد أخذ الله عز وجل عليهم الميثاق أن يبلغوا ويبينوا دينه للناس..

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وإذا كان الله عز وجل قد أمر بالبلاغ في غير ما آية فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قد أمر به في أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «**بلغوا عني ولو آية**»[٣].

---

(١) تفسير السراج المنير (٣/ ٤٣٦).

(٢) روح المعاني - (١٤/ ١٣٨).

(٣) صحيح البخاري حديث رقم ٣٤٦١- (٨/ ٥٦٧)

يقول المناوي [١]- رحمه الله تعالى -: («**بلغوا عني**» أي انقلوا عني ما أمكنكم ليتصل بالأمة نقل ما جئت به (ولو) أي ولو كان الإنسان إنما يبلغ عني (آية) واحدة من القرآن وخصها لأنها أقل ما يفيد في التبليغ ولم يقل ولو حديثاً لأن حاجة القرآن إلى التبليغ أشد)[٢].

ومما سبق نستخلص أن من أهم غايات الداعية إلى الله عز وجل هو الوصول إلى المقصود الأول من الدعوة، وهو تبليغ الدين للناس، وتأدية الأمانة التي ورثها العلماء عن الأنبياء، وإقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الناس، والنصح لهم...

ولقد كان الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى - مهتمًّا بمسألة تبليغ الدعوة للناس بالوسائل المتوفرة، عن طريق الكتب، والدروس، ونحوها..

ويقرر - رحمه الله تعالى - أن إبلاغ الدعوة سنة كونية لم تخل الأرض منها من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة.

يقول - رحمه الله تعالى -: (ولم تزل الأنباء، في الزمن الذي مضى من الأزمان، من فضل الله ولطفه، تأتي بإبلاغ الشرائع، وإيضاح السبل لمن يشاء من الأمم الماضية، والقرون الخالية، فلم تخل الأرض من داع يدعو إلى الله، من لدن آدم، إلى أن بعث محمد ﷺ الذي ختم الله به النبيين والمرسلين، وأكمل به الدين، قال

---

(١) هو: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين: من كبار العلماء بالدين والفنون. (٩٥٢ - ١٠٣١ هـ انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي منه تآليفه.

له نحو ثمانين مصنفا، منها الكبير والصغير والتام والناقص.عاش في القاهرة، وتوفي بها. من كتبه (كنوز الحقائق - ط) في الحديث، و (التيسير - ط) في شرح الجامع الصغير. انظر: الأعلام للزركلي - (٦/ ٢٠٤).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى - (١/ ٨٨٤).

تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠] وفي الصحيحين عنه قال: «**وأنا خاتم النبيين**».[١] فلا نبي بعده ﷺ.

وأعلاناً، أي: معشر أمة هذا النبي الكريم، على كل الأمم الماضية، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

أي: عدلًا خيارًا، وجعل علماءهم، كأنبياء بني إسرائيل، يحفظون ما أتى به هذا النبي الكريم، ويبلغونه أمته، تقوم بهم حجة الله على خلقه؛ وفي الصحيحين: «**لا يزال أناس من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**»[٢]. يعني: بالحجة واللسان، والسيف والسنان)[٣].

فانظر إليه - رحمه الله تعالى - يقرر أهمية البلاغ وكونه مقصدًا مهمًّا لجميع الدعاة؛ بل هو الهدف الأساسي من الدعوة، وهو الجهد الأهم المطلوب من الداعية، ثم بعد ذلك يهدي الله عز وجل من شاء من خلقه.

المقصد الثاني: محبة الخير للناس والسعي إلى هدايتهم.

ذلك أن مقصود الداعية ليس تبليغ الدعوة فقط، وإقامة الحجة على الناس، بل إنه من أهم أغراض الداعية المخلص محبة هداية الناس، والسعي إلى ما يحقق ذلك، فيقبل على دعوته، وكله أمل في أن يهدي من الخلق ما يستطيع، وأن ينقذ الله به الناس من المعصية إلى الطاعة، ومن النار وعذابها إلى الجنة

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم ٣٥٣٥- (٩/ ٥٩) وصحيح مسلم حديث رقم ٦١٠١- (٧/ ٦٤).

(٢) صحيح البخاري حديث رقم ٧١ - (١/ ٧٥) ولفظه: «**ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**» صحيح مسلم حديث رقم ٥٠٦٦- (٦/ ٥٤).

(٣) حاشية الدرة المضية ١٠٢.

ونعيمها..

وإن صفة إخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن حلك الشرك، إلى ضوء التوحيد هي أخص خصائص الداعية..

قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

وهذا بالنسبة لإخراج الناس أو كثير منهم بسبب الدعوة؛ بل إن هداية رجل واحد هدف نبيل وكبير يحرص عليه كل الدعاة، كيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: «**فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**»(١).

إن الداعية الذي يستشعر هذا المعنى، وذلك المقصد النبيل لن يكون إلا رفيقًا بمن يدعوهم، حريصًا على هدايتهم، متلطفًا بهم في دعوته، ميسرًا لهم لا معسرًا عليهم، مبشرًا لهم لا منفراً، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا**»(٢).

وقد كان الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في المرتبة العليا من تحقيق هذا المقصد وتبيينه للدعاة، فقد كان يحب الخير لجميع المسلمين، يدل على ذلك ما سطره في كتبه، وحشى به كتب من سبقه..

يقول - رحمه الله تعالى - واصفًا الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمحبة الخير للأمة ومسترضيًا لذلك الخلق النبيل، والمقصد الأساسي من مقاصد الدعوة يقول عليه رحمة الله تعالى: (وكثيراً ما يجمع رحمه الله - عندما يرشد الطالب

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم ٢٩٤٢- (٧/ ٤٤٩) وصحيح مسلم حديث رقم ٦٣٧٦- (٧/ ١٢١).

(٢) صحيح البخاري حديث رقم ٦٩- (١/ ٧٣) وصحيح مسلم حديث رقم ٤٦٢٦- (٣/ ١٣٥٩) ولفظه: يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا.

بتقرير الأصول المهمة- بينها وبين الدعاء له، وهذا من حسن عنايته ونصحه وقصده الخير للمسلمين)[١].

ويشير - رحمه الله تعالى - إلى أن هذا المقصد صفة من صفات المسلمين عامة وخاصة الدعاة إلى الخير المجاهدين في سبيل الله من إيصال الدين للناس، وإقناعهم به ودعوتهم إليه..

يقول عليه رحمة الله تعالى: (وهكذا ينبغي لأهل الإسلام أن يكون قصدهم بجهادهم هداية الخلق إلى الإسلام والدخول فيه، وفيه مشروعية الدعوة قبل القتال، وإن كانوا قد دعوا قبل ذلك، فيندب إعادة الدعوة؛ ليعلم المشركون أن قصد المسلمين لهم بالدعوة والقتال هو دخولهم في الإسلام، ليس المراد التشفي منهم وأخذ أموالهم، لكن إن كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداء؛ لأن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون. فالدعوة دعوتان: واجبة وهي دعوة التبليغ، ومندوبة وهي تبليغهم قبل القتال)[٢].

المقصد الثالث: إعلاء كلمة الله في الأرض:

إن من أهم أهداف ومقاصد الدعوة هو إعلاء كلمة الله تعالى في الأرض، وتحقيق إظهار الدين الإسلامي، وهداية الناس إليه..

وإنه بالوصول إلى المقصدين السابقين يتحقق - بإذن الله تعالى - هذا المقصد؛ إذ أن إعلاء كلمة الله تعالى في الأرض لن تحصل إلا بعد تبليغ الناس الحق، والسعي إلى هدايتهم، وكثرة الدعاء لهم..

وإن الداعية المخلص ليستحضر دائمًا أمامه هذا الهدف النبيل ويجعله نصب عينيه، ويسعى لتحقيقه على الأرض، ليتحقق مراد الله عز وجل الشرعي

---

(١) حاشية الأصول الثلاثة ١٤.

(٢) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم - ص ١١.

كما يتحقق مراده القدري، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

ولا شك أن الشيخ - رحمه الله تعالى - قد اهتم ببيان هذا المقصد من مقاصد الدعوة وبينه في كتبه، ومن خلال حياته العملية، فقد كان يجاهد بقلمه وفكره لإعلاء كلمة الله تعالى..

يقول - رحمه الله تعالى - شارحًا قول الناظم:

وجاهدوا في الله حتى بانا دين الهدى وقد سما الأديانا

(أي: وجاهدوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، حتى ظهر دين الإسلام، الذي به الهدى والدلالة، والفوز والفلاح، وقد علا على سائر الأديان؛ فسائر الأديان غيره منسوخة، وكل عبادة لم يأت بها فباطلة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥])[١].

بل نص - رحمه الله تعالى - على أن الجهاد - بكل الوسائل - من أخص خصائص الفرقة الناجية المنصورة، وهو ذروة سنام الإسلام، والمقصد منه هو إعلاء كلمة الله تعالى في الأرض حتى يكون الدين كله لله..

يقول - رحمه الله تعالى - عند كلامه على حديث «**ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة**»[٢] الحديث: (قائمة بالعلم والجهاد والذب عن الدين، قال بعض السلف: هم أهل الحديث. ويحتمل أن تكون هذه الطائفة جماعة متعددة من أنواع المسلمين، منهم محدثون وفقهاء ومجاهدون وآمرون وناهون، والمراد العاملون بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ)[٣]

---

(١) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية - ص ١١٦.

(٢) أخرج بنحوه مسلم في صحيحه بلفظ (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين) برقم ١٥٦ (١/ ١٣٧).

(٣) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم - (٢٤/ ١١).

والداعية عندما يدعو إلى توحيد الله تعالى والإيمان بشرعه والعمل به؛ فإنه يفعل ذلك سعيًا للإصلاح في الأرض، وخدمة للعنصر البشري، وحفاظًا على سلامته؛ بل وسلامة كل الكائنات الحية على هذه الأرض، وخدمة لها..

وهذا ما يستحضره العلامة عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى - فيقول عند الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦] يقول: (قال أكثر المفسرين: أفسدوا فيها بالمعاصي، والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله لها ببعثة الرسل، وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله؛ فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به، هو أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة هو بالشرك بالله، ومخالفة أمره، ولا صلاح للأرض ولأهلها إلا أن يكون الله هو المعبود وحده دون ما سواه، والدعوة له لا لغيره، والطاعة والإتباع له ولرسوله ﷺ)[1].

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم - ٤٠.

المبحث الثالث

مجالات الدعوة وجهود الشيخ - رحمه الله تعالى - فيها (في العقيدة، والشريعة والأخلاق)

المطلب الأول

نظرة حول مجالات الدعوة

إن كثيرًا من الدعاة يجانبه الصواب حين يظن أن مجالات الدعوة محدودة برقم معين ونوع معين وتخصص معين، والأغرب من ذلك والأعجب حين يتصور أنه عاجز وغير مؤهل للقيام بواحد من تلك المجالات التي حصرها في ذهنه، وحكم على قدراته من تلقاء نفسه..

إن مجالات الدعوة كثيرة ومتنوعة بحيث يصعب وجود مسلم غير قادر على القيام ببعضها، ومن أهم مجالات الدعوة المعروفة لدى الباحثين ما يلي:

١- الخُطْبة[(١)]:

فالخطبة – أيا كانت – في الجمعة أو في أي مكان آخر تعتبر مجالا مهما من مجالات الدعوة، ينبغي للداعية توظيفها لتعليم دين الله عز وجل للناس، وتذكيرهم بضرورة الالتزام بتعاليمه، وأهمية ذلك في حياتهم اليومية..

وعلى الداعية أن يختار من المواضيع ما تمس الحاجة إليه بالنسبة للمدعوين فيراعي أحوالهم الدينية والاقتصادية والاجتماعية حتى يخاطبهم بما يفهمون، وقد قال علي ﷺ: **(حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله)**[(٢)].

---

(١) خطب يخطب خطبة بالضم فهو خاطب وخطيب وخِطْبة النِّساء بالكسر، ومنه قوله تعالى: "ولا جُناحَ عليكم فيما عَرَّضْتُم به من خِطْبَةِ النِّساء" وراجع: جمهرة اللغة - (١/ ١٢٣) النهاية في غريب الأثر - (٢/ ١١٤).

(٢) صحيح البخاري تعليقا بصيغة الجزم - حديث رقم ١٢٧ - (١/ ٥٩).

٢- الإمامة:

إن إمامة المساجد مجال آخر من مجالات الدعوة المتعددة، فينتهزه الداعية ليعلم الجاهل، ويذكر العالم، وينصح لإخوانه المصلين؛ فينظم لهم الدروس، ليعلمهم أحكام دينهم، ويلقي عليهم الكلمات النافعة؛ ليشغل أوقاتهم فيما يرضي الله عز وجل، ويقرأ عليهم من الكتب المفيدة؛ ليربطهم بمنهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى، إلى غير ذلك مما يقدمه إمام المسجد خدمة لدينه وأمته..[١] وعلى مر التاريخ كانت رسالة المسجد أكثر من مجرد أداء الصلوات فيه، فقد كان دوره في الأمة محورياً، وأساسياً، تعقد فيه الاجتماعات، وتصدر فيه القرارات، وتوزع فيه المساعدات، إلى غير ذلك من المهام التي كان المسجد يقوم بها، وربما غاب كثير منها في عصرنا الحاضر عن المساجد، والله المستعان.

٣- فتح مواقع على الشبكة العنكبوتية: فقد باتت هذه الشبكة العالمية مجالًا واسع الانتشار؛ بل هو حد السيف الآن في الصراع بين الحق والباطل، وهو الذي يستقطب أهم فئة في المجتمع وهي الشباب؛ فعلى الدعاة الاهتمام بهذا الجانب، والانتفاع بتلك الوسيلة المهمة..

ومجالات الدعوة كثيرة ومتشعبة لا يمكن حصرها[٢]، والداعية يستخدم ما أمكنه لإيصال كلمة الحق للناس، وأطرهم عليها أطرًا بالكلمة الحسنة، والدعوة النافعة، والمجادلة بالتي هي أحسن، والبعد ما أمكن عن التي هي أخشن..

---

(١) حقيقة الالتزام -، لسَمَاحَةِ الشَّيْخِ العلاّمةِ: د. عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ جِبْرِيْنِ - رحمه اللهُ تَعَالَى - قام بتنسيق الرِّسالة ونشرها: سَلمَانُ بْنُ عَبْدِ القَادِرِ أَبُوْ زَيْدٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ ولجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ (١/ ١٩) وما بعدها.

(٢) راجع: أعذار المتقاعسين المؤلف د. يحي بن إبراهيم اليحي- (١/ ١٦).

المطلب الثاني

جهود الشيخ في مجالات الدعوة

أولاً: في العقيدة:

قبل الشروع في الحديث عن جهود الشيخ ابن قاسم في الدعوة إلى الله تعالى والمتصل بموضوعات العقيدة يحسن بنا أن نعرف العقيدة في اللغة والاصطلاح.

تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً:

العقيدة في اللغة: مادة (عقد) مدارها على اللزوم والتأكد والاستيثاق يقول تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩].

وتعقيد الأيمان إنما يكون بقصد القلب وعزمه تقول العرب(اعتقد الشيء بمعنى: صلب واشتد).[١]

والعقيدة: (هي ما يعقد عليه المرء قلبه تقول اعتقدت كذا أي: عقدت عليه القلب والضمير وأصله مأخوذ من عقد الحبل إذا ربطه ثم استعمل في عقيدة القلب وتصميمه الجازم).[٢] والعقود أوثق العهود ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

هذا ما يتعلق بتعريف العقيدة في اللغة أما تعريفها في الاصطلاح فهو على النحو التالي:

العقيدة في الاصطلاح:

عرفت العقيدة في الاصطلاح بعدة تعاريف منها مايلي:

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، فصل العين، ٣/ ٢٩٦.

(٢) شرح العقيدة الواسطية، د. صالح بن فوزان الفوزان، ص٩، الطبعة السابعة (الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ م).

(العقيدة هي ما يدين به الإنسان ربه وجمعها عقائد والعقيدة الإسلامية مجموعة الأمور الدينية التي يجب على المسلم أن يصدق بها قلبه وتطئن إليها نفسه وتكون يقيناً عنده لا يمازجه شك ولا يخالطه ريب)[١].

ولقد اهتم الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى - بجميع مجالات الدعوة، وبذل جهده في استثمارها جميعًا فيما يخدم الدين والأمة الإسلامية، ولا أدل على ذلك من جمعه لذلك الحجم الهائل من التراث الإسلامي، ونشره لطلاب العلم المحتاجين له، يضاف إلى ذلك كتبه التي ألف، ومقالاته التي كتب ونشر، كل ذلك يعتبر إسهامًا بالغ الأهمية في مجالات الدعوة..

ولقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - مهتمًا بجميع أمور الدين، غير أنه يرتبها حسب أهميتها وحاجة العباد إليها، ولذلك تجده يركز على بيان التوحيد، وتعريف طلاب العلم بمدى أهميته..

يقول - رحمه الله تعالى -: (أخذ رسول الله ﷺ في بيان التوحيد والدعوة إليه، وبيان الشرك والإنذار عنه، والتحذير منه عشر سنين، قبل فرض الصلاة التي هي عماد الدين، وقبل بقية الشرائع، وبهذا يتبين لك حقيقة ما بعث به النبي ﷺ ودعت إليه الرسل كلهم هو إنذار عن الشرك، والنهي عنه، والدعوة إلى التوحيد، وبيانه وتوضيحه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال عن نوح وهود وصالح وشعيب، أول شيء بدأوا به قومهم أن قالوا: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، وخاتمهم محمد ﷺ، أول شيء دعاهم إليه أن قال: «**قولوا: لا إله إلا**

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، د.محمد أحمد ملكاوي، ص٢٠، الطبعة الثانية (الرياض: دار ابن تيمية للنشر والتوزيع والإعلام، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م).

الله»، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

وقال صلى اله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**»(١)، وفي رواية: «**فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى**»(٢)، وهذه الروايات يفسر بعضها بعضاً، فالنبي ﷺ إنما بعث بالدعوة إلى التوحيد، وذلك لأنه أساس الملة الذي تبنى عليها، وبدونه لا يبني شيء من الأعمال، فالتوحيد هو الأصل، وبقية شرائع الدين فرع عنه، فإذا زال الأصل زال الفرع، فأي بيان أبين من هذا؟ على أن التوحيد أوجب الواجبات، ومعرفته أفرض الفرائض، كونه ﷺ أخذ عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وينذر عن الشرك قبل أن تفرض عليه الفرائض)(٣).

فانظر إلى تركيزه - رحمه الله تعالى - على التوحيد، واستطراده في بيان أهميته، وعرض الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة..

ويدافع - رحمه الله تعالى - عن التوحيد وأهميته من خلال إبراز أهميته في تحديد الفرقة الناجية.. يقول عليه رحمة الله تعالى: (جاء الخبر بأن هذه الأمة ستفترق ثلاثة وسبعين فرقة(٤) وافتراقهم من أجل الاعتقاد وهذه الفرق كلها زائغة ضالة، منحرفة عن الصراط المستقيم إلا فرقة واحدة، وهي المحقة من جميع تلك الفرق، السالكة في اعتقادها منهج صفوة خلق الله محمد ﷺ وأصحابه، من غير انحراف، ولا تجاف، ولا ميل عن هديهم.

---

(١) هذه رواية في صحيح مسلم حديث رقم ١٣٠- (١/ ٣٧) والحديث في الصحيحين بألفاظ أخرى.

(٢) البخاري في صحيحه: حديث رقم ٧٣٧٢.

(٣) حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم - ١٣٦.

(٤) حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة انظره في: سنن أبي داود حديث رقم ٤٥٩٦- (٢/ ٦٠٨) وسنن ابن ماجه حديث رقم ٣٩٩١- (٢/ ١٣٢١) وسنن الترمذي حديث رقم ٢٦٤٠- (٥/ ٢٥) وقال الألباني: حسن صحيح.

فإن الحق دائمًا مع سنة رسول الله ﷺ وكل طائفة تضاف إلى غيره إذا انفردت بقول عن سائر الأئمة، لم يكن القول الذي انفردت به إلا خطأ، بخلاف أهل السنة، فإن الصواب معهم دائماً، ومن وافقهم كان الصواب معه، ومن خالفهم فالصواب معهم دونه في جميع أمور الدين، فإن الحق مع الرسول ﷺ فمن كان أعلم بسنته وأتبع لها، كان الصواب معه، وهؤلاء هم الذين يضافون إليه.

وليس هذا الأثر المذكور يجزم به، ويستدل به، ويصدق على فرقة من الثلاث والسبعين، إلا على فرقة أهل الأثر، المتمسكين بالإسلام المحض، الخالص عن الشوب، أهل السنة والجماعة، وفيهم الصديقون والشهداء، ومن أعلام الهدى ومصابيح الدجى وفيهم أئمة الدين، وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى تقوم الساعة**».[(١)]

وما عداهم من سائر الفرق قد حكموا العقول، وخالفوا المنقول، وأكبر أصول أهل البدع المعتزلة [(٢)]- يقولون: بالمنزلة بين المنزلتين، ونفي الصفات، وغير ذلك، وهم ثنتان وعشرون فرقة، والشيعة [(٣)] ومنهم: الغلاة،

---

(١) تقدم تخريجه. ص ٩٨.

(٢) المعتزلة: فرقة غلّبت العقل على الأصول والأدلّة والقياسات الأخرى، وقد شغلت الفكر الإسلامي في العصر العباسي ردحًا طويلاً من الزمن. ومؤسسها هو واصل بن عطاء على أشهر الأقوال فقد اعتزل عن مجلس الحسن البصري فسمي أصحابه المعتزلة، ومنهم تفرقت فرق كثيرة كالجعفرية والبشرية والجاحظية وغيرهم. انظر: التعريفات - (١/ ٢٨٢).

(٣) الشيعة فرقة تعتقد أن عليًا والأئمة من بعده، هم مستودع العلم وإليهم تعود أحكام الشريعة وأسرارها، وأنهم معصومون من الكبائر والصغائر، وأن الإيمان بالأئمة أو الأوصياء جزء من العقيدة ومتمم للشهادتين. وقد أصبحت هذه الآراء حول الإمام، وما يرتبط بذلك من إضفاء العصمة على الأئمة مبادئ يلتقي حولها الشيعة جميعًا (ماعدا الزيدية)، وهي تمثل الأسس الفكرية للمذهب الشيعي. وقد تفرقت هذه الفرقة إلى فرق كثيرة منها: لخطابية، والإسماعيلية والإمامية الاثناعشرية، والزيدية.

والإمامية[١] والزيدية، [٢] والخوارج[٣]: خرجوا على علي رضي الله عنه، والمرجئة[٤]، ويرون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، والنجارية،[٥] والجبرية،[٦] ويقولون: العبد مجبور على أفعاله والمشبهة [٧]: يشبهون الله بمخلوقاته، ويتشعب من كل فرقة فرق).[٨]

ثانياً: جهوده في بيان الشريعة.

تعريف الشريعة لغة واصطلاحاً:

الشريعة لغة:

يقول ابن فارس: (الشريعة هي مورد الشاربة الماء)[٩].

---

(١) الإمامية: هم الذين قالوا بالنص الجلي على إمامة علي ﷺ وكفروا الصحابة.وقد تفرقوا بدورهم إلى فرق كثيرة منها: الجعفرية، والإثنى عشرية، وغيرهما. التعريفات - (١/ ٥٣).

(٢) فرقة من الشيعة تنسب إلى زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ومذهبهم هو السائد في اليمن وهو حصر الإمامة في أولاد علي من فاطمة، ومنهم فرقة الجارودية والبترية. انظر: الفرق بين الفرق - (١/ ١٦).

(٣) فرقة خرجت على الإمام علي ﷺ وجماعة المسلمين في زمنه فسموا الخوارج، ومنهم الحرورية والإباضية والبيهسية والأزارقة. وراجع: الموسوعة العربية العالمية.

(٤) المرجئة: قوم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وقد تهمز فيقال: رجل مرجئ، والنسبة إليه مرجئى،، فإذا لم تهمز قلت: رجل مرج،، وهم المرجية بالتشديد، راجع: التعريفات - (١/ ٢٦٨) والصحاح للجوهري - (٢/ ٥٧) الفرق بين الفرق - (١/ ١٩).

(٥) النجارية: أصحاب محمد بن الحسن النجار يوافقون المعتزلة في نفي الصفات الوجودية وحدوث الكلام ونفي الرؤية.انظر: دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون - (٣/ ٢٧٣).

(٦) الجبرية: مذهب فكري يعتقد أصحابه بأن الأحداث تقرِّرها قوى لا سيطرة للمخلوقات البشرية عليها وقد سلكوا مسلكين، فمنهم متوسطة في الجبر تثبت للعبد كسبا في الفعل كالأشعرية وخالصة لا تثبت كالجهمية. انظر: التعريفات - (١/ ١٠١).

(٧) المشبهة قوم شبهوا الله تعالى بالمخلوقات ومثلوه بالمحدثات. انظر: التعريفات - (١/ ٢٧٤)

(٨) حاشية الدرة المضية ص٢٢.

(٩) معجم مقاييس اللغة ج٣ص٢٦٢.

ويقول ابن منظور: (والشرعة والشريعة في كلام العرب: مشرعة الماء: وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون، والعرب لاتسميها شريعة حتى يكون الماء عداً لاانقطاع له، ويكون ظاهراً معيناً لا يسقى بالرشاء)[١]

وقال الراغب الأصفهاني: (شرع: الشرع نهج الطريق الواضح، يقال: شرعت له طريقاً، والشرع مصدر، ثم جعل اسماً لطريق النهج فقيل له شرع وشرع وشريعة)[٢].

فالشريعة في اللغة: تفيد الطريق الواضح الظاهر الذي لا لبس فيه.

الشريعة اصطلاحاً:

كل ماسنه الله لعباده من أصول الأحكام الاعتقادية والعبادية والعملية والأخلاقية.

وقيل: الشريعة ما شرع الله لعباده من الدين وقد شرع لهم أي سن[٣]

أهمية الشريعة الإسلامية في صلاح الفرد والمجتمع.

لقد امتن الله عز وجل على هذه الأمة بأن بعث محمداً ﷺ، فأخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضيق إلى السعة والسرور، وكانوا قبل مبعثه في تخبط وظلام حالك مابين شريعة محرفة كاليهودية والنصرانية، وبين وثنية عمياء وغيرها. فلما بعث محمد ﷺ استقرت الحياة، وانتشرت الطمأنينة، فكانت شريعة محمد ﷺ صلاحاً للعباد والبلاد.لذا كانت الحاجة إلى هذه الشريعة عظيمة وهامة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة، فإن

(١) لسان العرب ج٢ص٢٩٩.
(٢) المفردات في غريب القرآن ص٢٥٨.
(٣) مختار الصحاح ج١ ص١٤١.

الإنسان مضطر إلى الشرع، فإنه بين حركتين: حركة يجلب بها ماينفعه، وحركة يدفع بها مايضره، والشرع نور الله في أرضه وحصنه الذي من دخله كان آمناً)[١] من أجل هذا عبر الله عز وجل عن هذه الشريعة بأنها روح ونور من عنده فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (فرسالة الإسلام روح العالم ونورة حياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور)[٢].

وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله – مبيناً محاسن الشريعة الإسلامية وأهميتها في الحياة: (إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها،فكل مسألة خرجت عن العدل للجور،وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي أبصر به المبصرون، وهداه الذي اهتدى به المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل، فهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأروح، فهي بهذا الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة،وكل

(١) مجموع الفتاوى ج١٩ ص٩٩.
(٢) مجموع الفتاوى ج١٩ ص٢٣.

خيرفي الوجود فإنما هو مستفاد منها وحاصل بها،وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها..فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عامود العالم، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة)[١].

فالشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع والمهيمنة عليها،فقد حوت بين طياتها كل ما يحتاجه الإنسان ويرغب فيه.

وقد امتازت الشريعة الإسلامية بعدة خصائص ومميزات: كالإلهية، والربانية، والوسطية، والشمولية، والخيرية، والوضوح، والجمع بين الثبات والمرونة والعالمية، والموازنة بين مصالح الفرد والمجتمع[٢] والتمسك بالشريعة الإسلامية له ثمرات ونتائج طيبة، كما أن ترك التمسك بها له آثاره السيئة، والله عز وجل أمرنا بالالتزام بالشريعة والأخذ بها، وحذرنا من تركها ومخالفتها، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فالتمسك بالشريعة الإسلامية وتطبيقها أساس الفلاح والسعادة وسبب للنصر والتمكين على الأعداء، فالواجب على المسلم أن يتمسك بالشريعة الإسلامية وأن يطبقها في حياته اليومية حتى يكتب له الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

لقد اهتم العلامة عبد الرحمن بن قاسم ببيان أحكام الشريعة، وحرص على الصفة الموسوعية في بيانه، فلم يكن يشغله التوحيد عن الفقه، ولا الفقه عن النحو، ولا أي فن عن الآخر؛ بل كان معتدلًا في معالجته للأحكام الشرعية، دقيقًا في اختياره للكتب التي يشرحها أو يكتب عليها الحواشي؛ بحيث تكون

---

(١) أعلام الموقعين ج٣ص١٤-١٥.

(٢) خصائص الشريعة الإسلامية للدكتور عمر الأشقر ص٣٥.

تشبع نهم طلاب العلم، وتبين دين الله عز وجل أتم بيان وأوفاه.

ومن أهم الكتب التي شرح كتاب الروض المربع الذي وضع عليه حاشية مفيدة توضح لطالب العلم ضرورة دراسة علم الفقه، وبين من خلالها كثيرًا من جوانب الشريعة.

يقول - رحمه الله تعالى - معرفًا الفقه: (قال ابن القيم: الفقه فهم المعنى المراد، ويقال: العلم بالشيء والفهم له، ويقال: الفطنة وقد غلب على علم الدين لشرفه وفضله على سائر أنواع العلم، وقال: الفقه أخص من الفهم، وهو فهم مراد المتكلم من كلامه، وهذا قدر زائد على مجرد فهم وضع اللفظ في اللغة، وبحسب تفاوت الناس في هذا تفاوت مراتبهم في الفقه والعلم اه. والفقه جعلته العرب خاصًا بعلم الشريعة، وتخصيصًا بعلم الفروع منها)[١].

ويبين في موضع آخر مكانة علم الفقه، ومبادئه فيقول - رحمه الله تعالى -: (وأفضل العلوم بعد أصل الدين الفقه، وهو الأحكام الفاصلة بين الحلال والحرام، وحده: علم شرعي عملي، مكتسب من دليل تفصيلي، وموضوعه: أفعال المكلفين، واستمداده: من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وسائر الأدلة المعروفة، كالاستصحاب، وفائدته امتثال: أوامر الله، واجتناب نواهيه، المحصلين للفوائد الدنيوية والأخروية، وحكمه: الوجوب العيني، أو الكفائي، وواضعه: الأئمة المجتهدون)[٢].

ويبين منهجه في اتباع أئمة الدين وعدم الخروج عن فهمهم لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فيقول شارحًا قول الناظم:

أئمة الدين هداة الأمة.... أهل التقى من سائر الأئمة.

---

(١) حاشية الروض المربع لابن قاسم - (١/ ٤٤).

(٢) حاشية الروض المربع لابن قاسم - (١/ ٤٥).

(أي: جميع أئمة الدين، المقتدى بأقوالهم وأفعالهم،من كل عالم همام، كالأئمة الأربعة والسفيانين[١]، والحمادين[٢]، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين، والبخاري، ومسلم، وابن المبارك، والليث، وربيعة، وابن جريج، وغيرهم؛ فإنهم سلفية، ولهم في السنة التصانيف النافعة؛ وكابن خزيمة، والدارمي، وكشيخ الإسلام ابن تيمية، فارس المعقول والمنقول، ومصنفاته في ذلك مشهورة مقبولة، لم يسبق إلى مثلها، مؤيدة بالبراهين يغترف من بحره، وغيره من السواقي)[٣].

ومن تابع كتبه وخاصة حاشية الروض المربع يجد أنه لم يترك بابًا من أبواب الشريعة إلا بينه بالأدلة الشرعية، ويركز أحيانًا على ما تعم به البلوى، ويعظم خطره على الأمة فيستطرد فيه كثيرًا مبينًا جميع جوانبه، وكأنه يريد أن يحيطه بحائط سميك، لا تستطيع أيادي الأعداء أن تظهره أو تعتليه.

ومن هنا تجده يستطرد في مسألة الفتيا – مثلًا – ويركز على الجوانب التي يعظم فيها الخطر منها فيقول – رحمه الله تعالى –: (وينبغي للمفتي أن يفتي بلفظ النص مهما أمكن، فإنه يتضمن الحكم والدليل، مع البيان التام، وكان الصحابة والتابعون، يتحرون ألفاظ النصوص، وهي حجة وعصمة، بريئة من الخطأ والتناقض والتعقيد والاضطراب.

ويحرم عليه الفتيا بخلاف النص، ولا يجوز له تخيير السائل، وإلقاؤه في الإشكال والحيرة، بل عليه أن يبين بيانًا مزيلًا للإشكال، كافيًا في حصول المقصود، لا فرق بين القاضي والمفتي، في جواز الإفتاء، بما تجوز الفتيا به،

---

(١) السفيانان هما: سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة.

(٢) الحمادان هما: حماد بن سلمة، وحماد بن زيد.

(٣) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية – ص١٤١.

ووجوبها إذا تعينت ومنصب الفتيا داخل في منصب القضاء، عند الجمهور)[١]

والأمثلة على ذلك كثيرة، ومترامية الأطراف في كتبه وحواشيه، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وأجزل له الأجر والمثوبة. والله تعالى أعلم وأحكم.

ثانياً: جهوده في بيان الأخلاق.

تعريف الأخلاق لغة واصطلاحاً.

الأخلاق لغة:

الأخلاق في اللغة جمع خلق، والخلق اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها، وهو مأخوذ من مادة (خلق) التي تدل على تقدير الشيء.

يقول ابن فارس: ومن هذ المعنى: (أي تقدير الشيء) الخلق، وهو السجية لأن صاحبه قد قدر عليه، يقال: فلان خليق بكذا: أي قادر عليه وجدير به، وأخلق بكذا أي ما أخلقه، والمعنى هو ممن يقدر فيه ذلك، والخلاق: النصيب لأنه قدر لكل أحد نصيبه[٢]

وقال الراغب: الخلق والخلق (والخلق) في الأصل واحد، لكن خص الخلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة[٣] قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وذكر القرطبي أن المراد بالخلق العظيم أدب القرآن، وقيل: هو رفقه بأمته وإكرامه إياهم، وقيل المراد: إنك على طبع كريم، وقال أيضاً: حقيقة الخلق في اللغة هو مايأخذ به الإنسان نفسه من الأدب لأنه يصير كالخلقة فيه، وأما ماطبع عليه الإنسان من الأدب فهو القيم أي السجية والطبع، وعلى ذلك يكون الخلق:

---

(١) حاشية الروض المربع لابن قاسم - (٣/ ٤٤٧).

(٢) مقاييس اللغة ج٢ص٢١٤.

(٣) المفردات ص١٥٨.

الطبع المتكلف، والقيم: الطبع الغريزي[١].

وقال ابن منظور: الخلق هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أن صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولها (أي للصورتين) أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة، ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق[٢]

الأخلاق اصطلاحاً:

الخلق: حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية[٣].

وقال الماوردي: الأخلاق هي: (غرائز كامنة، تظهر بالاختيار، وتقهر بالاطرار)[٤].

وعرفها بعظهم بعدة تعريفات:

فعرفت بأنها: (تصوير وتقييم ما ينبغي أن يكون عليه السلوك، متمشية في ذلك مع مثل أعلى أومبدأ أساسي تخضع له التصرفات الإنسانية ويكون مؤازراً للجانب الخير في الطبيعة البشرية)[٥]

يقول الدكتور عبد الرب ال نواب أن الأخلاق على مفهومين:

عام وخاص:

المفهوم العام: ويطلق على كل ماجاء به الشرع المطهر من عقائد وعبادات

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ج١٨ ص٢٧٧.

(٢) لسان العرب ج١٠ ص٨٨.

(٣) المعجم الوسيط (١/ ٢٦١).

(٤) تسهيل النظر وتعجيل الظفر ص٥.

(٥) نظرة النعيم ج١ ص٦٣.

ومعاملات، وبهذا المفهوم العام كثيراً ما يرد الأخلاق في القرآن بمعنى "الإسلام" وبمعنى "العبودية لله" وبمعنى "التقوى" و"الاستقامة" و"الأعمال الصالحة".

ومنه قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ * سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [النور: ٦٣-٧٧].

المفهوم الخاص: ويطلق على المظاهر السلوكية،كالصبر والحلم والشجاعة والكرم أي منهج التعامل مع النفس ومع الآخرين[1]، ومن النصوص الدالة عليه قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

إن عناية علماء السلف رحمهم الله تعالى بجانب الأخلاق لم يكن يقل أهمية عن عنايتهم واهتمامهم بأمور الدين الأخرى، فكانوا ينظرون قواعد الأخلاق

(١) مذكرة الأصول الأخلاقية للدعوة الإسلامية ص٢-٣.

الإسلامية العالية، ويستنبطونها من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ويعلموها للمسلمين بوسائل متعددة من أهمها:

أ- التأليف في مكارم الأخلاق، وتبيينها للناس، بالحجة والدليل والبرهان الساطع؛ حتى يعرف المسلم أن هذا خلقًا كريمًا حث عليه الخالق وأوصى به عباده مثل الكتب الكثيرة التي ألفت في العناية بحفظ الأخلاق الحميدة، والتحذير من الأخلاق الدنيئة ككتاب الآداب الشرعية لابن مفلح وغيره من كتب الأخلاق الكثيرة..

٢- الممارسة العملية: فقد كان العلماء دعاة إلى الله تعالى وإلى مكارم الأخلاق بسمتهم وطريقة معاملتهم للناس، حتى ولو لم يتكلموا بكلمة واحدة؛ فإن مجرد معايشة الإنسان لواحد منهم يتخرج على يديه بأخلاق عالية، وصفاء قلب منقطع النظير..

ولقد كان الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى - باذلًا جهده في تبيين الأخلاق الحميدة بكل الوسائل، فهو - رحمه الله تعالى - معروف بحسن خلقه، وتواضعه، ومحبته الخير للمسلمين.

يقول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين واصفًا أخلاق الشيخ - رحمه الله تعالى -: (وكان رحمه الله غيورًا على حرمات الله آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر يصدع بالحق ولا يخاف في الله لومة لائم ثم هو مع ذلك حسن السمت دمث الأخلاق دائم البشر، كريم النفس متعززًا عن رذائل الأمور وسفاسف الأخلاق وكان متواضعًا لربه لا يستنكف ولا يرفع نفسه عن إجابة الصغير والكبير ومحادثة الغني والفقير مع ما رزقه الله من الهيبة والاحترام في قلوب الخاص والعام).[1]

(١) انظر ترجمة الشيخ في مقدمة حاشية الروض المربع ج ١ ص ٤.

ويتحدث الشيخ عبد الرحمن بن قاسم عن أهمية تربية الأطفال على الأخلاق الحميدة والحذر من تركهم ينشؤون على الأخلاق الذميمة التي يستقونها من مجالس اللهو والباطل..

يقول - رحمه الله تعالى -: (مما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ على ما عوده المربي من حرد، وغضب ولجاجة، وعجلة، وخفة مع هواه، وطيش، وحدة وجشع، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له، فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته، ولا بد يوما ما يعاودها، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من التربية التي نشئوا عليها، وكذلك يجب أن يجتنب الصبي إذا عقل مجالس الباطل واللهو، فإنه إذا علق سمعه عسر عليه مفارقته في الكبر وعزَّ على وليه استنقاذه منها، وتغيير العوائد من أصعب الأمور، يحتاج صاحبها إلى استحداث طبيعة ثانية، والخروج عن حكم الطبع عسر جدًّا)[١].

ويعدد بعضًا من مكارم الأخلاق منبها على أهميتها وأنها لب شريعة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فيقول: (... فلما استقر في المدينة، أمر ببقية الشرائع كبِرِّ الوالدين، وصلة الأرحام، وأداء الأمانات، وسائر مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، كما هو معروف من شريعته ﷺ)[٢].

ولا ينسى الشيخ التركيز على أساس الأخلاق ومرجعها، وركنها الذي تأوي إليه ألا وهو الحياء الذي أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وحض عليه، وركز عليه علماء السلف منبهين على أنه هو الأساس الخلقي الذي تبنى عليه بقية الأخلاق، وهو محك الاختبار الذي يبين حقيقة خلق المرء..

---

(١) حاشية الروض المربع لابن قاسم - (٧/ ٢٣٢).

(٢) حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم - ص ١٤٥.

يقول - رحمه الله تعالى -: (والحياء من أفضل الأخلاق، و أجلها و أعظمها قدرا، بل هو خاصة الإنسانية، وفي الحديث: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[١]، وهو غريزة يحمل المرء على فعل ما يجمل و يزين، و يمنعه من فعل ما يدنس ويشين)[٢].

ويبين - رحمه الله تعالى - خلقا مهما هو الآخر وكثيرًا ما سبب فقده إلى تناحرات وشجارات كان المسلمون في غنى عنها ذلك هو خلق حسن الظن بالمسلم، فلا شك أن كل إنسان قد يقع في زلة لسان، وقد تخونه العبارة، فإذا أحسن به الظن وفهم كلامه على أحسن فهم، وحمل على أجمل المحاسن، زالت الأخطار المتوقعة من الخلاف بين المسلمين، وازداد عامل وحدتهم ومحبة بعضهم لبعض..

يقول - رحمه الله تعالى - مبينًا هذا الخلق الرفيع: (ومن حق المسلم على المسلم أن يحسن به الظن إذا لم يتبين كذبه، كما قال عمر ﷺ: «ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك شرًّا، وأنت تجد لها في الخير محملًا»[٣] وهو من محاسن الأخلاق ومكارمها، وكمال العقل وقوة الدين)[٤].

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم ٣٤٨٤ - (٨/ ٥٩٥) ولفظه: إن مما أدرك الناس من كلام النبوة إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

(٢) حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم ص ١٠١

(٣) جامع الأحاديث حديث رقم ٣١٦٠٤- (١٦/٢٩)

(٤) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم - ص٤٤

الفصل الثاني

جهود الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى - في العلم وأثره في تأصيل الدعوة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: (العلم) تعريفه، اعتباره من صفات الدعاة، وباعتباره من وسائل الدعوة. على ضوء كتابات الشيخ - رحمه الله -.

المبحث الثاني: جهود الشيخ في خدمة العلم وأثر ذلك في تأصيل الدعوة.

المبحث الثالث: جهود الشيخ ومنهجه في جمع فتاوى شيخ الإسلام وترتيبها. وموقع ذلك في تأصيل الدعوة ومنهجها.

المبحث الرابع: جهود الشيخ ومنهجه في التأليف والتحقيق وأثر ذلك في تأصيل قضايا الدعوة.

المبحث الأول

(العلم) تعريفه، باعتباره من صفات الدعاة وباعتباره من وسائل الدعوة على ضوء كتابات الشيخ - رحمه الله تعالى -

أولاً: تعريف العلم في اللغة:

تقول عَلِمَ عِلْماً، وعَلُمَ هو نفسه، ورجل عالم وعليم من قوم علماء، فالعلم نقيض الجهل.

قال قيس بن زهير:

تعلم أن خير الناس ميت على جفر الهباءة لا يريمُ (١)

ثانياً: تعريف العلم في الاصطلاح:

الذي يعنينا هنا هو العلم الشرعي، والمراد به: علم ما أنزل الله على رسوله من البينات والهدى، فالعلم الذي ينبني على معرفته الثناء والمدح المطلق هو علم الوحي، علم ما أنزل الله فقط.

ولذا قال النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**» (٢).

وقال أيضاً: «**إن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورّثوا العلم، فمن**

---

(١) معجم مقاييس اللغة لا بن فارس ٤/ ١٠٩، ط١، ١٤١١ هـ دار الجيل بيروت، ولسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ١١/ ١٠ مادة (علم)، طبع دار صادر بيروت لبنان. والبيت لقيس بن زهير من أبيات له وبعد البيت المذكور: ولولا ظلمة ما زلت أبكي... عليه الدهر ما طلع النجوم. وراجع: مجمع الأمثال المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري الناشر: دار المعرفة – بيروت تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد. والجفر: البئر الواسعة لم تطو، والهباءة: أرض ببلاد غطفان.

(٢) متفق عليه رواه البخاري ٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢. ومسلم ١٠٣٧.

أخذه أخذ بحظ وافر»[١].

ومن المعلوم أن الذي ورثه الأنبياء إنما هو علم شريعة الله عز وجل وليس غيره، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما ورثوا للناس علم الصناعات وما يتعلق بها – على الأقل تصريحًا وإن كانوا ورثوه تلميحًا –، بل إن الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم حين قدم المدينة وجد الناس يؤبرون النخل أي يلقحونها قال لهم لما رأى من تعبهم كلامًا يعني أنه لا حاجة إلى هذا ففعلوا، وتركوا التلقيح، ولكن النخل فسد، ثم قال لهم النبي ﷺ: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»[٢].

ولو كان هذا هو العلم الذي عليه الثناء لكان الرسول ﷺ أعلم الناس به؛ لأن أكثر من يُثنى عليه بالعلم والعمل هو النبي ﷺ.

وقد اختلف العلماء في العلم هل يُحدُّ أم لا؟

فقال بعضهم: إنه لا يحد؛ لأن الحد عبارة عن ما يمكن تصور الشيء به والعلم يعسر تصوره، أو لأنه ضروري يحصل بمجرد التفات النفس إليه من غير نظر واكتساب. أو لأنه أبين من أن يُبَيَّن، وأوضح من أن يُعَرَّف.

وقيل: إنه يحد وعليه الأكثرون[٣]، ومن الحدود التي قيلت فيه:

---

(١) رواه الترمذي ٦٢٨٢. وأبو داود ٣٦٤١. وابن ماجة ٢٢٣. وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٢٩٧

(٢) صحيح مسلم ٢٦٣

(٣) المستصفى - (١/ ١٦) المستصفى في علم الأصول المؤلف: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٣ تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي ورفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب - (١/ ٢٦٠) لمؤلف: تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي
دار النشر: عالم الكتب - لبنان/ بيروت - ١٩٩٩ م - ١٤١٩ هـ الطبعة: الأولى عدد الأجزاء/ ٤ تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود.

١- أنه: "صفة يميز المتصف بها بين الجواهر، والأجسام، والأعراض، والواجب، والممكن، والممتنع، تمييزاً جازماً مطابقاً، أي لا يحتمل النقيض".[١]

٢- وعرفه الإمام ابن حزم تغمده الله تعالى برحمته بأنه تيقن الشيء على ما هو عليه.[٢]

٣- وعرفه الإمام ابن عبد البر - عليه رحمة الله تعالى - فقال: "حد العلم عند العلماء المتكلمين في هذا المعنى هو: ما استيقنته وتبينته، وكل من استيقن شيئاً وتبينه فقد علمه، وعلى هذا من لم يستيقن الشيء وقال به تقليداً فلم يعلمه"[٣].

٤- وعرفه الإمام الشوكاني - رحمه الله تعالى - بقوله: هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تامًّا[٤].

تعريف الشيخ للعلم باعتباره من صفات الداعية، ومن وسائل الدعوة أيضاً:

إن الداعية قدوة؛ إذا فعل راقبته الأنظار وإذا قال أنصتت إليه الآذان فوعت القلوب وحكت الألسنة وانتقل فعله وقوله في أوساط الناس فلا بد أن يتحلى بصفات تليق بمكانته لدى الأمة حتى يستطيع أداء مهمته على خير وجه وأصوبه ولا سبيل إلى ذلك إلا بالعلم المتلقى عن الله ورسوله فالعلم يبصره ويرشده إلى

---

(١) الكوكب المنير شرح مختصر التحرير - (١/ ٢٤)"مرجع سابق".

(٢) الإحكام لابن حزم - (١/ ٣٨) المؤلف: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد الناشر: دار الحديث – القاهرة الطبعة الأولى، ١٤٠٤.

(٣) جامع بيان العلم وفضله - (٢/ ٣٦) جامع بيان العلم وفضله يوسف بن عبد البر النمري الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ١٣٩٨ مكان النشر بيروت.

(٤) إرشاد الفحول - (١/ ٢١) إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور الناشر: دار الكتاب العربي الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

تلك الصفات التي ينبغي له أن يتحلى بها والتي تليق بمكانته لدى الأمة وتعينه على أداء مهمته على خير وجه وأصوبه. وينبهه إلى أن نجاح دعوته متوقف على تحليه بتلك الصفات ويحذره من أي إخلال بها، لأن أي إخلال بها يؤدي إلى فشله في مجال الدعوة، فالداعية إلى الله تعالى على علم - نتيجة لتبصير العلم وتوجيهه له -، يعلم أنه بحاجة إلى نوع معين من الصفات أكثر مما يحتاجها غيره لصلتها الوثيقة بعمله لتحقيق النجاح في مهمته.

وقد عرف الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى - العلم بأنه "حكم الذهن الجازم المطابق للواقع"[١].

أثر العلم في نجاح دعوة الداعي:

مما لاشك فيه أن للعلم الأثر العظيم في نجاح الداعية في دعوته،وذلك لما للعلم من آثار إيجابية على الداعية تجعله ينجح في دعوته أيما نجاح. ولبيان ذلك إليك أبرز تلك الآثار الإيجابية للعلم على الداعية التي لها أعظم الأثر في نجاح الداعية في دعوته وذلك في النقاط التالية:

١- أن الداعية إلى الله تعالى على علم يعرض الإسلام الذي هو موضوع الدعوة عرضاً صحيحاً مبيناً خصائصه ومزاياه على أكمل وجه وأصوبه، كما بينه ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ولا تشويه، فيبين للمدعوين مثلاً أن هذا الدين الإسلامي الذي يدعوهم إليه رباني المصدر، أي: أنه من عند الله عز وجل فجميع الأحكام والمناهج التي وردت فيه من الله سبحانه وتعالى عن طريق الوحي إلى رسوله الكريم باللفظ والمعنى وهو القرآن الكريم، أو بالمعنى دون اللفظ وهو السنة النبوية[٢].

---

(١) حاشية الأصول الثلاثة ص ١٣ "مرجع سابق".

(٢) انظر: منهاج الدعاة للألوائي ص ٣٣.

٢- أن الداعية إلى الله تعالى على علم إضافة لعرضه الدعوة الإسلامية عرضاً صحيحاً فإنه يقتفي أثر رسول الله ﷺ فيتصف بما اتصف به رسول الله ﷺ من الصبر والحلم والرفق واللين، والعمل بعلمه والعفو... وغيرها من الصفات الحميدة والأخلاق الكريمة التي تجذب الناس إلى ما يدعوهم إليه فيكون مؤثراً بحاله ومقاله.

أثر العلم في صحة منهج الداعية:

لا يمكن لأي طريقة في الدعوة أن تكون صحيحة مالم تكن مقتفية أثر العلم سائرة خلف ركابه فكل طريقة في الدعوة لم تسره خلف العلم وتقتف أثره مكتوب عليها الفشل في نهاية الطريق،فمنهج الداعية الصحيح في الدعوة ماكان موافقاً لما جاء به رسول الله ﷺ من الحق ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالعلم ولبيان عظم ذلك الأثر للعلم على الداعية في صحة منهجه إليك أبرز الآثار الإيجابية للعلم على الداعية الدالة على أثر العلم في صحة منهجه، وذلك في النقاط التالية:

البدء في الدعوة بأولوياتها:

فالداعية إلى الله تعالى على علم يبدأ في دعوته بأولوياتها، فيقدم الأهم على المهم فيبدأ بالدعوة إلى التوحيد كما بدأ به ﷺ؛ إذ البدء به منهجه ومنهج من سبقه من الأنبياء عليهم السلام، فالأنبياء جميعهم أول ما بدؤوا دعوتهم مع أقوامهم بالتوحيد.

الأخذ بمنهج الحكمة في الدعوة:

فالداعية إلى الله تعالى على علم يأخذ بمنهج الحكمة في دعوته فيخاطب الناس على قدر عقولهم،فلا يقول كل ما يعرف لكل من يعرف، وهو يتعامل مع العقول حسب مقدرتها لا حسب مقدرته، ولا يحملها فوق طاقتها مقتبساً هذا

المنهج من كلام رسول الله ﷺ وفهم الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - الذين هم أقرب إلى التنزيل وأعلم بالتأويل.

الأخذ بمنهج الرفق واللين في الدعوة:

فالداعية إلى الله تعالى على علم يتبع منهج الرفق واللين في دعوته فهو أصل أصيل من أصول مناهج الدعوة إلى الله تعالى، فرسول الله ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين متبع لهذا المنهج الأصيل ومتصف به، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

أثر العلم في ثبات الداعية واستمراره:

إن الدعوة إلى الله تعالى محفوفة بالأخطار والمكاره والصعوبات، ولا يثبت على سلوك طريقها والاستمرار عليه إلا من وفقه الله تعالى إلى ذلك، وخير زاد يعين الداعية إلى الله تعالى على الثبات والاستمرار – بعد عون – الله تعالى وتوفيقه – العلم النافع، وبيان ذلك من خلال ما يلي:

أن العلم يرسخ الإيمان في قلب الداعية ويقويه مما يسهل عليه الثبات والاستمرار والتضحية في سبيل الدعوة.

فالداعية إلى الله تعالى على علم لعلمه بما بعث به محمد ﷺ، وفهمه إياه يزيد الإيمان في قلبه ويرسخ ويقوي؛ إذ العلم سبب للإيمان فضلاً عن أنه يزيده ويقويه. فالإيمان له ركنان، **أحدهما**: معرفة ما جاء به الرسول ﷺ والعمل به. **والثاني**: تصديقه بالقول والعمل، والتصديق بدون العلم والمعرفة محال، فإنه فرع العلم بالشيء المصدق به. فإذاً العلم من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، ولا تقوم شجرة الإيمان إلا على ساق العلم والمعرفة[1]. فالعلم يقوي ويرسخ

(١) انظر: . مفتاح دار السعادة، لابن القيم ١/ ٨٢، بتصرف (مرجع سابق).

في القلب (ويحمل على إتباع الحق إذا لم يفت شرط أو يقوم مانع) والدليل على ذلك من الشريعة كثير، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣].

والذين يخشون ربهم هم العلماء لقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] وقوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾ [سبأ: ٦].

فخلاصة القول: أن كل ما يكون في طريق الدعوة من مجادلات، ومعارضات، وإغراءات وتهديدات، وإيذاء وغيرها، لا تؤثر في الداعية إلى الله على علم، ولا تثنيه عن دعوته بل تزيده ثباتاً واستمراراً؛ لأن العلم أعطاه صحة تصور لما ينفعه وما يضره،وبين له طبيعة طريق الدعوة وما يعترضه فيه، وما وجده السابقون الذين سلكوا هذا الطريق من أنبياء الله ورسله فأصبح سيره مبنياً على علم بالطريق الآمن الذي يحقق له السعادة فهو يسلكه راضياً مطمئناً ولو حصل له بسلوكه ضرراً مؤقت فإنه يعلم أن حسن العاقبة تحصل له بسلوكه إياه كما أنه على علم بالطريق المخوف الذي فيه شقاؤه فلا يسلكه وإن كان فيه نفع مادي ولذة مؤقتة.

ولا شك أن العلم أساس يهتم به المسلم في طريقه التي يسلكها ابتغاء الوصول إلى مرضاة الله تبارك وتعالى، ولذا فإن المقولات المشهورة عن السلف الصالح قولهم: العلم قبل القول والعمل.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم – رحمه الله تعالى –: (كيف يعمل المرء بشيء وهو لا يعرفه؟! وجهل الإنسان حقيقة ما أمر الله به من أعظم الإثم، والعمل بغير علم طريق النصارى، والعلم بلا عمل طريق اليهود، وقد أمرنا الله أن نسأله في كل ركعة أن يهدينا الصراط المستقيم، وهو طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين

والصديقين والشهداء والصالحين، غير المغضوب عليهم ولا الضالين)[١].

فالواجب على المسلم هو أن يعتقد اعتقادًا جازمًا لا يخالجه شك ولا يعتريه ريب بصحة دين الإسلام جملة وتفصيلًا.

وإن من أهم المطلوب من المسلم هو تحقيق توحيد الله تعالى ولا يتم ذلك إلا بالعلم ثم بالعمل به بعد ذلك..

يقول عليه رحمة الله تعالى: (...إن تعلم العلم الفرض مقدم على القول والعمل، وذلك أن قول المرء وعمله لا يصلح إلا إذا صدر عن علم، وفي الحديث: «**من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد**»[٢] وقد قيل:

وكل من بغير علم يعمل * أعمالـــه مردودة لا تقـــبل

وهل تمكن عبادة الله التي هي حقه على خلقه وخلقهم لها إلا بالعلم؟!).[٣]

وقد استدل الإمام محمد بن عبد الوهاب - كما استدل البخاري قبله - بقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩] على وجوب البدء بالعلم قبل أن يباشر المرء العمل..

يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى -: (استدل المصنف - رحمه الله - بهذه الآية الكريمة على وجوب البدء بالعلم قبل القول والعمل، كما استدل بها البخاري - رحمه الله - على صحة ما ترجم به، وذلك أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بأمرين: بالعلم ثم بالعمل، والمبدوء به العلم في قوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩] ثم أعقبه بالعمل في قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩] فدل على أن مرتبة

---

(١) حاشية الأصول الثلاثة مرجع سابق ص ١٧.

(٢) صحيح البخاري حديث رقم ٧٣٤٩ - (١٨/ ٣٤٠) وصحيح مسلم حديث رقم ٤٥٩٠- (٥/ ١٣٢).

(٣) حاشية الأصول الثلاثة ص ٢٢.

العلم مقدمة على مرتبة العمل، وان العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبر إلا به، فهو مقدم عليهما، لأنه مصحح النية المصححة للعمل)[١].

ومن المعلوم أن العلم مطلوب لا لذاته؛ بل من أجل أن يعمل به، فإذا علمه الإنسان ونكص على عقبيه عن العمل بما عمل كان شرًّا من الجاهل، وأحرى به أن يجهل..

ولذا قال الشيخ - رحمه الله تعالى -: (والعمل: هو ثمرة العلم، والعلم مقصود لغيره، فهو بمنزلة الشجرة والعمل بمنزلة الثمرة، فلا بد مع العلم بدين الإسلام العمل به، فإن الذي معه علم ولا يعمل به شر من الجاهل، وفي الحديث: «**أشد الناس عذاباً عالم لم ينفعه الله بعلمه**»[٢] وهو أحد الثلاثة الذين أخبر النبي ﷺ أنهم أول من تسعر بهم النار يوم القيامة[٣] وقد قيل: وعامل بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن)[٤].

ويقول مبينًا ضرورة تلازم العلم والعمل والدعوة إلى ما علم الإنسان من الحق معلقًا على سورة العصر: (.. وفي هذه السورة الكريمة التنبيه على أن جنس الإنسان كله في خسار إلا من استثنى الله، وهو من كمل قوته العلمية بالإيمان بالله، وقوته العملية بالطاعات، فهذا كماله في نفسه ثم كمل غيره بوصيته له بذلك وأمره به، وبملاك ذلك وهو الصبر، وهذا غاية الكمال، ومعنى ذلك في القرآن كثير)[٥].

---

(١) حاشية الأصول الثلاثة ص ٢٣.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي حديث رقم ١٧٧٨ - (٢/ ٢٨٤) كتاب: شعب الإيمان المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٠ تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

(٣) صحيح مسلم حديث رقم ٥٠٣٢- (٦/ ٤٧).

(٤) حاشية الأصول الثلاثة ص ١٨.

(٥) الأصول الثلاثة ص ٢٠.

ويوضح هذا المعنى ويبنه بصورة واضحة لا لبس فيها فيقول: (إذا علم وجب عليه العمل، فإذا علم وعمل وجبت عليه الدعوة إلى الله، حتى يكون من ورثة الأنبياء وعلى طريقهم وطريق أتباعهم، قال الحسن لما تلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] قال: "هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته"[(١)]، وقال: ﴿إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ هذا خليفة الله. والدعوة إلى الله هي الدعوة إلى توحيده والإيمان به وبما جاءت به رسله، وذلك يتضمن الدعوة إلى أركان الإسلام وأصول الإيمان والإحسان)[(٢)]

إذن فمفهوم العلم يشمل العمل والدعوة، ومفهوم البصيرة في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] يشمل العلم والحكمة والعمل حتى تتحقق الدعوة التي صدرت بها الآية: ﴿أَدْعُو إِلَى اللهِ﴾.

فمركز الجميع وأساسه المبني عليه هو العلم، فلا تصح الحكمة بغير علم، ولا بصيرة بدونه، ولا يمكن العمل مع الجهل، وكما قيل: (العامل بغير علمٍ كالسائر على غير طريق)[(٣)] ومن الحكم المأثورة عن السلف: "من تمسك بغير

---

(١) تفسير ابن كثير/ دار طيبة - (٧/ ١٨٠) لكتاب: تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) حاشية كتاب التوحيد ص ٦.

(٣) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - (١/ ٢٥٩٧) لكتاب: شرح نهج البلاغة المؤلف: أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م الطبعة: الأولى تحقيق: محمد عبد الكريم النمري.

أصلٍ ذل، ومن سلك طريقاً بغير دليل ضل"[١].

والمقصود بالعلم الذي تقدم الكلام عنه هو: الفهم لما جاء في الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح رحمهم الله تعالى في ذلك جمعًا واستدلالًا واستنباطًا.

(١) صبح الأعشى (١/ ٩٩) المؤلف: أحمد بن علي القلقشندي الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة الأولى، ١٩٨٧ تحقيق: د.يوسف علي طويل.

المبحث الثاني

جهود الشيخ في خدمة العلم وأثر ذلك في تأصيل الدعوة

إن الناظر في الجهود التي قدمها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم للعلم الشرعي لتتضح له بجلاء سمتان بارزتان تميزان تلك الجهود، وهما:

أ- **الشمولية والموسوعية**: ذلك أنه - رحمه الله تعالى - عالج مختلف الفنون الشرعية ولم يغفل منها جانبًا مما يحتاجه طلاب العلم؛ وخاصة إبان النهضة الدينية السلفية في عصره؛ فمن أهم ما يحتاجه طلاب العلم: القرآن الكريم[١] والحديث الشريف[٢] وعلوم العقيدة[٣] والنحو[٤] والفقه[٥] والفرائض[٦]، وكل منها أدلى بدلوه فيها بجهد متميز، لا زال الطلاب عالة على مؤلفاته فيه حتى يومنا الحاضر.

ب- **المنهج السلفي**: فلم يكن الشيخ - رحمه الله تعالى - يهتم بالكم على حساب الكيف؛ بل كان ينقح ويحقق ويتأكد أن ما يكتبه وما يدعو له موافق لمنهج السلف الصالح؛ فلا تكاد تجد للشيخ هنات كالتي تقع لأمثاله من المكثرين من التأليف، حتى الجهابذة منهم؛ بل كان منهجه ناصعًا سلفيًّا بحتًا.

ولا شك أن هاتين السمتين لم تأتيا من فراغ؛ فمن أين للشيخ أن يصل إلى ما وصل إليه في خدمته للعلم تحصيلًا وبذلاً؟

---

(١) كحاشيته على مقدمة التفسير.

(٢) ككتابه أصول الأحكام، وشرحه.

(٣) كحاشيته على الدرة المضية، وحاشيته على كتاب التوحيد، وغيرهما.

(٤) كحاشيته على الآجرومية.

(٥) كحاشيته على الروض المربع.

(٦) كحاشيته على الرحبية.

إن المتتبع لحياة الشيخ - رحمه الله تعالى - يجد أنه سلك خطواته في طلب العلم بشكل منهجي دقيق؛ من سلكه وصل بإذن الله تعالى إلى ما وصل إليه الشيخ وغيره، ويمكن تلخيصها على النحو الآتي:

أولاً: الحرص والجد والمثابرة في طلب العلم.

من المعلوم أن الشيخ - رحمه الله تعالى - كان يصرف أوقاته كلها في طلب العلم ومطالعته ومذاكرته وبذله لطلاب العلم؛ متمثلًا قول القدماء: (أعط العلم كلك يعطيك بعضه)[١].

ثانياً: التدرج في التعلم:

فقد بدأ الشيخ في طلبه للعلم بكتاب الله تعالى، ثم تدرج في بقية العلوم مقدمًا الأهم فالأهم، مستنيرًا في كل ذلك بأقوال مشايخه ومعلميه، مسترشدًا بنصائحهم النيرة؛ فوصل إلى مبتغاه بسلوكه هذا المنهج السوي؛ فكل طريق لا بد له من دليل، وإن طريق العلم من أصعب الطرق، وأكثرها مزالق؛ فلا بد لها من أدلاء ناصحين، خبيرين بمنعرجاتها، ومنحنياتها..

ثالثاً: الديمومة في طلب العلم ومراجعة المسائل.

وذلك أن الشيخ - رحمه الله تعالى - عاش حياته من أجل العلم وبه؛ فلم يشغله عنه مال ولا ولد، ولم يثنه عن طلبه وبذله مرض، أو سفر، حتى وهو على فراش الموت - رحمه الله تعالى - لم ينقطع عن العلم.

رابعاً: اعتماد منهج الأخذ بالدليل.

فقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - مهتمًا بمسألة الدليل؛ ومعتنيًا في الوقت نفسه بأقوال العلماء؛ إلا أنه يضعها في محلها الصحيح؛ فهي محكومة بالأدلة

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي - (٢/ ١٧٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع المؤلف: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، ١٤٠٣ تحقيق: د. محمود الطحان عدد الأجزاء: ٢.

الشرعية مستدل لها بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم؛ فلم يكن ليساويها بالوحي؛ لأنها غير مساوية له في الحقيقة، ولم يكن ليهملها؛ لأن إهمالها خطأ شنيع؛ وميل عن الحق واضح؛ فمن يفهم كلام الله تعالى وأحاديث رسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إن لم يفهمها العلماء الربانيون.

خامساً: قرنه العلم بالعمل.

وهذا العامل كان سببًا رئيسيًّا في رسوخ علم الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله - وهكذا كان ديدن السلف الصالح من قبل ومن بعد يعنون كثيراً بجانب التطبيق العملي لما يتعلمونه فيكون هذا أدعى لرسوخ علمهم وبركته وصدق القائل:

هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.

ومن هنا كانت جهود الشيخ عبد الرحمن بن قاسم متنوعة ممنهجة فاشتهرت كتبه وأدرجت في المناهج الدراسية، وكثر المطالعون لها..

ونشرت مقالاته وذاع صيتها، ويمكن تلخيص بعض جهود الشيخ - رحمه الله تعالى - في العلم على محاور على النحو التالي:

المحور الأول: إلقاء الدروس والخطب في المساجد.

لم يكن الشيخ - رحمه الله تعالى - ليهمل الجامعة الإسلامية الأولى، ومكان الوعظ والحل والعقد في المجتمع الإسلامي، وموضع الصلاة أعظم أركان الإسلام؛ بل أعطاه حقه من إقامة الصلاة فيه ومن الوعظ والإرشاد والتوجيه السليم للمسلمين، وتدريسهم الكتب النافعة، وكان للمسجد نصيب لا يستهان به من جهود الشيخ - رحمه الله تعالى - في خدمة العلم..

يقول حفيده عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى: (شارك - رحمه الله - في نفع الناس بجميع المسائل المتاحة في حينه؛ وهو ما بين مقل ومكثر من هذه

الوسائل والأساليب حسب الحاجة والتيسير. فقد درس زمناً في المسجد ووعظ وخطب)[١] وكان ذلك في الجامع الكبير في الرياض؛ فقد درس فيه فترة كتاب زاد المستقنع[٢].

المحور الثاني: التأليف والتحقيق.

لقد كان للتأليف والتحقيق الدور البارز من جهود الشيخ - رحمه الله تعالى - في خدمة العلم، فقد قضى جل عمره ما بين جمع التراث العلمي القيم النافع، وبين التأليف، والتحقيق، والحواشي، والشروح، وقد بدأ في ذلك في سن مبكرة جدًّا..

يقول عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى: (منَّ الله عز وجل على الجد - رحمه الله - وأنعم عليه بعمر مديد "١٣١٢-١٣٩٢هـ" أي: ما يقارب الثمانين عاماً قضاها في العلم وطلبه ومن ثم في نشره ورفع رايته.وقد بدأ التأليف والجمع في سن مبكرة، حيث بدأ جمع "فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" منذ عام ١٣٤٠هـ وله من العمر حينئذ "٢٨" عاماً.

والتقاريظ التي كتبها العلماء والمشايخ على "الدرر السنية" كانت في وقت مبكر؛ فمثلاً تقريظ الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ في تاريخ ٢١ذو القعدة ١٣٥١هـ وتقريظ الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في ٢٠ذو القعدة ١٣٥١هـ وتقريظ الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري في ١٣هـ ذو الحجة ١٣٥١هـ. ومعنى ذلك أنه - رحمه الله - انتهى من جمع "الدرر السنية"وقرأها وقرظ عليها العلماء في عام ١٣٥١هـ وله من العمر "٣٩" عاماً ولا شك أن له سنوات تزيد عن العشر إن لم تكن أكثر في جمع هذا المجموع وترتيبه وقراءته على العلماء.

---

(١) عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته لعبد الملك القاسم ص ٢٣٣.

(٢) عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته ص ٢٣٧.

وهذه النباهة والتميز في إخراج تلك المؤلفات العظيمة في سن مبكرة من نعم الله - عز وجل - عليه وعلى عباده.

والعجب أن الإنتاج في أعمار العلماء يكون متقدماً على غيرهم من عامة الناس، بل وامتاز العصر القديم بذلك فمعاذ بن جبل ﷺ الذي قال الرسول ﷺ: «**أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل**»[١] توفى وعمره ثنتان وثلاثون عاماً[٢].

* ومن العلماء أيضاً الإمام النووي - رحمه الله - صاحب التصانيف العديدة والمؤلفات المفيدة في الفقه والحديث والسلوك واللغة، توفى وعمره خمس وأربعون سنة[٣].

وقد مكث الإمام الطبري أربعين سنة يكتب كل يوم منها أربعين ورقة[٤].

ورغم أعمارهم القصيرة إلا أن الله نفع بعلمهم وبارك في أوقاتهم، ومن تقاصر ثمانين سنة من عمره فلينظر إلى أعمار هؤلاء وماذا قدموا لأنفسهم ولدينهم)[٥].

وظل الشيخ - رحمه الله تعالى - مسخرًا جهده ووقته لخدمة العلم، تحصيلًا له، وبذلًا لثمرة ما حصله منه، إلى أن أصيب بالحادث الأليم الذي سبب له المرض؛ فحينها كان من المتوقع ومن المألوف أن يركن إلى الفراش والراحة، ويترك تعب ومشقة التأليف والجمع ولكن الواقع يثبت عكس ذلك؛ وكأن

---

(١) رواه الترمذي في سننه برقم (٣٧٩١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) راجع: لإصابة في تمييز الصحابة - (٦/ ١٣٧) الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار الجيل - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٢ تحقيق: علي محمد البجاوي.

(٣) تقدم في ترجمة النووي رحمه الله تعالى.

(٤) الأنساب للسمعاني - (٤/ ٤٦)

(٥) عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته لعبد الملك القاسم ص٢٣٧ بتصرف.

المرض كان محفزًا له - رحمه الله تعالى - على المضي قدمًا في التأليف والجمع، فاستغل سفرات العلاج المقررة له من أجل جمع التراث الإسلامي الذي يحتوي كثيرًا من العلوم النافعة.

يقول حفيده بعد أن ذكر جمعه للعلم: (هذا مع ما أصاب الجد - رحمه الله - من مرض أقعده عن العمل الذي تتطلبه المخطوطات من السفر والصحة التامة لقراءتها، ولكنه ما ضعف ولا أصابه الوهن، بل كان هذا المرض سبباً في السفر، وكانت مدة الإقامة للعلاج ميدانًا للبحث في المكتبات والنظر في المخطوطات، فلله الحمد والمنة وله جزيل الشكر والثناء أن يسر وأعان)[1].

المحور الثالث: المقالات:

لقد عاصر الشيخ - رحمه الله تعالى - فترة انتشار وسائل الإعلام وخاصة الصحف فظهرت أول صحيفة صدرت عن مطابع الحكومة وهي جريدة أم القرى، ونظرًا لفكر الشيخ الثاقب فإنه ما لبث أن فهم الدور الأساسي لوسائل الإعلام عامة، وللجرائد والمجلات خاصة في التأثير في الناس؛ فبادر إلى استغلالها للدعوة إلى الله تعالى؛ فكتب مقالات مفيدة؛ بعضها يملأ صفحة كاملة دفاعًا عن العقيدة، ونشرًا للدين، وإحياء للدعوة الإسلامية.

يقول حفيده عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى: (وشارك في وسائل الإعلام التي منها الصحف خاصة في الفترة التي كان يعمل فيها في مكة حين طبع "الدرر السنية" حيث كانت تطبع في مطابع الحكومة التي تصدر منها جريدة "أم القرى" ولعله توقف عن الكتابة بعد عودته إلى بلده.

وقد كتب فيها عدة مقالات متنوعة وجدت منها ما يقارب عشر مقالات بعضها يصل إلى صفحة كاملة في الصحيفة، وكانت تحت عناوين منها: (تجديد

(١) عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته لعبد الملك القاسم ص ص٢٣٧.

المجد الداثر)، ومقال طويل بعنوان: "اللهو الباطل - الغناء والمزامير" ويقع في صفحات موزعة على أربعة أعداد من صحيفة "أم القرى".

وله مقال بعنوان: "العلم وعلو الهمة" وكذلك "البحث في النية" ومقال بعنوان: "هل عبد رسول الله ﷺ؟".

ويظهر أن الفترة التي كتب فيها في الصحيفة الوحيدة في ذلك الوقت هي الفترة التي قضاها في مكة حين طبع "الدرر السنية" في مطبعة الحكومة التي تطبع فيها صحيفة (أم القرى)؛ لأن غالب مقالاته التي حصلت عليها كتبت بين عامي ١٣٥٧ - ١٣٥٨هـ)[١].

وتميز جهد الشيخ وتنوعت مقالاته في الصحيفة الوحيدة آنذاك، بسبب أسلوب الشيخ الفريد، وبلاغته النادرة، وحسن اختياره للمقالات التي كتبها، ومدى حاجة الدعوة إليها، وسوف أذكر هنا مثالًا من مقالاته تلك حتى يكون القارئ على بصيرة من ذلك، فليس من رأى كمن سمع.

نموذج من مقالاته في صحيفة أم القرى:

يقول - رحمه الله - في مقاله: هل عبد رسول الله ﷺ؟:

"... نعم، عبده كثيرون، ووقع ما أخبر به ﷺ، حيث قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذوا القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: "فمن؟"[٢] (أي: فمن القوم إلا هم).

وقال: «**ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، حذوا النعل بالنعل، حتى لو كان فيهم من أتى أمه علانيةً لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل**

---

(١) انظر معجم المصادر الصحيفة د. منصور الحازمي (١/ ١٦٣-١٦٧-١٨٥-٢١).نقلا عن عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته لعبد الملك القاسم ص ص٢٣٣.

(٢) صحيح البخاري حديث رقم ٣٤٥٦- (٨/ ٥٦٢) وصحيح مسلم حديث رقم ٦٩٥٢- (٨/ ٥٧).

افترقت على ثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملةٍ كلهم في النار إلا ملةً واحدةً» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: **«من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»**[١].

فاليهود عبدوا العزير وقالوا: إنه ابن الله[٢] والنصارى عبدوا المسيح وقالوا: انه ابن الله[٣] وقالوا: هو الله[٤]، وعبدت هذه الأمة رسول الله ﷺ يدعونه ويناجونه بما يشاؤون من أمورهم، مستغيثين به لائذين به، متوسلين به، يقول أحدهم إذا قام أو قعد أو أهمه أمر: يا رسول الله.

ويقول الآخر: مالي من ألوذ به سواك[٥].

والآخر: فرج كربي يا رسول الله، أو: اشفع لي يا رسول الله أو: الشفاء يا رسول الله.

ومنهم من ينذر له، ومنهم من يذبح له، ويوقفون لذلك الأوقاف..

ومنهم من يقول: هذا المال للنبي، أي: قربةً له، وصرفوا له جل أنواع العبادة

---

(١) سنن أبى داود حديث رقم ٤٥٩٨- (٤/ ٣٢٣) وسنن ابن ماجه حديث رقم ٣٩٩٢- (٢/ ١٣٢٢) وقال الألباني رحمه الله تعالى: صحيح، صحيح الجامع حديث رقم ٥٣٤٣ ١/ ٩٤٣-٩٤٤..

(٢) يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ﴾.

(٣) يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾.

(٤) دليله قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

(٥) يقصد قول البوصيري:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حدوث الحادث العمم

إن لم تكن آخذا يوم المعاد يدي ... صفحا وإلا فقل يا زلة القدم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

ولا شك أن في كلام البوصيري هذا ما يقتضي الكفر البواح لما تحمله هذه العبارات من خطورة على عقيدة المسلم. والله تعالى أعلم.

التي هي حق الله - عز وجل - وعلى ألسنتهم: الله والنبي، وبالنبي، وقد لا يحلف إلا به وإن كان هذا شركاً أصغر، فإنه إذا كان المخلوق في نفسه بمنزلة الخالق - جل وعلا - لا يحلف إلا به، فقد يكون أكبر وفي الحديث: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[١] فقد غلوا فيه كما غلت النصارى في المسيح، وأطروه كما أطرته، وفي الصحيحين عنه قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[٢]...)[٣].

فانظر إلى هذا الأسلوب المتميز الراقي، وإلى هذا السبك المحكم، وإلى الاستدلال البديع، والمقارنة الفريدة؛ فرحمه الله تعالى وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

---

(١) سنن أبي داود حديث رقم ٣٢٥١- (٢/ ٢٤٢) سنن الترمذي حديث رقم ١٥٣٥- (٤/ ١١٠) وقال الألباني رحمه الله تعالى: صحيح، صحيح الجامع حديث رقم ٦٢٠٤ ١/ ١٠٦٧.

(٢) صحيح البخاري حديث رقم ٣٤٤٥- (٨/ ٥٥٢).

(٣) مجلة أم القرى العدد (٧٦٤) سنة ١٦ عام ١٣٥٨هـ ص٦. نقلا عن عبد الرحمن بن قاسم لعبد الملك القاسم ص ٢٣٥.

المبحث الثالث

جهود الشيخ ومنهجه في جمع فتاوى شيخ الإسلام وترتيبها وموقع ذلك في تأصيل الدعوة ومنهجها

لقد عرف شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - بأنه من العلماء القلائل الذين كانوا مجددين في عصرهم لما انطمس من معالم الدين، معتمدين في ذلك على إحياء فكرة اتباع السلف الصالح في فهمهم للأدلة الشرعية، مع التجديد في ذلك الفهم تجديدًا مبنيًا عليه وليس معارضًا له..

ولذا فإنه لا غرو إن اختاره الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ليكون ركيزة من أهم ركائز عمله الموسوعي الهادف إلى تأصيل الدعوة إلى الله تعالى، ولا عجب إن اختاره - أيضًا - ليكون منهجه هو المنهج الذي ينبغي سلوكه وانتهاجه في طريق إقامة الدين على قواعده الأصلية..

ومن هنا فلمعرفة حقيقة هذا الأمر وصدقه لا بد من عرض الجهود التي قام بها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في جمع رسائل وفتاوى شيخ الإسلام حتى خرجت – ولأول مرة في التاريخ – على شكل مجلدات مقننة مفهرسة يستطيع طالب العلم أن يستفيد منها ويفيد منها غيره.

لقد قدمت في التمهيد أن الشيخ رحل رحلات من أجل جمع الفتاوى وبينت أن تلك الرحلات كانت شاقة ومكلفة وطويلة المدة أحياناً، ولكن الشيخ - رحمه الله تعالى - تحمل كل ذلك من أجل أن يخرج ذلك التراث القيم، ويصل إلى عين الكنز الكبير..

يقول حفيده عبد الملك القاسم عن مدة جمع الفتاوى: (وقد استغرق جمعها حوالي ٤٠ عاماً في جمعه وترتيبه وطبعه وقد وجدوا في سبيل ذلك من العناء

والمشقة ما أحتسب أن يكون رفعة وذخراً فقد عانيا من كثرة السفر والبحث عن مخطوطات شيخ الإسلام وترك الأهل والأبناء ومفارقة الأوطان مع قلة الزاد)[١].

ولم تكن الصعوبة في مفارقة الأوطان والتنقل في الأسفار فقط؛ بل إن السهر على فك رموز كتابة شيخ الإسلام - رحمه الله - ربما تكون أصعب وأكثر تعبًا من كل ذلك..

يقول عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى معددًا التي تلقاها جده في جمع الفتاوى: (...وأيضاً في فك وقراءة خط شيخ الإسلام حيث كان شيخ الإسلام – قدس الله روحه – سريع الكتابة وكان خطه في غاية التعليق والإغلاق وبعضه بدون نقط ولا تكاد تظهر حروفه، وقد كانت هذه مشكلة من قبله فقد أشكلت على تلميذ شيخ الإسلام ابن الوردي فقد كان يدعو تلميذه أبا عبد الله بن رشيق المغربي لحله.

ومن القصص أن محمد ابن الشيخ عبد الرحمن وقد كان يساعده في جمع الفتاوى أنه كان لديه مجموعة من المخطوطات لشيخ الإسلام ولم يستطع إدخالها في مجموع الفتاوى لعدم استطاعته قراءة ما فيها لرداءة الخط. وبعد حين حلها شيئًا فشيئًا حتى طبعها ضمن "المستدرك على مجموعة الفتاوى")[٢]

ولكن ثمرة كل تلك الأتعاب لم تذهب سدى، ولم تضع أدراج الرياح؛ بل أخرجت كتبًا ومجلدات لو وزنت بذهب الأرض لطاشت كفته من عظمها وكثرة ما انطوت عليه من أنوار الوحي..

يقول الشيخ بكر أبو زيد عن مجموع الفتاوى (إن هذا المجموع المبارك مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه لابن قاسم هو غرة في جبين الدهر زينة

---

(١) عبد الرحمن بن قاسم لمؤلفه، عبد الملك بن قاسم ص٣٨.

(٢) عبد الرحمن بن قاسم لمؤلفه، عبد الملك بن قاسم ص٣٧-٣٩ .

لأهل الإسلام، لسان صدق للعلماء، عمدة للباحثين، نفع الله به أقوامًا بعد آخرين وقد انتشر في العالمين انتشار العافية، وكتب له في القبول والانتشار ما يعز نظيره في جهود المتأخرين فالحمد لله رب العالمين[1].

ولم يعرف قدر ذلك الجهد وقيمة تلك اللؤلؤة التراثية إلا العلماء وولاة الأمر فهب العلماء لتدريسها ومدارستها، وهب الملوك لطبعها، وتوزيعها على طلاب العلم في شتى أنحاء المعمورة؛ فقد أمر بطبعها الملك سعود والملك خالد والملك فهد رحمهم الله وهي الآن تطبع ضمن مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

وقد طبع هذا المجموع المبارك في هذه السنة ١٤٣٠هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز طبعة رائعة تقع في ٣٧ مجلد، وهي آخر طبعة حتى كتابة هذا البحث وقد وزعت على طلبة العلم، فجزى الله القائمين على طبعها خير الجزاء.

يقول عبد الملك القاسم ذاكرًا بعض لطائف هذا المجموع المبارك: (ومن لطائف هذا المجموع وغيره ما ذكره الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله تعالى - (أن ابن مري المتوفى بعد سنة ٧٢٨هـ كتب رسالة لتلاميذ شيخ الإسلام وقد ضمنها الوصية لكتب شيخ الإسلام ثم قال: "ووالله - إن شاء الله - ليقيمن الله سبحانه لنصر هذا الكلام ونشره وتدوينه و...واستخراج مقاصده، واستحسان غرائبه وعجائبه رجالاً هم الآن في أصلاب آبائهم...".

فقال الشيخ بكر أبو زيد معلقاً: "وقد برت يمين ابن مري - بحمد الله ومنّته فقام الشيخ عبد الرحمن بن قاسم المتوفى عام ١٣٩٢هـ - رحمه الله - بمساعدة ابنه محمد بن قاسم المتوفى عام ١٤٢١هـ بعد نحو ستة قرون بهذه المهمة

(١) المدخل إلى آثار شيخ الإسلام للشيخ بكر أبو زيد ١/ ٣٩ بتصرف.

الجليلة في جمع مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه".

إذن فلا بد للأمة أن ترجع إلى كتب علمائها ومن أعلمهم وأوسعهم علماً الإمام ابن تيميه وقد وُجِدَت في خارج المملكة ما يزيد عن عشرين رسالة دكتوراه ومثلها رسائل ماجستير وفي داخل المملكة ما يقارب هذا العدد)[1].

وبعد معرفة قيمة هذا المجموع المبارك، وبعض اللطائف المتعلقة به، من الجدير بالذكر وصفه بشكل دقيق مدروس..

وقد وصفه الشيخ عبد الملك القاسم حفيد جامعه، وصفًا دقيقًا مهذبًا أكتفي بذكره ونقله لعظم فائدته في الموضوع..

يقول حفظه الله تعالى: (ذكر فضيلة الجد أجزل الله له الأجر والمثوبة - أنه عثر على بعض مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية أثناء جمعه لرسائل علماء نجد، فواصل البحث في المكتبات القريبة والبعيدة بمساعدة فضيلة الوالد (محمد) - رحمهما الله - وقد تكبدا في سبيل جمعها من الشدة والمشقة ما يرجى لهما جزيل البر والأجر عند الله، وقد رتبها وقسمها فنوناً وأبواباً، وأضاف إليها المطبوع من الرسائل الصغيرة والفتاوى، فبلغت خمسة وثلاثين مجلداً احتوت على علم جم لا يقدر قدره، ثم عمل عليها الوالد - رحمه الله - فهرساً مفصلاً كان كالتقريب لها ويقع في مجلدين ضخمين.

وقد حوى "مجموع فتاوى شيخ الإسلام" العديد من كتب العقيدة والرسائل والمسائل العقدية، وأجزاء العقيدة والتوحيد، والفقه، والأصول، والحديث، والتفسير، وغيرها من العلوم الأخرى في (٣٧) مجلداً وهي:

المجلد الأول: توحيد الألوهية، وعدد صفحاته (٤٠٥) صفحات.

المجلد الثاني: توحيد الربوبية، وعدد صفحاته (٥٢٤) صفحة.

---

(١) عبد الرحمن بن قاسم لمؤلفه، عبد الملك بن قاسم ص ٦٥.

المجلد الثالث: مجمل اعتقاد السلف، وعدد صفحاته (٤٧١) صفحة.
المجلد الرابع: مفصل الاعتقاد، وعدد صفحاته (٥٧٩) صفحة.
المجلد الخامس: توحيد الأسماء والصفات، وعدد صفحاته (٦٠٧) صفحات.
المجلد السادس: توحيد الأسماء والصفات، وعدد صفحاته (٦٢٧) صفحة.
المجلد السابع: الإيمان، وعدد صفحاته (٧٠٨) صفحات.
المجلد الثامن: القدر، وعدد صفحاته (٥٧٢) صفحة.
المجلد التاسع: المنطق، وعدد صفحاته (٣٣٦) صفحة.
المجلد العاشر: علم السلوك، وعدد صفحاته (٧٩٣) صفحة.
المجلد الحادي عشر: التصوف، وعدد صفحاته (٧٢٨) صفحة.
المجلد الثاني عشر: القرآن كلام الله، وعدد صفحاته (٦٢١) صفحة.
المجلد الثالث عشر: مقدمة التفسير، وعدد صفحاته (٤٤٥) صفحة.
المجلد الرابع عشر: التفسير من سورة الفاتحة إلى سورة الأعراف، وعدد صفحاته (٥٢١) صفحة.
المجلد الخامس عشر: التفسير من سورة الأعراف إلى سورة الزمر، وعدد صفحاته (٤٧٠) صفحة.
المجلد السادس عشر: التفسير من سورة الزمر إلى سورة الإخلاص، وعدد صفحاته (٦٢٠) صفحة.
المجلد السابع عشر: التفسير من سورة الإخلاص والمعوذتين، وعدد صفحاته (٥٤٩) صفحة.
المجلد الثامن عشر: الحديث، وعدد صفحاته (٤٠٦) صفحات.
المجلد التاسع عشر: أصول الفقه - الاتباع، وعدد صفحاته (٣٢٨) صفحة.
المجلد العشرون: أصول الفقه - التمذهب، وعدد صفحاته (٦١٤) صفحة.
المجلد الواحد والعشرون: الفقه - الطهارة، وعدد صفحاته (٦٧٠) صفحة.

المجلد الثاني والعشرون: الفقه - الصلاة، وعدد صفحاته (٦٥٦) صفحة.

المجلد الثالث والعشرون: الفقه، من سجود السهو إلى صلاة أهل الأعذار، وعدد صفحاته (٤٣٥) صفحة.

المجلد الرابع والعشرون: الفقه، من صلاة أهل الأعذار إلى الزكاة، وعدد صفحاته (٤٠٠) صفحة.

المجلد الخامس والعشرون: الفقه - الزكاة والصوم، وعدد صفحاته (٣٥٠) صفحة.

المجلد السادس والعشرون: الفقه - الحج، وعدد صفحاته (٣٢٥) صفحة.

المجلد السابع والعشرون: الفقه - الزيارة، وعدد صفحاته (٥٢٧) صفحة.

المجلد الثامن والعشرون: الفقه - الجهاد، وعدد صفحاته (٦٩٥) صفحة.

المجلد التاسع والعشرون: الفقه - البيع، وعدد صفحاته (٥٩٠) صفحة.

المجلد الثلاثون: الصلح إلى الوقف، وعدد صفحاته (٤٦٢) صفحة.

المجلد الحادي والثلاثون: الوقف إلى النكاح، وعدد صفحاته (٤١٦) صفحة

المجلد الثاني والثلاثون: النكاح، وعدد صفحاته (٣٩٣) صفحة.

المجلد الثالث والثلاثون: الطلاق، وعدد صفحاته (٢٦٣) صفحة.

المجلد الرابع والثلاثون: الظهار إلى قتال أهل البغي، وعدد صفحاته (٢٧١) صفحة.

المجلد الخامس والثلاثون: قتال أهل البغي إلى الإقرار، وعدد صفحاته (٤٨٧) صفحة.

المجلد السادس والثلاثون: الفهارس العامة والتقريب، وعدد صفحاته (٤٦٨) صفحة.

المجلد السابع والثلاثون: الفهارس العامة مع التقريب، وعدد صفحاته (٥١٢) صفحة.

* وهذا المجموع العظيم الذي بلغ (٣٧) مجلداً في (١٨٨٣٥) صفحة، أقرب من يتحدث عنه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بقوله: "وعند المسلمين من العلوم الإلهية الموروثة عن خاتم المرسلين ما قد ملأ العالم نوراً وهدى"[١].[٢]

ولا شك أن العلامة عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى - قد أسهم بجمعه لهذا المجموع المبارك في تأصيل الدعوة الإسلامية، وترسيخ منهجها المبني على الاعتماد على الدليل من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بفهم سلف الأمة المشهود لهم بالفضل والإمامة في الدين..

ذلك أن شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - من أكثر العلماء ارتباطًا بالدليل، ومن أشدهم تنقيحًا وتحقيقاً؛ وخاصة عندما يفتي - رحمه الله تعالى -، فإنه يحرص على بيان الدليل غالباً، ويبين فهم العلماء لتلك الأدلة واختلافهم في تنزيلها على الحكم الشرعي المقصود إن كان ثمة خلاف بينهم..

ومن المعلوم أن مجموع فتاواه هذا قد بين فيه علوما جمة، وحكما نادرة في مختلف الفنون والعلوم..

وبين فيه منهج الدعوة إلى الله تعالى، وأنه لا يسوغ الاجتهاد في مثله؛ بل لا بد فيه من الدليل الشرعي الصحيح الصريح..

وقد سئل عليه رحمة الله تعالى عن جماعة يجتمعون على قصد الكبائر من القتل وقطع الطريق والسرقة وشرب الخمر وغير ذلك. ثم إن شيخًا من المشايخ المعروفين بالخير واتباع السنة قصد منع المذكورين من ذلك، فلم يمكنه إلا أن يقيم لهم سماعًا[٣] يجتمعون فيه بهذه النية، وهو بدف بلا صلاصل[١]، وغناء

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ٨٤.

(٢) عبدالرحمن بن قاسم لمؤلفه، عبدالملك بن قاسم ص ٣٥-٣٨.

(٣) أي غناء ورقصا ونحوه من وسائل اللهو.

المغني بشعر مباح بغير شبابة، فلما فعل هذا تاب منهم جماعة، وأصبح من لا يصلي ويسرق ولا يزكي يتورع عن الشبهات، ويؤدي المفروضات، ويجتنب المحرمات. فهل يباح فعل هذا السماع لهذا الشيخ على هذا الوجه لما يترتب عليه من المصالح مع أنه لا يمكنه دعوتهم إلا بهذا؟".

فأجاب - رحمه الله تعالى - هذه الإجابة: الحمد لله رب العالمين. أصل جواب هذه المسألة وما أشبهها: أن يعلم أن الله بعث محمدًا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، وأنه أكمل له ولأمته الدين كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وأنه بشر بالسعادة لمن أطاعه، والشقاوة لمن عصاه، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، وأمر الخلق أن يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعثه به، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وأخبر أنه يدعو إلى الله وإلى صراطه المستقيم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *

---

(١) الصلصلة: صوت الحديد إذا حرك. يقال صل الحديد وصلصل. والصلصلة أشد من الصليل، وصلصل اللجام والرعد والحديد إذا صوت صوتا متضاعفا، وكذا تصلصل. الفائق (٢/ ٣١٠) النهاية في غريب الأثر - (٣/ ٨٧) والمقصود هنا حلق من حديد ونحوه توضع على الدف لتحدث صوتا مع ضرب الدف.

صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

وأخبر أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحل الطيبات ويحرم الخبائث، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

وقد أمر الله الرسول ﷺ بكل معروف، ونهى عن كل منكر، وأحل كل طيب، وحرم كل خبيث، وثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: « **إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم** »[(١)]، وثبت عن العرباض بن سارية قال: « **وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، قال: فقلنا: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: أوصيكم بالسمع والطاعة؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[(٢)].

وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**ما تركت شيئًا مما أمركم الله به إلا قد أمرتكم به، وما**

(١) صحيح مسلم حديث رقم ٤٨٨٢ (٦/ ١٨)

(٢) سنن أبي داود حديث رقم ٤٦٠٩ (٤/ ٣٢٩) سنن ابن ماجه حديث رقم ٤٢- (١/ ١٥) سنن الترمذي حديث رقم ٢٦٧٦- (٥/ ٤٤)، مستدرك الحاكم رقم (٣٣٣) (١/ ١٧٧) وصححه.

تركت شيئًا مما نهاكم عنه إلا وقد نهيتكم عنه»[١] وقال: «**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»[٢].

وشواهد هذا الأصل العظيم الجامع من الكتاب والسنة كثيرة، وترجم عليه أهل العلم في الكتب "كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة" كما ترجم عليه البخاري والبغوي وغيرهما، فمن اعتصم بالكتاب والسنة كان من أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين وجنده الغالبين.

وكان السلف - كمالك وغيره - يقولون: السُّنَّة كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق[٣].

وقال الزهري: كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة[٤].

إذا عرف هذا فمعلوم أن ما يهدي الله به الضالين ويرشد به الغاوين ويتوب به على العاصين لا بد أن يكون فيما بعث الله به رسوله من الكتاب والسنة، وإلا فإنه لو كان ما بعث الله به الرسول ﷺ لا يكفي في ذلك لكان دين الرسول ناقصًا محتاجًا تتمة وينبغي أن يُعلم أن الأعمال الصالحة أمر الله بها أمر إيجاب أو استحباب والأعمال الفاسدة نهى الله عنها. والعمل إذا اشتمل على مصلحة

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي. حديث رقم ١٣٨٢٥- (٧/ ٧٦).

(٢) صحيح البخاري حديث رقم ٧٣١١- (١٨/ ٢٩٥) صحيح مسلم حديث رقم ٤١٢- (١/ ٩٥).

(٣) ذكره صاحب الوجيز في عقيدة السلف الصالح، وعزاه لمفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة للسيوطي، انظر الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) (١/ ١٥٦).
المؤلف: عبد الله بن عبد الحميد الأثري مراجعة وتقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ الطبعة الأولى الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية تاريخ النشر: ١٤٢٢هـ.

(٤) انظر: اعتقاد أهل السنة ١٥- (١/ ٥٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة المؤلف: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم.
الناشر: دار طيبة - الرياض، ١٤٠٢ تحقيق: د. أحمد سعد حمدان عدد الأجزاء: ٤.

ومفسدة فإن الشارع حكيم إن غلبت مصلحته على مفسدته شَرَعَه، وإن غلبت مفسدته على مصلحته لم يشرعه، بل نهى عنه، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

ولهذا حرمهما الله تعالى بعد ذلك، وهكذا ما يراه الناس من الأعمال مقربًا إلى الله ولم يشرعه الله ورسوله؛ فإنه لابد أن يكون ضرره أعظم من نفعه وإلا فلو كان نفعه أعظم غالبًا على ضرره لم يهمله الشارع، فإنه ﷺ حكيم لا يهمل مصالح الدين، ولا يفوت المؤمنين ما يقربهم إلى رب العالمين..

إذا تبين هذا فنقول للسائل: إن الشيخ المذكور قصد أن يُتَوِّب المجتمعين على الكبائر، فلم يمكنه ذلك إلا بما ذكره من الطريق البدعي، يدل أن الشيخ جاهلٌ بالطرق الشرعية التي بها تتوب العصاة، أو عاجز عنها؛ فإن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين كانوا يدعون من هو شر من هؤلاء من أهل الكفر والفسوق والعصيان بالطرق الشرعية التي أغناهم الله بها عن الطرق البدعية. فلا يجوز أن يقال: إنه ليس في الطرق الشرعية التي بعث الله بها نبيه ما يتوب به العصاة، فإنه قد علم بالاضطرار والنقل المتواتر أنه قد تاب من الكفر والفسوق والعصيان من لا يحصيه إلا الله تعالى من الأمم بالطرق الشرعية التي ليس فيها ما ذكر من الاجتماع البدعي؛ بل السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان - وهم خير أولياء الله المتقين من هذه الأمة - تابوا إلى الله تعالى بالطرق الشرعية لا بهذه الطرق البدعية.

وأمصار المسلمين وقراهم قديمًا وحديثًا مملوءة ممن تاب إلى الله واتقاه وفعل ما يحبه الله ويرضاه بالطرق الشرعية، لا بهذه الطرق البدعية، فلا يمكن

أن يقال: إن العصاة لا تمكن توبتهم إلا بهذه الطرق البدعية، بل قد يقال: إن في الشيوخ من يكون جاهلًا بالطرق الشرعية عاجزًا عنها، ليس عنده علم بالكتاب والسنَّة وما يخاطب به الناس ويسمعهم إياه مما يتوب الله عليهم فيعدل هذا الشيخ عن الطرق الشرعية إلى الطرق البدعية - إما مع حسن القصد إن كان له دين، وإما أن يكون غرضه الترؤس عليهم، وأخذ أموالهم بالباطل - كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٤] فلا يعدل أحد عن الطرق الشرعية إلى البدعية إلا لجهل، أو عجز، أو غرض فاسد")[1].

هذا هو منهج الدعوة إلى الله تعالى، وهو المسلك والطريق المستقيم في ذلك، وقد اجتمعت في هذا الجواب عناصر المنهج السوي الذي تميز به شيخ الإسلام، والذي كان أهم داع للعلامة عبد الرحمن بن قاسم ليخص تراثه بذلك الجهد الهائل، ويمكن تلخيصها على النحو التالي:

١- البدء بحمد الله تعالى قبل جواب السائل.

٢- توضيح أصل المسألة المسؤول عنها، وتقرير حقائق متفق عليها بين المفتي والمستفتي والسامع.

٣- تقديم الأدلة من كتاب الله تعالى المتعلقة بالموضوع؛ حتى يرتاح المستفتي وغيره إلى أن الجواب المرتقب مبني على أصل متفق عليه.

٤- التثنية بالأدلة من السنة النبوية الصحيحة والصريحة في موضوع السؤال؛ وذلك أن المسلمين متفقون على حجية السنة النبوية، وأن الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم هو المبين الأول لكتاب الله تعالى.

٥- التثليث بالآثار عن السلف الصالح المتعلقة بموضوع السؤال، حتى

---

(١) مجموع الفتاوى - (١١/ ٦٢٥).

يقف مثلث أهل السنة على ضلعه الثالث (كتاب الله تعالى _ سنة نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – فهم سلف الأمة).

٦– الختام بالجواب النهائي المبني على الأدلة السابقة.

وهذا هو منهج الدعوة الصحيح المستقيم كما قرره علماء الأمة.

المبحث الرابع

جهود الشيخ ومنهجه في التأليف والتحقيق وأثر ذلك في تأصيل قضايا الدعوة

لقد حرص الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى - على خدمة الدين الإسلامي بشكل عام، ومن أهم ذلك خدمته في العلم وتبيينه وتوضيحه للناس حتى يعبدوا الله تعالى على بصيرة ويعرفوا أوامره فيمتثلوها، ونواهيه فيجتنبوها، ولا تصح معرفة ذلك إلا عن طريق الدليل الشرعي الصحيح من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وفهم سلف الأمة لتلك الأدلة..

ومن هنا كان اهتمام الشيخ منصبًا على الكتب المدروسة في وطنه ودياره حتى يؤصلها، ويبني ما كان من أقوالها مدخولًا على الأدلة الصحيحة، ويوضح أدلة ما كان مبنيًا على الأدلة، حتى يعرف طلاب العلم أن المتبع إنما هو الدليل، وأن أقوال الشرع محتج بها، وأقوال العلماء محتج لها..

يقول - رحمه الله تعالى -: (أقوال أهل العلم يحتج لها بالأدلة الشرعية، لا يحتج بها على الأدلة الشرعية، وتذكر وتورد في المعارضات والالتباس، والعلم بها من أسباب الفهم عن الله ورسوله، فإنهم قصدوا تجريد المتابعة، للرسول ﷺ، والوقوف مع سنته)[1].

فانظر إلى هذا الميزان العدل الذي لا عوج فيه ولا انحراف، والذي من خلاله تتجلى استقامة منهج الشيخ - رحمه الله تعالى - والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

---

(١) حاشية الروض المربع لابن قاسم - (١/ ١٤).

١- أهمية الأدلة الشرعية: فهي حاكمة وغيرها محكوم عليه.

٢- أهمية أقوال العلماء دون معارضتها للأدلة الشرعية الصريحة الصحيحة، فقول العالم يورد، ويذكر ويهتم به في فهمه لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم دون تقليد له في ذلك الفهم.

٣- إذا تعارضت فهوم العلماء للأدلة وجب اتباع الراجح منها.

٤- إذا لم يتبين الراجح جاز أخذ أي قول مستند إلى أدلة.

٥- معرفة أقوال العلماء سبب من أهم أسباب فهم الأدلة الشرعية.

٦- الثناء على أهل العلم والترحم عليهم فإنهم لم يقصدوا إلا الحق وإن لم يوفق بعضهم في فهم بعض الأدلة، فلو طرحنا كل عالم أخطأ لم يسلم لنا أحد إذ لا عصمة لأحد بعد النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

تلك أهم معالم منهج الشيخ - رحمه الله تعالى - في استنباط الأدلة ومعالجة الأقوال في المسائل الشرعية.

ويتضح منهج الشيخ في تأصيل دعوته، وبنائها على الأسس الشرعية المتينة، من خلال جهوده في خدمة العلم الشرعي من خلال التأليف والتحقيق، وموسوعيته في تلك الخدمة..

وقد تنوعت معارفه وعلومه ومؤلفاته، وكتب في شتى فنون وعلوم الشريعة والعربية وغيرها حتى ذاع صيتها وانتشر أثرها وحمد عليها ومن أشهر مؤلفاته:

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه، (٣٧) مجلد.

الدرر السنية في الأجوبة النجدية، (١٦) مجلد.

حاشية الروض المربع (٧) مجلدات.

متن أصول الأحكام، (مجلد).

شرح أصول الأحكام، (٤) مجلدات.

حاشية كتاب التوحيد، (مجلد).

حاشية ثلاثة الأصول، (مجلد).

حاشية الدرة المضيئة (مجلد).

السيف المسلول على عابد الرسول (مجلد).

مقدمة في أصول التفسير (مجلد).

حاشية مقدمة التفسير (مجلد).

حاشية مقدمة الرحبية (مجلد).

حاشية الأجرمية (مجلد).

وظائف رمضان (مجلد).

تحريم حلق اللحى (كتيب لطيف).

ملخص الفواكه العديدة في المسائل المفيدة (مجلدين).

كتاب التاريخ (مجلدين).

شرح عقيدة السفاريني (مجلد)[١].

من خلال تلك المؤلفات القيمة في مادتها العلمية المتنوعة في محتوياتها الفكرية، المتميزة في تأصيلها وارتباطها بالأدلة، تتضح الجهود الكبيرة التي قدمها الشيخ للعلوم الشرعية المتنوعة، وبذلها لطلاب العلم عذبة سهلة لا يشوبها كدر في محتواها، ولا تعتريها أغلاط في تحقيقاتها.

ومن فضل الله تعالى على الشيخ عبد الرحمن بن قاسم أن أمر الملك فيصل بن عبد العزيز إمام المسلمين آنذاك - رحمه الله - بطبع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه وتوزيعها على العلماء والعامة في داخل المملكة وخارجها.

وكذلك أمر جلالة الملك عبد العزيز بلل الله ثراه بطبعها وتوزيعها على العلماء والعامة فانتشرت بين طلاب العلم والعلماء وغيرهم فصار لها أكبر

(١) علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الله البسام ص ٤١٥ - ٤١٦ بتصرف.

الفائدة وأعظم النفع[١].

وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: (العلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وآثارهم في القلوب موجودة)[٢].

أثر الشيخ وجهوده في التأليف والتحقيق.

أولاً: في علم الفقه:

إن فتاوى شيخ الإسلام التي جمعها قد حوت حوالي خمسة عشر مجلداً في الفقه منها مثلاً:

المجلد الواحد والعشرون في الطهارة وعدد صفحاته (٦٧٠) صفحة.

المجلد الثاني والعشرون في الصلاة وعدد صفحاته (٦٥٦) صفحة.

وغيرها من المجلدات التي وصلت إلى خمسة عشر مجلد.

يضاف إلى ذلك حاشيته على الروض المربع، وجمعه لفتاوى أئمة الدعوة السلفية في نجد المعروف بالدرر السنية، وحاشيته على الرحبية في علم الفرائض الذي يعتبر من أهم أبواب علم الفقه، وغيرها..

ولا شك أن الشيخ - رحمه الله تعالى - أسهم بتلك الكتب الفقهية إسهامًا منقطع النظير، ومن أهم مميزات ذلك الإسهام ما يلي:

١- أنه اعتنى خلال تأليفه وشروحه وحواشيه بالكتب التي لها انتشار واسع بين طلبة العلم، وفيها بعض الغموض يحتاج إلى شرح، وبعض الإجمال لا بد له من تبيين.. وهكذا..

٢- أن تكون تلك الكتب متنوعة في مواضيعها بحيث تشمل جل المسائل الفقهية التي يحتاجها الناس.

---

(١) علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الله البسام ص ٤١٥ - ٤١٦ بتصرف.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لمؤلفه ابن عبد البر ١/ ٦٨ بتصرف.

٣- أن تكون تلك الكتب مهتمة بالدليل، وذلك أن فترة الشيخ كانت تشهد نهضة سلفية لا يقوم فيها كتاب على ساق إلا إذا كان معتضدًا بالدليل الشرعي.

ولم يكن الشيخ - رحمه الله تعالى - يهتم بصعوبة جمع كتاب معين أو التعليق عليه أو شرحه؛ بل كان - رحمه الله تعالى - يمضي قدمًا في سبيل الهدف الذي يسعى لأجله مهما كانت المشاق التي تحول دونه، ومهما كانت وعورة الطريق المسلوكة نحوه..

يقول حفيده عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى واصفًا جمعه للفتاوى: (وقد استغرق جمعها حوالي ٤٠ عاماً في جمعه وترتيبه وطبعه وقد وجدوا في سبيل ذلك من العناء والمشقة ما أحتسب أن يكون رفعة وذخراً فقد عانيا من كثرة السفر والبحث عن مخطوطات شيخ الإسلام وترك الأهل والأبناء ومفارقة الأوطان مع قلة الزاد، وأيضاً في فك وقراءة خط شيخ الإسلام حيث كان شيخ الإسلام - قدس الله روحه - سريع الكتابة وكان خطه في غاية التعليق والإغلاق وبعضه بدون نقط ولا تكاد تظهر حروفه، وقد كانت هذه مشكلة من قبله فقد أشكلت على تلميذ شيخ الإسلام ابن الوردي فقد كان يدعو تلميذه أبا عبد الله بن رشيق المغربي لحله.

ومن القصص أن محمد بن الشيخ عبد الرحمن وقد كان يساعده في جمع الفتاوى أنه كان لديه مجموعة من المخطوطات لشيخ الإسلام ولم يستطع إدخالها في مجموع الفتاوى لعدم استطاعته قراءة ما فيها لرداءة الخط. وبعد حين حلها شيئًا فشيئًا حتى طبعها ضمن (المستدرك على مجموعة الفتاوى)[1].

وبعد اكتمال ذلك المجموع الذي احتوى على كثير من الأبواب الفقهية والعقدية وغيرها أمر بطبعه جلالة الملك سعود والملك فيصل والملك خالد

---

(١) عبدالرحمن بن قاسم لمؤلفه، عبد الملك بن قاسم ص٣٧-٣٨-٣٩ بتصرف.

والملك فهد رحمهم الله، ولا زال يطبع حتى الآن ضمن مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

فلا غرو إذن أن يتقبل العلماء وطلبة العلم هذا المجموع المبارك، وينتشر بينهم انتشار الهواء والماء، فيهديه بعضهم لبعض، ويحاور بعضهم بعضًا في محتوياته، ويدرسه علماؤهم للطلبة..

يقول الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله تعالى عن مجموع الفتاوى (إن هذا المجموع المبارك مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه لابن قاسم هو غرة في جبين الدهر زينة لأهل الإسلام، لسان صدق للعلماء، عمدة للباحثين، نفع الله به أقوامًا بعد آخرين وقد انتشر في العالمين انتشار العافية، وكتب له في القبول والانتشار ما يعز نظيره في جهود المتأخرين فالحمد لله رب العالمين)[1].

ولا شك أن جهد الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في جمع الفتاوى كان فضل من الله بها على شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -، فانتشر بها علمه، وهو فضل كذلك لكل أمة محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لكونهم المستفيدين منه..

يقول حفيده عبد الملك القاسم - حفظه الله تعالى -: (ومن لطائف هذا المجموع وغيره ما ذكره الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله تعالى "أن ابن مري المتوفى بعد سنة ٧٢٨هـ كتب رسالة لتلاميذ شيخ الإسلام وقد ضمنها الوصية لكتب شيخ الإسلام ثم قال: (ووالله – إن شاء الله – ليقيمن الله سبحانه لنصر هذا الكلام ونشره وتدوينه و...واستخراج مقاصده، واستحسان غرائبه وعجائبه رجالاً هم الآن في أصلاب آبائهم...".

فقال الشيخ بكر أبو زيد معلقاً: "وقد برت يمين ابن مري – بحمد الله ومنّته

(١) المدخل إلى آثار شيخ الإسلام للشيخ بكر أبو زيد ص١/ ٣٩ بتصرف.

فقام الشيخ عبد الرحمن بن قاسم المتوفى عام ١٣٩٢هـ - رحمه الله - بمساعدة ابنه محمد بن قاسم المتوفى عام ١٤٢١هـ بعد نحو ستة قرون بهذه المهمة الجليلة في جمع مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه")[1].

ومن أثره في الفقه:

كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ويقع في ستة عشر مجلد وتقع كتب الفقه في سبعة مجلدات.

وخير من يصف هذا الكتاب القيم العلامة عبد الله بن جبرين - رحمه الله تعالى - حيث قال في وصفه في رسالته (ما عرفته عن شيخنا عبد الرحمن بن قاسم): (.. وقد اشتغل في أول أمره بجمع فتاوى أئمة الدعوة ومن تتلمذ عليهم، فنسخ ما عثر عليه منها بقلمه الحسن، وعرضها على شيخه وزميله سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف الذي كان يحثه ويحرضه على مواصلة هذا العمل الكبير، وقد ذكر سماحة الشيخ محمد - رحمه الله - أن الشيخ عبد الرحمن قد قرأ عليه تلك الرسائل والمسائل مرة أو مرتين أو أكثر من ذلك واستشاره في كيفية الترتيب والتبويب، والتقديم والتأخير، وقد صبر على السهر والتعب في جمع تلك الرسائل، فقد كان يسهر أكثر الليل، وينسخ تلك المخطوطات بقلمه ومداده، مع ضعف الإنارة قبل وجود الأنوار الكهربائية، وقبل وجود أجهزة التصوير، والمسجلات الصوتية المسموعة والمرئية، ومع ذلك تجشم المشقة، ووطن نفسه على تحمل التعب في النقل والنسخ بمفرده غالباً، حيث إن بنيه لم يزالوا صغاراً، وكذا زملاؤه، وعمل كما عمل مشايخه ومن قبلهم في الصبر على النسخ القديم، والكتابة بالأقلام الخشبية، والمحابر والمداد يصلحونه، فأحدهم يتخذ القلم من القصب ويبري رأسه، ثم يشقه

(١) عبد الرحمن بن قاسم لعبد الملك القاسم ص ٦٥.

ليعلق به المداد، ثم يغمسه في الدواة ويرفعه فيكتب به قليلاً ثم يعود فيغمسه، وهو الذي ألغز فيه الحريري في المقامات بقوله:

ومـــأموم بـــه عـــرف الإمـــام كـــما باهـــت بـــصحبته الكـــرام

لـــه إذ يرتـــوي طيـــشان صـــاد ويـــسكن حـــين يعـــروه الأوام

ويـــذري حـــين يستـــسعى دموعـــا يـــرقن كـــما يـــروق الابتـــسام [1]

وبالجملة فقد بذل جهداً جهيداً في جمع رسائل ومسائل أئمة الدعوة من عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى المؤلف، ورتبها وقربها، وسماها "الدرر السنية في الرسائل والمسائل النجدية" ثم طلب طبعها فوافق على ذلك الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن - رحمه الله تعالى - وطبعت في المطبعة الحكومية في مكة المكرمة وقد فرغ الشيخ للتصحيح والمتابعة، وصحبه ابنه محمد - رحمهما الله تعالى - وتغرب لذلك عدة سنوات، حيث إن المطابع قديمة، وتحتاج إلى صف الحروف وترتيبها كعادة المطابع القديمة، وقد طالت المدة في إكمال الطبع، وبقي من المجموع بعض الأجزاء التي طبعت مؤخراً عند تجديد الطبع، وهذا الجهد الذي بذله - رحمه الله - دليل على محبته للعلم والإفادة، وعلى تضلعه في علم التوحيد والعقيدة، والأحكام والآداب، يعرف ذلك من أمعن النظر في هذه الموسوعة الكبيرة وكيف تمكن من ترتيب المسائل ونسبة الأجوبة إلى أربابها وجمع الأسئلة المتناسبة إلى بعضها، وسرد الرسائل الكبيرة كاملة بذكر كل نوع في الباب المناسب له، حتى خرجت بهذا المنظر الرائع الذي يعبر عن نصح وإخلاص، ومحبة للعلم وللعلماء، وإحياء لذكرهم، ونشر لعلومهم، حتى يستفيد منها من بعدهم، حتى لا تنقطع أعمالهم بوجود العلم

(١) مقامات الحريري (ص٩٨) وانظر كذلك: نفح الطيب (٥/ ٤٥٤).

الذي ينتفع به تلاميذهم والمسلمون إلى ما يشاء الله - تعالى -")[١].

كتاب حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، ويقع في سبعة مجلدات ضخمة.

وهي مقررة كمنهج دراسي في كلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكانت مدة تأليفه أربعين سنة.

يقول عنها الشيخ عبد العزيز السدحان في مقالة له في مجلة الدعوة:

("...أما أكبر الحواشي التي كتبها الشيخ، فهي حاشية الروض المربع، فهي يحق أن تسمى بـ "أم الحواشي" لما تضمنها الشيخ من التعليقات النفيعة والتحريرات العلمية الرصينة...")[٢].

ثانياً: جهوده في العقيدة:

إن المتتبع لجهود الشيخ - رحمه الله تعالى - في خدمة العلم ليعلم أنه خدم العلم في جميع أبوابه، ولكنه جهوده في أبواب الفقه والعقيدة والتفسير كبيرة، ومفيدة، وقد أحسن اختياره فيها لدرجة بعيدة..

وقد كان من أهم أهداف الشيخ في باب العقيدة - كما يتضح من كتبه - هو نشر العقيدة الصافية القائمة على منهج السلف رحمهم الله تعالى، وترسيخها في الناشئة حتى يعتقدوها وتطمئن لها أنفسهم منذ الصغر، فلا تجد الشبه إليها سبيلاً، ولا البدع نحوها طريقاً.

وسوف ألخص هنا نبذا عن كتبه في العقيدة، والتي كان لها أكبر الأثر في ترسيخ العقيدة الإسلامية الصافية، وخاصة من ناحية كثرة انتشارها، وقبولها لدى كافة المسلمين، وبما أن حفيد المؤلف الشيخ عبد الملك القاسم حفظه

---

(١) عبد الرحمن بن قاسم لعبد الملك القاسم ص ٨٨-٩٠.

(٢) مجلة الدعوة العدد ١٨٤٦ ص ٦٦.

الله تعالى قد سبقني إلى هذا الجهد، فلم يكن هناك بد من نقل ما كتبه، دون إضافة، وذلك لسببين:

أ – أن معالجته لهذا الموضوع دقيقة، متميزة بجودة السبك، وسلاسة الأسلوب.

ب – أنه جمع الفوائد المتعلقة بكتب الشيخ - رحمه الله تعالى -، فالزيادة على ما كتب سوف تكون من قبيل تكرار نفس المعنى مع اختلاف اللفظ، ولا أرى فيه فائدة تذكر.

١ - "حاشية كتاب التوحيد" ويقع في (مجلد):

يقول الشيخ عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى: ("كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد" للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - كتاب عظيم النفع في بابه. بين فيه المؤلف التوحيد وفضله، وما ينافيه من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر أو ما يقدح في التوحيد من البدع أو ما ينقص التوحيد من المعاصي موثقاً بالدليل من الكتاب والسنة.

وقد عني طلاب العلم بحفظ متنه، وسارع العلماء إلى شرحه وكان للجد - رحمه الله- سهم في ذلك فألف عليه "حاشية كتاب التوحيد".

وهي حاشية مختصرة منقحة من أبرز شروح من سبقه من الشراح إضافة إلى ما استفاده من مشايخه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، والشيخ سعد بن عتيق والشيخ محمد بن إبراهيم وغيرهم.

* قال - رحمه الله - في المقدمة: "...فإن (كتاب التوحيد) الذي ألفه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - أجزل الله له الأجر والثواب - ليس له نظير في الوجود، قد وضح فيه التوحيد الذي أوجبه الله على عباده وخلقهم لأجله، ولأجله أرسل رسله، وأنزل كتبه، وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر والبدع وما يقرب من ذلك أو يوصل إليه، فصار

بديعاً في معناه لم يسبق إليه، علماً للموحدين، وحجة على الملحدين، واشتهر أي اشتهار، وعكف عليه الطلبة، وصار الطالب يحفظه عن ظهر قلب، وعم النفع به، وتصدى لشرحه والتعليق عليه جماعة من الجهابذة النبلاء، وأول من تصدى لشرحه وأجاد، حفيده الشيخ سليمان ابن الشيخ عبد الله، ثم هذبه وكمله حفيده أيضاً الشيخ عبد الرحمن بن حسن وبرز فيهما من البيان ما ينبغي أن يرجع إليه، وعلق عليه أيضاً الشيخ عبد الرحمن حاشية مفيدة، وعلق عليه تلميذه الشيخ حمد بن عتيق، وتلميذه الشيخ عبد الله أبا بطين، وغيرهم ولشدة الاعتناء بهذا السفر الجليل تطفلت عليه بوضع حاشية مختصرة منتخبة مما أبرزوه وغيره، تسهيلاً للطالب، متوخياً فيها ما يلقيه أشياخنا: الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد اللطيف، والشيخ سعد بن الشيخ حمد بن عتيق، والشيخ محمد ابن الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف وغيرهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم...".

* وقال الشيخ عبد الله بن جبرين - رحمه الله - عن الحاشية: "من أنفس ما كتب على هذا الكتاب"[(١)].

* وقال الشيخ عبد العزيز بن محمد السدحان - حفظه الله -: "هذه الحاشية للشيخ ابن قاسم - رحمه الله - لعلها من أحسن الحواشي على الكتاب - يعني كتاب التوحيد - وخاصة أن الشيخ ابن قاسم سلك فيها مسلك الاختصار غير المخل، وضمنها نقولات وفوائد نفيسة"[(٢)].

* ويقع الكتاب في مجلد عدد صفحاته (٤١٠) صفحات)[(٣)].

٢ - "حاشية ثلاثة الأصول" ويقع في (مجلد):

وهو أيضًا كتاب في غاية الأهمية، ويمتاز بالتحقيق والتدقيق، في المسائل

---

(١) مقدمة حاشية كتاب التوحيد ص٧.

(٢) معالم الطلب ص٧٦.

(٣) عبد الرحمن بن قاسم لعبد الملك القاسم ص ١٣٦-١٣٨.

المتعلقة بالعقيدة.

يقول الشيخ عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى: (الأصول الثلاثة للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - من الكتب التي اعتنى بها العلماء في هذا البلد عناية خاصة إذ اشتملت على تقرير توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية والولاء والبراء وذكر الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؛ وهي: معرفة الله سبحانه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، ومعرفة النبي ﷺ. وسارع الطلاب إلى حفظها وتتبع شروحها التي شرحها العلماء الأجلاء.

وممن جعل حاشية على هذا المتن العظيم من العلماء - الجد - رحمه الله - وهو أول شرح موجود للأصول الثلاثة.

قال - رحمه الله - في المقدمة: "...فإن ثلاثة الأصول لشيخ الإسلام والمسلمين، مجدد الدعوة والدين، محمد بن عبد الوهاب، أجزل الله له الأجر والثواب، قد جد الناس في حفظها، لعظم نفعها، وتشوقت النفوس لبيان معانيها، لرصانة مبانيها، فوضعت عليه حاشية، موضحة لمعناها، مشجعة لمن اقتناها، والله المسؤول أن ينفع بها، كما نفع باصلها، إنه على كل شيء قدير...".

وتقع في مجلد عدد صفحاته (١٠٣) صفحات، تكرر طبعها في حياته - رحمه الله - وبعد وفاته حيث طبعت الطبعة الأولى في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٧٥ هـ ثم توالت طباعتها، فيها طبعات الرئاسة العامة للإفتاء وغيرها.

قال العلامة الشيخ عبد الله بن جبرين عن حاشية ثلاثة الأصول: "شرحها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله وأكرم مثواه - بحاشية نفيسة، أوضح فيها مقاصد المؤلف ودلالة النصوص"[1].

(١) مقدمة حاشية الأصول الثلاثة طبعة دار الإفتاء ص٨.

وقد تم ترجمة الكتاب إلى عدة لغات من بينها اللغة الإنجليزية حيث قامت بالترجمة دار الخير بجدة ويقع في (١٩٢) صفحة)[١].

٣ – حاشية الدرة المضية:

وقد شرح به كتاب الدرة المضية للسفاريني – رحمه الله تعالى –، وأجاد فيه وأفاد، واستدرك على المصنف ما خالف فيه السلف الصالح بأسلوب علمي رزين.

يقول عبد الملك القاسم – حفظه الله تعالى –: (هو حاشية على كتاب (الدرة المضية في شرح عقد الفرقة المرضية): للإمام السفاريني.

قال – رحمه الله –: "...فإنه عزم من وفق لبث العلوم الدينية، على نشر هذه العقيدة الجليلة، المتضمنة لجل عقائد الفرقة المرضية، طلب مني أن أكتب عليها حاشية وجيزة عجالة، فأجبته إلى ذلك رجاء المثوبة من الله، والاندراج في سلك أهل السنة والجماعة ونبهت على ما خالف المصنف فيه مذهب السلف، لتكون خير بضاعة.

وعرضتها على عالم الوقت المجتهد الثبت، الشيخ: محمد ابن الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، وعلى غيره من العلماء الأفاضل، فجاءت بحمد الله غرة للطالبين، ومحجة واضحة للراغبين، مؤيدة بالبراهين، طبق عقيدة السلف، وأسأله السداد وحسن الطوية، والزلفى لديه في الجنات العلية...".

وقد ذكر الوالد – رحمه الله – في هامش مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم قوله: "وقد علق عليها والدي – رحمه الله – وبين ما فيها من أخطاء وسماه (حاشية الدرة المضية)".

وقد طبعت الطبعة الأولى في مطبعة الحكومة بمكة عام ١٣٦٤هـ.

---

(١) عبد الرحمن بن قاسم لعبد الملك القاسم ص ١٤٢-١٤٣.

ويقع الكتاب في مجلد عدد صفحاته "١٥٩")[1].

٤ – السيف المسلول على عابد الرسول:

وهو كتاب فريد في الردود الشرعية الرزينة، والتي تنهج الدفاع عن العقيدة الإسلامية، بطرق علمية دقيقة؛ فمن المعلوم أن رد الشبهة يجب أن يكون أقوى منها وأوضح في أذهان القارئين والسامعين، حتى لا يكون دعمًا للشبهة وإضعافًا للحق..

يقول الشيخ عبد الملك القاسم عن هذا الكتاب: ("السيف المسلول على عابد الرسول": وهو رد على: علي الرشيدي الجزائري في تحريم توجيه شيء من العبادة للنبي ﷺ.

وأساس الكتاب مقالة نشرت في جريدة أم القرى حيث قال – رحمه الله – في مقدمة الكتاب: "... فقد وقفت على وريقات، كتبها: علي بن محمد الرشيدي، الجزائري، في الرد على ما نشرته، في جريدة أم القرى، تحت عنوان: "هل عبد رسول الله ﷺ؟" وسيأتي نص ما نشرته، عند ذكري: زعمه أنه يفهم منه إنكار الشفاعة.

وقد تضمن رده: رد ما أنزلت به الكتب، وأرسلت به الرسل، وأجمعت عليه الأمة، من إفراد الله – سبحانه – بالعبادة، وتجويز عبادة غير الله – عز وجل – بالالتجاء إليه، والاستغاثة به، وطلب الشفاعة منه؛ وأكثر الطعن على من دعا الناس إلى توحيد الله، وكفرهم بمحض التوحيد، وزعم أنهم خوارج، سمى عباد الأنبياء والصالحين، مؤمنين موحدين؛ وعكس القضية، وصرف المقالة عن مدلولها، ونسب إلي ما لا يتحمله كلامي فالله المستعان...".

وقد طبع قديماً وانتشر، ويقع في مجلد عدد صفحاته (٢٠٨) صفحات)[1].

---

(١) عبد الرحمن بن قاسم لعبد الملك القاسم ص ١٤٦.

ثالثاً: في التفسير:

١ - مقدمة في أصول التفسير:

لم يقتصر الشيخ - رحمه الله تعالى - على التأليف في الفقه، والعقيدة، مع أن كلا منهما مستنبط من كتاب الله تعالى وتفسيره، بل كان شغفه بكتاب الله تعالى، يدفعه إلى خدمة تفسيره، ووضع قواعد وأصول يرجع إليها في تفسيره..

ومن أهم ما قدمه الشيخ خدمة لتفسير كتاب الله تعالى: كتابه "مقدمة في أصول التفسير" والحاشية التي وضع عليه.

يقول حفيده عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى: (**"مقدمة في أصول التفسير"**:

مفيدة في بابها وقد وضع المقدمة - رحمه الله - ثم شرحها. وهي غير "مقدمة التفسير" لشيخ الإسلام ابن تيمية المعروفة، والبعض يظن أن المقدمة لشيخ الإسلام والشرح له. والصحيح أن كليهما له - رحمه الله - وهي مختلفة عن ما كتبه شيخ الإسلام.

وقد طبعت الطبعة الأولى في (دمشق) المطبعة الهاشمية)[٢].

٢ - حاشية مقدمة التفسير:

يقول عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى: (وهي شرح لكتاب مقدمة في أصول التفسير من تأليفه، وقد نشرت في حياته.

قال - رحمه الله - في المقدمة: "...أما بعد: فحيث إن كتاب الله وبيانه أهم ما يهتم به، فهذه حاشية على المقدمة في تفسيره، توضح المقاصد، وتعين مريد معرفة معانيه، كأصول يتوصل بها إلى المراد منه، على ما كان عليه السلف

=

(١) عبد الرحمن بن قاسم لعبد الملك القاسم ص ١٥٠.

(٢) عبد الرحمن بن قاسم لعبد الملك القاسم ص ١٥٤.

الصالح، والله ولي التوفيق".

وتقع في مجلد متوسط تبلغ صفحاتها "١٦٦" صفحة)[١].

منهج الشيخ - رحمه الله تعالى - في التأليف والتحقيق:

إن معرفة منهج أي عالم من العلماء أمر أساسي في فهم توجهه وغزارة علمه، ودقة مأخذه، ووضوح مسلكه..

وإن المتتبع لكتب الشيخ وتحقيقاته يجد أن من أهم معالم منهجه ما ذكره حفيده عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى، وسوف أنقله بنصه لعظم فائدته وشدة اختصاره يقول حفظه الله تعالى: (اقتصر بعض العلماء على الكتابة في فن واحد من علوم الشريعة، والبعض الآخر كتب وألف في فنون عديدة ممن تبحر في العلوم وتزود فيها وتنوع مؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن قاسم – رحمه الله – واختلاف مواضيعها ينبئ عن ملكة عظيمة في البحث والقراءة وسعة الإطلاع والتعمق في أمهات الكتب، وكان مرجع هذا التنوع والتعدد في الموضوعات صفات تميز بها الشيخ - رحمه الله - وأبرز هذه الصفات:

التزامه منهج السلف الصالح في العقيدة.

عدم التعصب لمذهب معين: فإن الشيخ – رحمه الله – حنبلي المذهب ومع هذا يورد أقوال الأئمة كما في حاشية الروض وغيرها مستهدياً بالدليل من الكتاب والسنة.

الدقة المتناهية في عبارات وألفاظ كتبه ومن عباراته الرائعة يقول - رحمه الله-) إثبات المسألة بدليلها تحقيق، بدليل آخر تدقيق والتعبير عنها بفائق العبارة ترقيق، ولمراعاة علم المعاني والبديع في تركيبها تنميق، والسلامة فيها من اعتراض الشرع توفيق، ونسأل الله بأسمائه الحسنى الهداية والتوفيق، لما

(١) عبد الرحمن بن قاسم لعبد الملك القاسم ص ١٥٨.

اختلف فيه من الحق إلى أقوم طريق).

إجلاله العلماء والثناء عليهم:

أمانته العلمية في النقل والعزو إلى المصادر.

مما تميزت به مؤلفاته: طرح القبول لها وهذا ولله الحمد واضح من طرح القبول لمؤلفاته أن جعل كتابه حاشية الروض المربع منهجًا مقرراً على طلاب كلية الشريعة.

كما ظهر جلياً واضحاً في مؤلفاته (الثبات على المنهج) وذلك في جميع مؤلفاته مع تنوعها وكثرتها واختلاف أزمنة جمعها وتأليفها.

هذا بالإضافة إلى سفره للخارج سواء للبلاد العربية أو بلادًا أوروبية وذلك للعلاج أو لجمع الفتاوى وإقامة الشهور الطويلة هناك، ومع ذلك كان مثالاً للمؤمن المتمسك بعقيدته المعتز بدينه، ومن ذلك أنه كان يسافر بلباسه المعتاد في بلده (الثوب والشماغ).

ترتيب مؤلفاته الفقهية على أبواب الفقه المعروفة:

سلاسة عباراته وتجانسها وحسن انتقائها وجمال عرضها وبعدها عن الحشو والتكلف والكلام الإنشائي المكرر.

ظاهرة التواضع والضراعة والابتهال إلى الله تعالى بادئة في مؤلفاته وكتبه – رحمه الله – ومن ذلك يقول في مقدمة "حاشية الروض المربع" "فتطفلت بوضع هذه الحاشية".

محبته لمؤلفات السلف وعنايته بها: ومن ذلك اهتمامه وحرصه على مؤلفات أئمة السلف كشيخ الإسلام وأئمة الدعوة النجدية في كتابه (الدرر السنية).

تعظيمه لأمر الشريعة واعتناؤه بالدليل من الكتاب والسنة كما ذكر ذلك في مقدمة حاشية الروض: يتعين الاعتناء بالكتاب والسنة فقد قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا

اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ في غير موضع من كتابه أي اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله.

رجوعه في نقولاته إلى أمهات الكتب المعروفة من مؤلفات أئمة الهدى والدين فمثلاً كتابه حاشية الروض نقل عن جملة من الأئمة الثقات ومن علماء عصره.

خدمته لدينه الحنيف والشرع المطهر: فجميع كتبه ومؤلفاته تدور حول العقائد والأحكام وعلوم القرآن وحسبك جمعه لفتاوى شيخ الإسلام وجمعه لرسائل علماء نجد (الدرر السنية في الأجوبة النجدية). وقد جمعت صفحات كتبه التي طبعت حتى الآن فإذا هي تقارب (٤٠.٠٠٠) صفحة أربعين ألف صفحة تقريبًا ومعنى ذلك إذا حسبنا عمره (١٣١٢ – ١٣٩٢) ثمانون عامًا وأنه – رحمه الله – كان يكتب كل يوم بعد بلوغه العشرين إلى وفاته كل يوم ورقتين. قال الحسن البصري – رحمه الله – (يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء على مداد الشهداء).

السعة والشمول وتنوع المعارف في علوم الشريعة واللغة فقد ألف في جوانب متعددة منها: في الفقه مثل حاشية الروض المربع، علم الفرائض مثل حاشية على نظم الرحبية، علوم القرآن مثل حاشية مقدمة التفسير.

حرصه على الدليل والبحث عن القول الراجح وهذا واضح في كتبه.

مقدرته العلمية:

جهاده وصبره في إخراج المؤلفات: فمثلاً فتاوى شيخ الإسلام جلس أربعين ستة في الجمع وبدأها وعمره ٢٨ سنة مضافاً إليها سنوات الطبع وقد تجاوزت عشر سنوات وحاشية الروض أمضى في تأليفها أربعين عامًا حتى أتت تختال في عباراتها وجميل تبويبها.

رحلاته في جمع شتات المؤلفات: كان بعض رحلاته يطول حتى أنه يغيب عن زوجته وأولاده شهورًا عدة بل وتزيد عن السنتين أحيانًا.

ولا عجب في ذلك من أهل العلم؛ فقد جلس ابن حجر في تصنيف فتح الباري خمسة وعشرين سنة.

٢٠- غالب مؤلفاته قُرئت على علماء أجلاء ورجال فحول فاكتسبت صبغة علمية واضحة.

مثل مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه قرئت على الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - عدة مرات وغيره من العلماء.

ومثل كتاب الدرر السنية قُرأت على علماء أجلاء مثل الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ والشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري رحمهم الله جميعًا.

وكتاب حاشية الروض قرأه الشيخ عبد الله بن جبرين حفظه الله وقدم له.

٢١- الحاجة إلى مؤلفاته في العصر الحاضر:

فقد أعطيت فقط داخل المملكة ما يقرب من عشرين رسالة ماجستير ودكتوراه في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - وأيضًا كتاب حاشية الروض فهو معتمد كمنهج في كلية الشريعة)[1].

(١) الشيخ عبد الرحمن بن قاسم لمؤلفه الشيخ عبد الملك بن قاسم ص ١٩٠-٢٢٧ بتصرف.

الفصل الثالث

جهود الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى -
في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتأصيل مسائله

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جهود الشيخ في تحقيق وتأصيل مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثاني: جهود الشيخ في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عصر الشيخ ابن قاسم - رحمه الله -.

مدخل

إن الله عز وجل عندما خلق الإنسان لم يتركه سدى تتلاعب به الشياطين يمنة ويسرة؛ بل أرسل له رسلاً، وأنزل عليه كتباً، وأودع فيه قوى، تمكنه من معرفة حكم الله تعالى، وكيف يتجنب ألاعيب الشياطين، ويسير على هدى من الله تعالى وبصيرة..

ولما كان التاريخ الإنساني ممتدًا عبر حقب تاريخية طويلة، وكان الرسول يعقب الرسول بفترة ليست بالقصيرة، أدى ذلك – مع كثرة ودوام كيد الشياطين – إلى اندراس أثر الدين الأول، فبمجرد موت ذلك النبي والرسول تبدأ المكائد تنال من دينه ما لم تكن لتناله منه في حياته من أرسل به..

ولذا شرع الله تعالى شعيرة من أهم الشرائع التي اتفقت عليها الديانات على اختلافها في التشريع والتحليل والتحريم..

وقد احتلت هذه الشعيرة الأولوية لدى كل الأمم، وخاصة هذه الأمة التي كانت سببًا عظيمًا من أسباب خيريتها، وأفضليتها على الأمم الأخرى..

تلك هي شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فهي التي حفظ الله تعالى بها الدين من الاندثار، وأحيى بها السنة، وقمع بها البدعة..

وكان القائمون بهذه الشعيرة على مر العصور هم أفضل أممهم، وأزكاها وأبعدها عن غضب الله تعالى؛ بل إن من أخص خصائص أفضل الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ

فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والأدلة على فضل هذه الشعيرة أكثر من أن تحصى أو تستقصى..

وإن اهتمام علماء سلف هذه الأمة بهذه الشعيرة العظيمة يدل دلالة واضحة على فضلها، وأهميتها في الحفاظ على الدين متماسكًا ناصعًا كما تركه رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم حين قال: «**قد تركتكم على البيضاء. ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»(١).

فلا تكاد تجد عالمًا من علماء سلف هذه الأمة رحمهم الله تعالى إلا وتجد له كتابًا مستقلًّا أو تعليقًا شيقًا أو عملًا نيرًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

ولا زال ذلك النهج متبعًا حتى وقتنا الحاضر، فمن أكثر من كتب عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علماء هذا العصر، وخاصة أئمة الدعوة النجدية، حتى إن الدولة السعودية تميزت عن جميع الدول بإقامة هيئة خاصة تتولى مهمة الحسبة، ورصدت لها ميزانية ضخمة، وكان من نتائج ذلك القرار العظيم ما يشاهد اليوم من الفرق الشاسع بين المجتمع السعودي، وبقية المجتمعات الأخرى..

ولم تكن هذه الهيئة متخصصة في الميدان العملي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ بل إنها ساهمت في الناحية العلمية مساهمة بالغة من خلال نشر كتب الفتاوى الشرعية في جميع المسائل المستجدة مستنيرة في ذلك بنخبة من أهل العلم والفقهاء وأهل الفكر..

وكان من أبرز هؤلاء العلماء الذين ساهموا في إنارة الطريق لكل من يقوم

---

(١) تقدم تخريجه في ص١٤٩.

بهذه الشعيرة:

العلامة عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى -، وذلك من خلال ثلاث محاور أساسية هي:

١ - جمعه لذلك التراث الإسلامي العظيم المتمثل في فتاوى شيخ الإسلام، وفتاوى أئمة الدعوة السلفية في نجد، وذلك بما احتوى عليه ذلك التراث من مسائل كثيرة متعلقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تأسيسًا ودراسة وعملًا.

٢ - تآليفه هو - رحمه الله تعالى - فقد انطوت على مسائل ليست بالقليلة تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتميزت بتحقيق الحكم الشرعي فيها بطريقة علمية ميزت كتبه - رحمه الله تعالى -.

٣ - جهوده العملية في إقامة هذه الشعيرة.

وهذه المحاور الثلاثة سأعرض لها بشيء من التفصيل في هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول

جهود الشيخ في تحقيق وتأصيل مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أولاً: تعريف الأمر في اللغة والاصطلاح:

لفظ الأمر يطلق في اللغة إطلاقين:

الأول: يطلق على طلب الفعل ومنه قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ ويجمع على أوامر.

الثاني: يطلق على الفعل والحال والشأن ومنه قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾. ويجمع على أمور.[١]

والأمر في الاصطلاح عرف بتعريفات كثيرة، وكل استدرك واعترض على كل تعريف ومن أجمعها، وأدقها – في نظري والله تعالى أعلم – أنه: استدعاء فعل بالقول الدال عليه على سبيل الاستعلاء.

قال الشنقيطي – رحمه الله تعالى –: وأكثر الأصوليين لا يشترط العلو ولا الاستعلاء في الأمر.[٢]

تعريف المعروف والمنكر في اللغة:

المعروف ما تقبله الأنفس ولا تجد منه تكرها[٣] والمنكر من الأمر: خلاف المعروف[٤].

---

(١) كتاب العين – (٨/ ٢٩٧) لسان العرب – (٤/ ٢٦).

(٢) مذكرة أصول الفقه – (١/ ١٤).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف – (١/ ٦٦٦).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم – (٣/ ١٦٨).

وقال ابن منظور في لسان العرب: "وقد تكرر ذكر المعروف في الحديث وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع... والمنكر ضد المعروف وهو كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر"[١].

تعريف المعروف والمنكر في الاصطلاح:

عرف العلماء المعروف والمنكر بتعريفات كثيرة، وسوف أورد هنا أهم هذه التعريفات:

١ - أن المعروف هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات [٢] والمنكر ضد المعروف وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر[٣].

٢ – أن المعروف هو ما أمر الله به ورسوله، والمنكر هو ما نهى الله تعالى عنه ورسوله، وسمي هذا معروفاً لأن النفوس الطيبة تعرفه وتألفه، وسمي هذا منكراً لأن النفوس الطيبة تنكره وتستقبحه[٤].

ثانياً: نبذة تاريخية عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمم الماضية:

لقد بعث الله، جل وعلا، أنبياءه وأرسل رسله عليهم الصلاة والسلام،

---

(١) لسان العرب في مادتي «ع ر ف، ن ك ر».

(٢).ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، جـ ٣، ص ٢١٦.

(٣).المصدر السابق جـ ٥، ص١١٥

(٤).شرح كتاب اعتقاد أهل السنة لعبد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامي رقم الجزء هو رقم الدرس ومجموعه ١٧ درسا - (١١/١٦).

وحملهم مهمة القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

أ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

قال السمرقندي - رحمه الله تعالى -: (قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ يعني بالعدل وهم مؤمنو بني إسرائيل يأمرونهم بالمعروف فكانوا يقتلونهم فعيرهم الله بذلك وأوعدهم النار فقال: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يعني وجيع ويقال "أليم" يعني يؤلم، ثم قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ يعني بطل ثواب حسناتهم فلا ثواب لهم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يعني مانعين يمنعونهم من النار)[(١)].

ب - قوله تعالى في وصية لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

ج - قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وهم أهل قرية "أيلة" من بني إسرائيل، وقصتهم معروفة، وقد مسخ الله الذين ظلموا منهم قردة، وفي نجاة الساكتين على المنكر منهم قولان لأهل العلم.

وقد دلت الآيات الكريمة المتقدمة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانا واجبين في الأمم المتقدمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله من الدين"[(٢)].

---

(١) بحر العلوم (١/ ٢٢٧).

(٢) ابن تيمية الحسبة في الإسلام (ضمن مجموعة الرسائل)، القاهرة، المطبعة الحسينية ١٣٢٣ هـ، ص ٣٦.

وقد نص الرازي - رحمه الله تعالى - على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، هذه الصفات الثلاث كانت حاصلة في سائر الأمم"[١].

ويقول القرطبي: "إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانا واجبين في الأمم المتقدمة وهما فائدة الرسالة وخلافة النبوة"[٢].

ويقول الآمدي: "ما من أمة إلا وقد أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر كنهيهم عن الإلحاد وتكذيب أنبيائهم"[٣].

وعندما بعث نبينا ﷺ برسالة الإسلام للناس كافة، قام بواجب الأمر بالمعروف بنفسه وكلف بعض أصحابه بالقيام به، وقد وصف الله، جل وعلا، نبيه محمد ﷺ بأنه يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك في قوله جل وعلا: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وكان ﷺ كما وصفه ربه تعالى آمرًا بالمعروف إذا رآه متروكاً، ناهيًا عن المنكر إذا وجده مفعولًا. ولم يقتصر احتسابه على جانب من جوانب الحياة بل شمل جميع شئون الحياة كلها[٤] ومن أمثلة قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بنفسه وإسناده إلى غيره[٥] ما رواه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن

---

(١) تفسير الرازي (١/ ١٢٢٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤: ٤٧.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، ١: ٣٠٨.

(٤) مفاتيح الغيب، ٣: ٢٧.

(٥) انظر: فضل الهي، الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين ﷺ، الطبعة الأولى، باكستان، إدارة ترجمان الإسلام، ١٤١٠ هـ الطبعة الأولى، باكستان. ص ١٣.

عمر، رضي الله عنهماً، قال: «**أمرني رسول الله أن آتيه بمدية - وهي الشفرة - فأتيته بها فأرسل بها، فأرهفت، ثم أعطانيها، وقال: "اغذ علي بها" ففعلت، فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة، وفيها زقاق خمر قد جلبت من الشام، فأخذ المدية مني، فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته، ثم أعطانيها وأمر أصحابه الذين كانوا معه أن يمضوا معي، وأن يعاونوني، وأمرني أن آتي إلى الأسواق كلها فلا أجد زق خمر إلا شققته، ففعلت فلم أترك في أسواقها زقًّا إلا شققته**»[(١)].

وقال العلامة ابن قاسم - رحمه الله تعالى -: (.. لأنه لا صلاح للعباد في المعاش والمعاد إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولأن جماع الدين، وجميع الولايات، أمر ونهي، والأمر الذي بعث الله به رسوله، هو الأمر بالمعروف؛ والنهي الذي بعثه به، هو النهي عن المنكر؛ وهو نعت النبي ﷺ والمؤمنين، في قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقوله: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤])[(٢)].

ثالثاً: عواقب ترك - أو التساهل - في إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لا شك أن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم شعائر الإسلام، وقد بين الله تعالى في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أهميتها، وجائزة من قام بها؛ فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

---

(١) مسند أحمد حديث رقم ٦١٦٥ (١٠/ ٣٠٦) وصححه الألباني كما في إرواء الغليل (٥/ ٣٦٥).
(٢) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية - (١/ ١٢٩).

قال الإمام الشنقيطي - رحمه الله تعالى -: (وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ دليل على أنه لا وعد من الله بالنصر، إلا مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. فالذين يمكن الله لهم في الأرض ويجعل الكلمة فيها والسلطان لهم، ومع ذلك لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة، ولا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر فليس لهم وعد من الله بالنصر، لأنهم ليسوا من حزبه، ولا من أوليائه الذين وعدهم بالنصر، بل هم حزب الشيطان وأولياؤه، فلو طلبوا النصر من الله بناء على أنه وعدهم إياه، فمثلهم كمثل الأجير الذي يمتنع من عمل ما أجر عليه، ثم يطلب الأجرة، ومن هذا شأنه فلا عقل له)[١].

وهذه جائزة عاجلة في الدنيا، وهي نصر الله تعالى لمن يقيم هذه الشعائر، ويعتني بها في الأرض، ووعد الله لا شك في تحققه.

ولم يقتصر ربنا تبارك وتعالى على الترغيب في إقامة هذه الشعيرة؛ بل زاد ذلك بالترهيب من تركها، وبيان عواقب الاستهزاء بها ولو مع حسن النية؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

قال الماوردي - رحمه الله تعالى -: (قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ نسوا يعني تركوا، والذي ذكروا به أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَونَ عَنِ السُّوءِ﴾ وهم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ وهم الذين تركوا المعروف وفعلوا المنكر)[٢].

وما أحسن رسالة العلامة محمد بن إبراهيم - رحمه الله تعالى - حين قال:

---

(١) أضواء البيان ج ٥ ص ٢٦٦.

(٢) النكت والعيون للماوردي ج٢ ص٢٧٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن إبراهيم، إلى إخواننا المسلمين، جعلنا الله وإياهم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد: فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو القطب الأعظم في الدين، والمهم الذي ابتعث الله له الأنبياء والمرسلين؛ فلو طوى بساطه، وأهمل علمه وعمله لفشت الضلالة وشاعت الجهالة، وخربت البلاد، وهلك العباد. قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١] فنعوذ بالله من اندراس هذا المهم العظيم، واستيلاء المداهنة على القلوب، وذهاب الغيرة الدينية.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو عنوان الإيمان، ودليل السعادة والفلاح، قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

وهذا غاية في التغليظ، إذ علل استحقاقهم اللعنة، باستهانتهم بأمر الله،

وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

وروى أبو داود، والترمذي من حديث عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه، ولتأطرنه على الحق أطرًا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم**»(١).

وعن حذيفة، أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابًا من عنده، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**»(٢).

وعن أبي بكر الصديق ﷺ قال: سمعت رسول الله فيه يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، يوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده**»(٣) رواه ابن ماجه، والترمذي وصححه.

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوحى الله إلى جبريل عليه السلام أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها؟ قال: يا رب، إن فيهم عبدك فلانًا، لم يعصك طرفة عين، قال: فقال: اقلبها عليه وعليهم، فإن وجهه لم يتمعر في ساعة قط**»(٤).

---

(١) لم أجده باللفظ الذي ذكر الشيخ، وفي سنن أبي داود حديث رقم ٤٣٣٨ عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا**» وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم (١٨٢٢) ص٢٦٢.

(٢) سنن الترمذي حديث رقم ٢١٦٩ (٤/ ٤٦٨) وقال: حسن صحيح.

(٣) لم أجده بلفظه وأقرب ما وجدت إليه ما روي في سنن ابن ماجه حديث رقم ٤٠٠٥- (٢/ ١٣٢٧) ولفظه: إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه. وقال الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٣٦٧، برقم (٣٩٩٥): صحيح.

(٤) الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٣٣٦) برقم (٧٦٦١)، وشعب الإيمان للبيهقي حديث رقم ٧٥٩٥- (٦/ ٩٧) وضعف إسناده الألباني في السلسلة الضعيفة (٤/ ٣٧٦) برقم (١٩٠٤).

وعن جرير مرفوعًا: «**ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي، هم أعز منه وأمنع، لم يغيروا عليه، إلا أصابهم الله بعذابه**»[١] رواه أحمد وغيره.

وذكر الإمام أحمد من حديث ابن عمر مرفوعًا: «**لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم، فيسومونكم سوء العذاب، ثم يدعوا خياركم، فلا يستجاب لهم، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليبعثن الله عليكم من لا يرحم صغيركم، ولا يوقر كبيركم**».[٢]

وفي الطبراني، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال قال رسول الله ﷺ: «**ما طفف قوم مكيالًا، ولا بخسوا ميزانًا، إلا منعهم الله القطر، وما ظهر في قوم الزنا، إلا ظهر فيهم الموت. وما ظهر في قوم الربا إلا سلط الله عليهم الجنون. ولا ظهر في قوم القتل يقتل بعضهم بعضًا، إلا سلط الله عليهم عدوهم. ولا ظهر في قوم عمل قوم لوط، إلا ظهر فيهم الخسف؟ وما ترك قوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا لم ترفع أعمالهم، ولم يسمع دعاؤهم**»[٣])[٤].

وقال الشيخ علي محمد الصلابي: (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو عنوان خيرية هذه الأمة، حتى إن الآية قدمته في الذكر قبل الإيمان، لأن الإيمان

---

(١) مسند أحمد حديث رقم ١٩٢١٦- (٣١/ ٥٤٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٧٤٩) ٢/ ١٠٠٢.

(٢) لم أجده في المسند، وقد أخرج بهذا اللفظ ابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات رقم (٣٣) ص٣٨، والحديث ضعيف الإسناد لضعف كوثر بن حكيم، فقد ترك المحدثون حديثه. انظر: لسان الميزان للذهبي ٤/ ٤٩٠.

(٣) لم أجده في معاجم الطبراني بهذا اللفظ، وقد أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات رقم (٣٥) ص٣٩-٤٠)، وفي إسناده زيد بن الحواري وهو ضعيف. انظر: تقريب التهذيب ص٢٢٣، وللحديث شاهد آخر رواه البيهقي في الكبرى ٣/ ٣٤٦-٣٤٧ بلفظ «... وما طفف قوم الميزان إلا أخذهم الله بالسنين...» وإسناده صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة للألباني ١/ ١٠٦، برقم (١٠٧).

(٤) من مطبوعات الإدارة العامة للإفتاء سنة ١٣٧٦هـ.

والدين لا يحفظان في حياة المسلمين دون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومما يدل على أن الدين يضيع إذا لم يأتمر الناس بالمعروف ويتناهون عن المنكر ما حدث لبني إسرائيل، إذ كان إهمالهم لتلك الفريضة بداية النهاية لفقدهم رتبة التفضيل على ألسنة الرسل، كما قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩](١).

ويقول الغزالي - رحمه الله تعالى -: (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله به النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه، وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد، وقد كان الذي خفنا، فإنا لله وإنا إليه راجعون)(٢).

وفي سؤال عرض على الشيخ عبدالله بن حميد يقول فيه السائل:

ماذا تكون نتيجة التساهل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

فأجاب بقوله: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الأساس الأعظم للدين، والمهم الذي بعث الله لأجله النبيين، ولو أهمل لاضمحلت الديانة، وفشت الضلالة، وعم الفساد، وهلك العباد، إن في النهي عن المنكر حفاظ الدين، وسياج الآداب والكمالات، فإذا أهمل أو تسوهل فيه، تجرأ الفساق على إظهار الفسوق والفجور بلا مبالاة ولا خجل(٣).

---

(١) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم لعلي بن محمد الصلابي- (٢/ ٨٠).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ٣٠٦).

(٣) الدرر السنية ج١٥ ص١٠.

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قدمت في الفصل الأول حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبينت أقوال أهل العلم في ذلك في موضعه، وأوضحت أن العلماء مختلفون في حكمه؛ فمنهم من قال بأنه فرض عين، وآخرون رجحوا فرضه على الكفاية..

والمتأمل لرأي الفريق القائل بأنه فرض كفاية؛ يجد أنهم يركزون على قضية مهمة يعترضون بها على القول بفرض العين، وهي -كما ذكرها محمد رشيد رضا في تفسيره بقوله-: (أنه يشترط فيمن يأمر وينهى أن يكون عالماً بالمعروف الذي يأمر به، والمنكر الذي ينهى عنه، وفي الناس جاهلون لا يعرفون الأحكام، ولكن هذا الكلام لا ينطبق على ما يجب أن يكون عليه المسلم من العلم، فإن المفروض الذي ينبغي أن يحمل عليه خطاب التنزيل؛ هو: أن المسلم لا يجهل ما يجب عليه، وهو مأمور بالعلم، والتفرقة بين المعروف والمنكر، على أن المعروف عند إطلاقه يراد به ما عرفته العقول والطباع السليمة، والمنكر ضده وهو ما أنكرته العقول والطباع السليمة، ولا يلزم لمعرفة هذا قراءة حاشية ابن عابدين على الدر، ولا فتح القدير ولا المبسوط، وإنما المرشد إليه -مع سلامة الفطرة- كتاب الله وسنة رسوله المنقولة بالتواتر، والعمل، وهو ما لا يسع أحدًا جهله، ولا يكون المسلم مسلمًا إلا به)[١].

وهنا أمرٌ آخر في رد ما ذهبوا إليه، وهو: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له مراتب، وليس مرتبة واحدة، فمنه ما هو بيّن يستطيع القيام به كل مسلم[٢]، وهناك مراتب يسقط عنه التكليف فيها لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ

(١) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا: (٤/ ٢٧).
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور: (٣/ ٣٩).

نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] فالقول بأنه فرض عين لا يعني أنه بكل حال، وإنما إذا استطاع ذلك، وأول الاستطاعة وأعلاها أن يملك العلم الذي يأمر وينهى بموجبه، وإلا فإن الجاهل لا يجب عليه ذلك..

وخلاصة هذا الاعتراض أن الأمر والنهي واجب على كل فرد بحسبه[١].

ولا شك أن هناك ما علم من الدين بالضرورة، ويعلمه حتى العوام؛ فالواجب عليهم أن يأمروا به في حدود علمهم، وأن ينهوا عن ما يخله في حدود ما علموا؛ مع أن طلب العلم فريضة واجبة على كل مسلم.

ولا شك أن من واجبات الدولة المسلمة العمل على إحياء هذه الشعبة – أعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – وإعداد من يقوم عليها فقهًا، وخلقًا، وتفرغًا، واحتسابًا لوجه الله تعالى.

إن على الدولة الإسلامية أن تقوم بإنشاء هيئة خاصة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لها مؤسساتها ونظمها ولوائحها..

وإن من أهم واجبات هذه الهيئة القيام بإلزام الناس بمنهج الإسلام في الحياة؛ وواجب الحكومة الإسلامية أن تقف وراء هذه الهيئة وتدعمها، في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ..

وإن من أهم من يدعى للمعروف وينهى عن المنكر – قبل العوام – هم أركان الدولة والقائمون عليها ذلك أن إلزامهم بالتعاليم الإسلامية هو إلزام للعوام، وتوجيههم توجيه لبقية الناس.

ويدخل تحت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إقامة الحدود، ودرء المفاسد، وجلب المصالح، وإحياء الأخلاق الكريمة، فإقامة حدود الله وفق تطبيق أمثل وأحكام عادلة، هو قبل كل شيء رضا لرب العباد، وهذا يكفي

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: (١/ ٣٩١) (ط١، ١٤٠١هـ دار الفكر، بيروت).

وحده، ثم إنه أمن للأمة واستقرار للمجتمع وثبات للدين، وقوة للدولة..

يقول ابن القيم - رحمه الله -: «الحدود جعلها الله تعالى زواجر للنفوس وعقوبة ونكالاً وتطهيرًا فشرعها من أعظم مصالح العباد في المعاش والمعاد، بل لا تتم سياسة ملك من ملوك الأرض إلا بزواجر وعقوبات»[١]

وإن من يستقرئ أحوال المجتمعات القديمة والمعاصرة يرى ما تصنعه من وسائل وأجهزة، وما تستحدثه من فلسفات ومناهج وأساليب تقف من ورائها مؤسسات علمية وتربوية وفنية إلى جانب السياسات التشريعية والتنفيذية، كل هذا من أجل تثبيت أركان المبادئ التي تقوم عليها هذه المجتمعات ومنع ما قد يتهددها من أخطار.

ومجتمع الإسلام يقوم بمبادئ الدين الحق، وهذا الدين به تحفظ ضروريات الناس من عقيدة ومال وعرض وعقل، فكان لابد من المحافظة عليه، محافظة على هذه الضروريات.

ومن أجل المحافظة على هذه الضروريات، شرع الله - عز وجل - الحدود، وأنزل الكتب، قال الغزالي - رحمه الله -: «ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو: أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة هو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة ودفعها مصلحة»[٢].

وربما جعلها بعض أهل العلم ستة؛ فأضاف إلى الخمسة المذكورة العرض.

ومن الآيات التي جاءت تحمل الدّلالة الصّريحة على أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هو الطريق الصحيح، والمنهج الحق، وأنّه لا يستوي من

---

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ١٨٤).

(٢) انظر: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (١/ ٤٥٧).

قام به، ومن أهمله وفرّط فيه، قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤]).

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: («لَيْسُوا سَوَاءً» أي: ليسوا كلّهم على حدّ سواء، بل منهم المؤمن ومنهم، المجرم، ولهذا قال تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ أي: قائمة بأمر الله، مطيعة لشرعه، متبعة نبي الله، فهي قائمة يعني مستقيمة)[1].

ومفهوم المخالفة لهذه الآية أن الأمَّة التي ليست كذلك، ولم تتصف بهذه الصفات، فهي أمَّة منحرفة ضالة زائغة.

فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ولكن فقه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ليس على وتيرة واحدة؛ بل يختلف من حال إلى حال فلا بد له من فقهه الخاص به المستند إلى الدعوة بالتي هي أحسن، والتدرج في الأمر والنهي، والرفق فيهما إلى غير ذلك من الضوابط التي وضعها أهل العلم حتى يصل الآمر والناهي إلى هدفه الذي هو إقامة المعروف والالتزام به، وترك المنكر والتورع عنه، فكم من داعية يأمر وينهى - استجابة للآيات الداعية لذلك على وجه العموم - ضلّ في هذا الأمر، ولم يوفّق للمنهج الوسط، وهو المنهج الحق، فقد يتكلّم في مقام يجب فيه السّكوت، وقد يغلظ في حال تجب فيها اللين والرفق، وقد يلين القول فيما لا يجدي فيه إلا الغلظة والشدة، وهكذا.

ولذلك جاءت الآيات تبيّن المنهج القويم في مثل هذا الأمر، وترسم الطريق

---

(١)انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٣٩٧).

المستقيم الذي قد يخفى على الكثيرين.

وإن من أقوى الأدلة على لزوم منهج مستقيم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى -: (قال ابن عباس: قالت قريش: يا محمد: لتنتهين عن سبّك آلهتنا، أو لنهجونّ ربك، فنهاهم الله أن يسبّوا أوثانهم. وقال قتادة: كان المسلمون يسبُّون أصنام الكفّار، فيسبّ الكفار الله - عز وجل - عدوًا بغير علم، فأنزل الله هذه الآية)[1].

ولابد مع مراعاة ما سبق من الاهتمام بحق الله تعالى أن يلتزم الآمر الرفق واللين والشدة كل في موضعه، وأن يراعي الفروق الفردية بين الأشخاص المدعوين..

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: (والأمر بالسنة والنهي عن البدعة هو أمر بمعروف ونهي عن منكر، وهو من أفضل الأعمال الصالحة، فيجب أن يبتغي به وجه الله، وأن يكون مطابقًا للأمر، وفي الحديث: «**من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فينبغي أن يكون عليمًا بما يأمره به؛ عليمًا بما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهى عنه**»(٨٩)، فالعلم قبل الأمر، والرفق مع الأمر، والحلم بعد الأمر؛ فإن لم يكن عالمًا لم يكن له أن يقفوا ما ليس له به علم، وإن كان عالمًا ولم يكن رفيقًا، كان كالطبيب الذي لا رفق فيه، فيُغلِظ على المريض فلا يقبل منه، وكالمؤدب الغليظ الذي لا يقبل منه الولد، وقد قال تعالى لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]، ثم إذا أمر ونهى فلابد أن يؤذَى في العادة، فعليه أن يصبر

(١) انظر: القولين في تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٤).

ويحلم، كما قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] وقد أمر الله نبيه بالصبر على أذى المشركين في غير موضع، وهو إمام الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر)[١].

وما أحسن وأدق ما لخص به الإمام الشنقيطي - رحمه الله تعالى - هذه المسألة حين قال: (وينبغي أن تكون دعوته إلى الله بالحكمة، وحسن الأسلوب، واللطافة مع إيضاح الحق. لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] فإن كانت دعوته إلى الله بقسوة وعنف، فإنها تضر أكثر مما تنفع، فلا ينبغي أن يسند الأمر بالمعروف إسناداً مطلقاً، إلا لمن جمع بين العلم والحكمة والصبر على أذى الناس، لأن الأمر بالمعروف وظيفة الرسل، وأتباعهم وهو مستلزم للأذى من الناس، لأنهم مجبولون بالطبع على معاداة من يتعرض لهم في أهوائهم الفاسدة، وأغراضهم الباطلة، ولذا قال العبد الصالح لقمان الحكيم لولده، فيما قص الله عنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ولما قال النبي ﷺ لورقة بن نوفل: «**أو مخرجي هم؟**» يعني قريشاً أخبره ورقة أن هذا الدين الذي جاء به لم يأت به أحد إلا عودي، وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: ما ترك الحق لعمر صديقاً، واعلم أنه لا يحكم على الأمر بأنه منكر، إلا إذا قام على ذلك دليل من كتاب الله تعالى، أو سنة نبيه ﷺ، أو إجماع المسلمين.

وأما إن كان من مسائل الاجتهاد، فيما لا نص فيه فلا يحكم على أحد المجتهدين المختلفين بأنه مرتكب منكراً، فالمصيب منهم مأجور بإصابته،

---

(١) منهاج السنة" (٥/ ٢٥٣-٢٥٤).

والمخطىء منهم معذور كما هو معروف في محله.

واعلم أن الدعوة إلى الله بطريقين: طريق لين، وطريق قسوة. أما طريق اللين فهي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإيضاح الأدلة في أحسن أسلوب وألطفه. فإن نجحت هذه الطريق فبها ونعمت، وهو المطلوب وإن لم تنجح تعينت طريق القسوة بالسيف حتى يعبد الله وحده وتقام حدوده، وتمتثل أوامره، وتجتنب نواهيه، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

ففيه الإشارة إلى إعمال السيف بعد إقامة الحجة، فإن لم تنفع الكتب تعينت الكتائب، والله تعالى قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)[1].

(١) أضواء البيان - (١/ ٤٦٣-٤٦٤).

جهود الشيخ في تحقيق وتأصيل
مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لقد قدمت أن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الشعائر التي كانت موجودة في سائر الأمم، وأنها من أعظم شعائر هذا الدين، وقد أمر الله بها هذه الأمة كسائر الأمم؛ فقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] بل جعلها من أهم أسباب خيريتها على سائر الأمم قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه، وأرسل رسله)[١].

وقال: (فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر)[٢]

وكانت جميع الأمم تنشأ على التوحيد الخالص، والمعروف السليم، ثم تدخل عليها المعاصي والمنكرات؛ فيهب أهل الخير والصلاح لتذكير الناس بالمعروف وأمرهم به، وتعريفهم بالمنكر وتحذيرهم منه..

وهكذا كانت الدولة السعودية حيث أنشئت على التوحيد والمعروف الخالص ثم دخلت عليها المنكرات، بسبب اختلاطها بالأمم الأخرى غير الإسلامية، أو

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية ص ٢٥.
(٢) الفتاوى (٢٨/ ٦).

حتى المجتمعات الإسلامية التي دخلت عليها الانحرافات من قبل..

يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم واصفًا حالة ظهور بعض الانحرافات في المجتمع السعودي: (حصل بسبب الاختلاط بأهل الخارج، المشابهة في بعض المحظورات، من أنظمة، وتعليم، وترك فرائض، ومشابهة في المكس[١]، واللباس، وحلق اللحى، والتصوير، والتبرج، والملاهي، والتنزه، وغير ذلك مما حدث في هذا العصر، وهو ما بعد وفاة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف - رحمه الله -، سنة ١٣٣٩هـ)[٢].

وحيث كان هذا هو الواقع المعاش؛ فلا سبيل إلى التخلص منه، إلا بالتعاون بين العلماء والحكام ويتصدوا لتلك المنكرات ويحاربوها حتى تنكص على أعقابها؛ فيسلم المجتمع من المهالك التي تسببها المعاصي والانحرافات..

يقول الشيخ - رحمه الله تعالى -: (وأسأله تعالى أن يوفق علماء هذا العصر، الذين هم ما بين قاض ومعلم وغيرهم، بأن يتساعدوا مع ولاة الأمر، على أن يخففوا وطأة هذه المنكرات التي حدثت، فيبنوا ما تهدم مما أطده سلفهم، إلى أن يعود الأمر إلى نصابه)[٣]

ولما كانت شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي الأساس والسلاح الفتاك الذي يهزم المنكرات وأهلها عند بداية اللقاء، دعا الشيخ - رحمه الله تعالى - إلى التسلح به، والإقدام على مقارعة الأعداء، والدعوة إلى

---

(١) قال ابن دريد: المَكْسُ: دَراهِمُ كانت تؤخَذ من بائِعي السِّلَع في الأسواق في الجاهِلِيَّة، قال جابِر بن حَنُيٍّ التَّغْلبيّ: وفي كُلِّ أسواقِ العِراقِ اتَاوَةٌ... وفي كُلِّ ما باعَ امرؤٌ مَكْسُ دِرْهَم، وقال شَمِر: المَكْس: النَّقْص، ومنه قول النبيّ ﷺ: «**لا يَدخُلُ الجنَّة صاحِبُ مَكْسٍ. وقيل المُراد منه العَشّار؛ والمَكْس الظُّلْمُ**». انظر: العباب الزاخر - (١/ ١٩٧).

(٢) الدرر السنية عبد الرحمن بن قاسم (١٥/ ٥).

(٣) المرجع السابق (١٥/ ٦).

مكارم الأخلاق.

يقول عليه رحمة الله تعالى: (وأبدأ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث إنه إذا استقام قضى على تلك المحظورات، فأقول: أوجب الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأثنى على من قام به، فقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] وقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(١)]، وفي رواية: «**وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان**»[(٢)] وقال ﷺ: «**لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد السفيه، ولتأطرنه على الحق أطرًا، أو ليعمنكم الله بعقاب من عنده**»[(٣)])[(٤)].

ولا ينسى الشيخ - رحمه الله تعالى - التنبيه على أن الإقدام على الأمر والنهي حتى مع الخوف على النفس أو المال هو ديدن السلف الصالح، مرجحًا بذلك قول بعض أهل العلم أنه إذا تأكدت المصلحة العامة قدمت على المصلحة الخاصة، ووجب الإقدام على الأمر والنهي..

---

(١) مسلم: حديث رقم (٤٩).

(٢) مسلم: الإيمان (٥٠).

(٣) سبق تخريجه (ص١٨٣).

(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٦).

يقول - رحمه الله تعالى -: (وفي الحديث: «**لا يمنعن أحدكم هيبة الناس أن يقول في حق**»[(١)]. والحزم: أن لا يبالي، لما ورد: «**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**»[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] قال بعض السلف: أي: يبيعها ببذلها في الجهاد، أو يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر حتى يقتل طلبًا لمرضاة الله عز وجل[(٣)])[(٤)].

ومن المعلوم أن وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متعددة ومتنوعة، ويمكن إجمالها بشيء من التلخيص على النحو التالي:

١- الخطبة يوم الجمعة والعيدين: حيث يمكن للخطيب من خلالهما أن يبين بعض المنكرات وينبه عليه.

٢- المحاضرة أو المقالة في مجلة أو صحيفة لبيان أمراض المجتمع وإعطاء العلاج الشافي.

٣- الكتاب. يعرض المؤلف ما يريد بيانه للناس من أفكار لإصلاح الناس.

٤- الموعظة: تكون في مجلس، فيتكلم أحد الحاضرين مثلاً عن أضرار الدخان الجسمية والمالية.

٥- النصيحة: تكون بين الأخ وأخيه سراً لترك خاتم الذهب، أو تحذيره من ترك الصلاة، أو تحذيره من دعاء غير الله.

---

(١) مسند الإمام أحمد برقم (١١٠١٧) (١٧/ ٦١) قال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة رقم (٧٤٩٢) (٨/ ٦٧): رواته ثقات.

(٢) سنن ابن ماجه حديث رقم ٤٠١٢- (٢/ ١٣٣٠) سنن النسائي حديث رقم ٤٢٠٩- (٧/ ١٦١) وقال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع رقم (١١٠٠) (١/ ٢٤٨).

(٣) راجع: تفسير أبي السعود - (١/ ٢١١) وروح المعاني - (٢/ ٠).

(٤) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية - (ص ١٢٩).

٦- الرسالة: من أفيد الوسائل، فكل إنسان يستطيع أن يقرأ صفحات قليلة عن الصلاة أو الجهاد، أو الزكاة، أو عن الكبائر: كدعاء الأموات وطلب المدد منهم، أو طاعة الحكام في معصية الله تعالى، وغير ذلك[١].

وإذا كانت وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متعددة ومتنوعة، فإن الشيخ - رحمه الله تعالى - حرص على استخدام ما أتيح له منها في قيامه بتلك الشعيرة، وتعتبر الكتب والرسائل والمقالات من أهم تلك الوسائل التي حرص الشيخ من خلالها على بيان وتأصيل مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

يقول - رحمه الله تعالى -: (إن جماع الدين، وجميع الولايات، أمر ونهي، والأمر الذي بعث الله به رسوله، هو الأمر بالمعروف؛ والنهي الذي بعثه به، هو النهي عن المنكر؛ وهو نعت النبي ﷺ والمؤمنين، في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران: ١١٠])[٢].

وبين - رحمه الله تعالى - أن التواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أساسيات الدين، وأن واجب العامة إن لم يقدروا على الأمر والنهي أن يبلغوا السلطان حتى يقوم بواجبه في ذلك ولا يعتبر ذلك نميمة ولا غيبة..

يقول - رحمه الله تعالى - معلقًا على مسارعة كعب بن مالك لينقل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كلام الذين قالوا: "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء"[٣]: (هذا ونحوه من النصيحة لله ورسوله ﷺ، وليس من النميمة في شيء، فذكر أفعال الفساق

(١) توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع - (ص ٩٥).
(٢) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية - (ص ١٢٩).
(٣) راجع: الدر المنثور - (٤/ ٢٣٠).

لولاة الأمور ليردعوهم، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا من الغيبة والنميمة)[١].

وقد بذل الشيخ جهودًا مضنية في سبيل تأصيل كل مسألة عالجها متعلقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان أدلتها، وتوضيح كلام أهل العلم عليها..

يقول - رحمه الله تعالى - مبينًا ضرورة أن يكون الآمر والناهي عالمًا بما يأمر عالمًا بما ينهى، وأن تكون عنده القدرة على الأمر والنهي ونحو ذلك: (وإن يكن الذي علم بالمنكر، هو عارف بما ينكر واحداً، أو كانوا عددًا لكن لا يحصل المقصود إلا بهم جميعًا، تعين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصار فرض عين عليه أو عليهم للزومه عليه أو عليهم، ولعدم قيام غيره أو غيرهم به؛ لكن شرط افتراضه على الجماعة، أو الواحد، سواء كان الأمر والنهي فرض كفاية، أو فرض عين: القدرة على ذلك؛ فإن مناط الوجوب القدرة، فيجب على كل بحسبه، وأن يأمن على نفسه وأهله وماله، ولا يخالف سوطًا أو عصاً، ولا أذى، ولا فتنة تزيد على المنكر، هذا قول الجمهور، عملًا بما في بعض الأحاديث من رخصة السكوت عند المخالفة)[٢].

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم – ص ٤٩ .

(٢) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية - (ص ١٢٩).

المبحث الثاني

جهود الشيخ في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر لا تخفى أهميته، وخاصة ممن هو أهل له علمًا وورعًا وحكمة..

ولذلك حرص عليه العلماء والأمراء العادلون على مر العصور، فكونوا الهيئات التي تتخصص في أمر الناس بالمعروف وتنهاهم عن المنكر، وتسهر على حفظ البلاد من المنكرات..

ولم يكتفوا بعمل تلك الهيئات وحدها؛ بل قاموا هم أنفسهم بذلك الواجب، وأقاموا تلك الشعيرة..

وكانوا أهل حكمة واتباع في كل ما يقومون به؛ وأهل فقه وعلم في الأمر والنهي، فكانوا يرتبون درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن استطاع منهم أن ينكر بيده فعل، ومن عجز عن اليد وقدر على اللسان وعظ به وزجر، ومن عجز عن كل ذلك انفطر قلبه حزنًا على إقامة المنكرات وإهمال المعروفات..

يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى - مبينًا تلك الدرجات: (والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عام وفرض على كل واحد بحسبه، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وأعلاه باليد، فمن لم يقدر فبلسانه، فمن لم يقدر فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[1].

---

(١) حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم ص (١٤٦).

ويؤصل تلك الدرجات لإنكار المنكر في موضع آخر فيقول: (قال ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[١].

رواه مسلم وغيره، وفيه أيضًا: «**من جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»[٢] وفي الباب أحاديث كثيرة)[٣].

ولكن هل هذه الدرجات على التخيير أم على الترتيب؟

يجيب الشيخ - رحمه الله تعالى - عن ذلك فيقول: (وأزل المنكر باليد، وهو أعلى درجات الإنكار؛ وغيره باللسان حيث لم تستطع تغييره باليد، بأن تعظه باللسان وتذكره بالله وأليم عقابه، وتوبخه وتعنفه، مع لين وإغلاظ بحسب ما يقتضيه الحال..

واحذر من النزول عن أعلى المراتب، حيث قدرت على أن تغير المنكر بيدك إلى الإنكار باللسان، إلا مع العجز عن ذلك؛ ثم إنه لا يسوغ لك العدول،عن التغيير باللسان إلى الإنكار بالقلب، إلا مع عدم القدرة على الإنكار باللسان، والإنكار بالقلب هو أضعف الإيمان).[٤]

ولما كان مقام الأمر والنهي هو مقام الرسل وطريقهم التي يسلكونها؛ فإن من سار على نفس الطريق لا بد أن يجد ما وجدوا: «**لم يأت رجل بالذي جئت به إلا أوذي**»[٥].

---

(١) صحيح مسلم حديث رقم ١٨٦.

(٢) صحيح مسلم حديث رقم ١٨٨.

(٣) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية - (١/ ١٣١).

(٤) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية - (١/ ١٣٠).

(٥) صحيح البخاري حديث رقم ٤٩٥٣.

وكان ديدن الأنبياء والمصلحين هو الصبر على ما يصيبهم من ابتلاء ابتغاء رضوان الله تعالى فكان ذلك هو واجب الآمر والناهي..

يقول الشيخ - رحمه الله تعالى - موجها خطابه للآمر والناهي: (فاصبر على الأذى، ممن تأمره وتنهاه، ولا تنتصر لنفسك، واعلم أن الأمر والنهي، هو أشق ما يحمله المكلف، وهو مقام الرسل، والصبر إن لم يستعمل لزم تعطيل الأمر، أو حصول فتنة، أو مفسدة بتركه)[١].

ولا شك أن الوجوب الذي قدمت مراتبه، وكونها على الترتيب لا على التخيير مقيد بالقدرة لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

يقول الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى -: (مناط الوجوب القدرة، فيجب على كل بحسبه، وأن يأمن على نفسه وأهله وماله، ولا يخالف سوطًا أو عصاً، ولا أذى، ولا فتنة تزيد على المنكر، هذا قول الجمهور)[٢].

ولما كان الناس يقتدون غالبًا بالقدوة، ولا يتأثرون بالكلام الذي يخالف الفعل، بين الشيخ أن الآمر والناهي يجب عليه أن يكون ممتثلًا لما يأمر به منتهيًا عما ينهى عنه..

يقول - رحمه الله تعالى -: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

وفي الصحيحين: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان، مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت**

(١) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية - (١/ ١٣٠).
(٢) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية - (١/ ١٢٩).

آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[١].

وفي صحيح مسلم قال: مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: خطباء أمتك، الذين يقولون ما لا يفعلون[٢].

وقال الله عن شعيب: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

وقال بعض السلف: إذا أردت أن يقبل منك، فإذا أمرت بشيء فكن أول الفاعلين له، المؤتمرين به؛ وإذا نهيت عن شيء فكن أول المنتهين عنه[٣])[٤].

لكن قد يفهم البعض من هذا الكلام أن الذي لا يفعل المعروف يحرم عليه أن يأمر به، والذي يقترف المناكر لا يسوغ له أن ينهى عنها؛ ولكن ذلك خلاف الواقع، فإن كلا من فعل المعروف والأمر به واجب، وتضييع أحدهما لا يسوغ تضييع الآخر، وقل نفس الشيء في النهي عن المنكر..

يقول الشيخ - عليه رحمة الله تعالى -: (وأما وجوب الأمر والنهي، فلا يسقط عن الذي لم يكن متصفًا بتلك الأوصاف، والنهي عن المنكر واجب، والانكفاف عن المحرم واجب، والإخلال بأحد الواجبين، لا يمنع وجوب فعل الآخر؛ ولو كان لا يأمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر، إلا من ليس فيه

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم ٣٢٦٧ ومسلم حديث رقم ٧٦٧٤.

(٢) لم أجده في صحيح مسلم وهو في مسند الإمام أحمد رقم (١٢٢١١) (١٩/ ٢٤٤) مرفوعا من رواية أنس بن مالك ﷺ (١/ ٢٨٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٢٩) (١/ ٨٨).

(٣) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ) الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م (٢/ ٤٣١).

(٤) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية - (ص ١٣١ – ١٣٢).

شيء من ذلك، ما أمر أحد بمعروف، ولا نهى عن منكر، ولسقط الأمر والنهي ويود الشيطان أن لو كان ذلك)[١].

هذا من حيث الجملة، والسعي إلى توضيح معالم الأمر والنهي، وفقه المسألة وتأصيلها علميًّا، أما عمليًّا فقد حرص الشيخ رحمه الله تعالى - من خلال كتبه ومقالاته - على توضيح المنكرات التي ظهرت في المجتمع؛ ثم تأصيل الحكم الشرعي فيها بالأدلة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ثم ذكر أقوال وفتاوى أهل العلم في تلك المسألة، وهذه أمثلة على معالجة الشيخ - رحمه الله تعالى - لبعض تلك المنكرات التي فشت فجأة في المجتمع الذي يعيش فيه:

أولاً: ظهور التنباك أو التبغ:

لقد كان لاختلاط المجتمع السعودي بالأمم الأخرى ثمنه من تأثر بتلك المجتمعات، وهذا أمر طبيعي ولا شك، ومن أغلى الأثمان التي دفعها المجتمع السعودي تأثر كثير من أبنائه - وخاصة في مرحلة المراهقة - بالآخرين في استعمالهم لمادة التبغ بجميع صناعاتها وصياغاتها (تنباك - سجارة - شيشة...) وكان من الطبيعي - أيضًا - أن يتصدى العلماء لهذه الظاهرة المنكرة الضارة بالمال والنفس، فأصدروا الفتاوى المحرمة لها، وانتشر جنود هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمحاربتها...

وكان من أول المستجيبين المحرمين لتلك الظاهرة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى - حيث يقول: (تحريم التتن بأنواعه وغيره، وقد كثر استعماله في هذا العصر، حتى استعمله بعض صبيان المدارس تبعًا لمعلميهم من أهل الخارج، فعسى الله أن يمنع أهل الإسلام من هذه الرذيلة المضرة

(١) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية - (ص ١٣٢).

بالدين والبدن وغيرهما، ويوفق علماء المسلمين مع ولاة الأمر على منعه من الخارج، وأن لا يزرع في المملكة؛ فهم سُراة الإسلام، وحماته)[١].

ثانيًا: كثرة الملاهي في هذا العصر:

وليس التنباك وحده هو الذي ظهر من المنكرات؛ بل ربما كان انتشار الملاهي وأدوات العبث واللهو المحرم أسرع فتكًا بالمجتمعات منه..

ولا شك أن من أهم أسبابها ما ذكره الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى - حين قال: (ومن أعظم أسبابها: السياحة في بلاد الخارج، ولم تكن توجد في عصر الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وطبقته، ولا في هذه الدعوة المباركة، ولا في زمن النبوة والخلفاء، وأئمة الدين المقتدى بهم)[٢].

أما مضارها وآثارها السيئة على المجتمع فيلخصها الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى - من خلال نقله عن ابن القيم..

يقول ابن قاسم - رحمه الله تعالى -: (قال ابن القيم - رحمه الله -: والذي شاهدناه نحن وغيرنا، وعرفناه بالتجارب، أنه ما ظهرت المعازف وآلات اللهو في قوم، وفشت فيهم، واشتغلوا بها، إلا سلط عليهم العدو، وابتلوا بالقحط والجدب، وولاة السوء)[٣].

ويكتفي - رحمه الله تعالى - بهذا النقل المختصر الجامع مؤكدًا له ومقررًا لما فيه، ولا شك أنه كاف.

ثالثًا: التبرج

وهذه طامة الطوام التي ظهرت في المجتمعات الإسلامية عامة؛ وحاول المدافعون عنها إثارة الشبهات حولها، والتعلق ببعض الخيوط التي هي كبيت

---

(١) الدرر السنية ١٥/ ٥٨.

(٢) الدرر السنية ١٥/ ١٠٢.

(٣) الدرر السنية ١٥/ ١٠٢.

العنكبوت، تارة بنقاش مسألة عورة المرأة، وقول بعض أهل العلم أن الوجه والكفين ليسا بعورة، وتارة أخرى بدعوى أن هذا الحجاب الإسلامي ينقص من حرية المرأة، ومرة ثالثة بدعوى أن الحجاب قد يسبب بعض الجرائم التي تقترفها النساء ولا يمكن التعرف عليهن بسبب الحجاب...

ولكن هذه الشبه والخزعبلات لم تكن لتنطلي على علماء الأمة؛ بل ما زادتهم إلا تأكدًا ويقينًا من أن المدافعين عنها ما هم إلا أبواق يكبرون أصوات الغرب الكافر؛ فجدوا في الدفاع عن تعاليم الدين، وعن عفة المرأة المسلمة..

وعند معالجة الشيخ ابن قاسم لهذه القضية يبدأ بالحكم الشرعي الراجح في المسألة وهو أن التبرج حرام..

يقول عليه رحمة الله تعالى مبينًا حكمه وأسباب ظهوره في المجتمع: (هو محرم بالكتاب والسنة والإجماع، ولم يعرف في سلفنا، ولا في السلف الصالح؛ وإنما تسرب إلى هذه البقعة، على هذه الصفات في هذا العصر، للاختلاط بأهل الخارج، وفتح الباب لهن باسم التربية والتعليم، والمصحات)[1].

ثم يبين – كعادته في الدقة في الأحكام – معنى التبرج حتى تتضح الأمور وتوضع في نصابها، فيقول: (والتبرج هو: إظهار الجمال، وإبراز محاسن الوجه والجسم ومفاتنه، وقال البخاري - رحمه الله -، التبرج: أن تخرج المرأة محاسنها. وأصل التبرج: مأخوذ من البروج، وهي: القصور العالية لارتفاعها، فالمرأة المتبرجة تعلن عن محاسنها بإبرازها مفاتنها، وتحديدها، كما تعلن البروج عن نفسها بارتفاعها)[2].

وحتى يحيط بالمسألة ويوضحها بقدرته الفقهية الدقيقة يبين أن التبرج لا

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٢٥٠).
(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٢٥٠).

يقتصر على إبداء المحاسن الجسمية؛ بل كل ما كان من شأنه إثارة الغريزة بطريقة متعمدة فإنه يعتبر تبرجًا كالتعطر عند الخروج من البيت، وكذلك تكوين أشكال تثير الشهوة كتنظيم شعر الرأس على شكل معين عند الخروج من البيت ونحو ذلك..

يقول عليه رحمة الله تعالى مبينًا هذه النقطة: (وقال رسول الله ﷺ: «**إذا خرجت المرأة متعطرة، فإنها زانية**»[١] وهو يثبت أن التبرج كذلك، يكون بنضوح ريحها، فيلفت النظر إليها.

وروى الإمام أحمد ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها**»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: كاسيات بلباس رقيق لا يستر البشرة، أو ضيق يبدو منه حجم العضد والعجيزة، فهن عاريات حقيقة [٣]، وقال: يجب على ولي المرأة، كأبيها، وزوجها أن يمنعها من ذلك، فإن لم يفعلا عزرا[٤].

وقال: لا يجوز للمرأة أن تلبس الخف الذي يبدي ضخامة القدم،[٥] وفي هذا العصر لبس بعضهن خفًّا يسمى: "أم كعب" يضخم معه القدم، وتنبو معه العجيزة.

---

(١) لم أجده بلفظه وقريب منه في المستدرك حديث رقم ٣٤٩٧ بلفظ: أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية. وصححه.

(٢) صحيح مسلم حديث رقم ٥٧٠٤.

(٣) لم أجده في كتب شيخ الإسلام، والظاهر أن الشيخ نقله بمعناه.

(٤) لم أجده في كتب شيخ الإسلام بلفظه.

(٥) لم أجده في كتب شيخ الإسلام بلفظه.

ولم يقفن على ما وصفه الشيخ، بل أبدين، العضدين والساعدين، بلباس ضيق، وجعلن حمالات للثديين، واستعملن لباسًا يسمونه "الكرته" و"أم صدر" ضيق الأعالي، فتبدو منه الخاصرة، ويضخمن العجيزة، دون حياء ولا خجل..

فالعجب ممن يعلم هذا الوعيد الشديد، ويرضى بثمرة فؤاده أو ضجيعته، أن تتصف بهذه الصفات الشنيعة المحرمة! ويالله! يا للمسلمين! يا للعرب! يا للعقول!!!)[1].

تلك هي صرخة العالم الرباني إذا رأى المنكرات من حوله؛ يدعوه إلى ذالك مسألتان تقضان مضجعه وهما:

أ – معرفته الوعيد الشديد في تلك المنكرات.

ب – محبته لمجتمعه وأمته ورغبته في أن يجنبهم مهالك العذاب المتحقق.

ذلك إذن هو حال شيخنا ابن قاسم – رحمه الله تعالى –؛ فقد كان من جهة يرى تلك المنكرات تنتشر من حوله، وتسري في المجتمع سريان النار في الهشيم، ومن جهة أخرى يعلم تمام العلم شدة عقوبة الله تعالى لمن عصاه؛ فلم يجد - بعد بذله الجهد في الأمر والنهي - أفضل من تلك الصيحات التي أودعها طاقة إيمانية يحسها كل من فيه ذرة من إيمان..

ولكن المنكرات والقائمين على نشرها في المجتمع من شياطين الإنس والجن، وخاصة من كثير من الإعلاميين لم يكونوا لينهزموا عند بداية المعركة؛ بل لا بد أن يعاندوا، ويلفوا من جهات متعددة، وهذه المرة هربوا إلى الأمام؛ فبدأوا يعيرون النساء الملتزمات بالدين بحجابهن وينعتنهن بالتخلف والبداوة..

يقول الشيخ – رحمه الله تعالى –: (وأعظم من ذلك وأدهى: أنهن يسخرن ممن يلبسن لباس المسلمات، ويرضين أن تشاطر الرجال في المكاتب وغيرها،

---

(١) الدرر ١٥/ ٢٥٠-٢٥١.

وتخلو بدون محرم)[١].

والعجب مما ذكر محمد رشيد رضا، قال: حدثني الأمير شكيب أرسلان في جنيف سويسرة، عن طلعت باشا التركي: أن عظيم الألمان، لما زار الأستانة في أثناء الحرب، ورأى النساء التركيات، سافرات متبرجات، عذله على ذلك، وذكر له ما فيه من المفاسد الأدبية، والمضار الاقتصادية، التي تئن منها أوروبا، وتعجز عن تلافيها.

وقال له: إن لكم وقاية من ذلك كله، ألا وهو الدين الإسلامي، أفتزيلونها بأيديكم؟!

قال حمود التويجري، قلت: وهذا الألماني أعقل من كثير من المنتسبين إلى الإسلام)[٢].

رابعًا: التصوير:

وبدأت فتنة التصوير؛ وانتشر هو الآخر؛ وسلك المدافعون عنه نفس المسلك، ونشروا عين الشبه؛ فمنهم من قال هو مجرد حبس الظل، ومنهم من ادعى أنه ضرورة لضبط هوية الشخص مع أن بعض التوائم لا يكاد يفصل بينه بالصورة..

وانقسم العلماء بشأنه؛ فمنهم من رأى جوازه، مستندًا إلى أدلة ليست سائغة على إطلاقها، ومنهم من بين تحريمه مستندًا إلى الأدلة الكثيرة المحرمة للتصوير مطلقًا؛ فمن أين لنا تقييد ما لم يقيد شرعًا.

وبادر الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى - كغيره من العلماء الربانيين، إلى بيان حكم التصوير مدعمًا قوله بالأدلة الشرعية..

---

(١) الدررالسنية ١٥/ ٢٥٢.

(٢) المرجع السابق ٢٥٢-٢٥٣.

يقول - رحمه الله تعالى - مبينًا حكمه وبداية ظهوره: (والتصوير محرم بالكتاب والسنة والإجماع، ولم يستعمل في أول هذه الدعوة المباركة، إلى عصر الشيخ عبد الله وطبقته، ولم يستعمل في عصر الخلفاء الراشدين، ولا الأئمة المهديين، وقد استولوا على مشارق الأرض ومغاربها)[١].

وبعد أن ساق أدلة التحريم قال: (وهذا يدل على أن التصوير من أكبر الكبائر، لأنه جاء فيه من الوعيد واللعن، وكون فاعله أشد الناس عذابًا، ما لم يجئ في غيره من الكبائر)[٢]

خامسًا: حلق اللحى:

ولما كان هدف أعداء الإسلام هو إفساد المجتمع الإسلامي كاملًا؛ لم يكونوا ليقتصروا على إفساد المرأة وحدها، وإن كان فسادها يفضي إلى فساد المجتمع لا محالة، إلا أن حقدهم الدفين ضد الإسلام جعلهم يستعجلون إفساد أفراده؛ فلم تسمح لهم أضغانهم بانتظار ثمرة ما غرسوه من إفساد النساء؛ فكما حاولوا تشبه النساء بالرجال، وغرس خلق التبرج الذميم فيهن، حرصوا كذلك - في مفارقة عجيبة - على أن يغرسوا في الرجال خلق التشبه بالنساء؛ فنشروا عادة حلق اللحى عند الرجال..

وبادر الشيخ - رحمه الله تعالى - إلى إنكار هذا المنكر الفظيع المخالف للفطر السليمة، كما هو شأن العلماء الربانيين؛ ولم يكتف بالتعليق عليه وبيان أدلة تحريمه في كتبه المختلفة؛ بل ألف فيه كتابًا مستقلًا؛ جمع فيه أدلة المسألة وناقشها نقاشًا مفيدًا..

يقول - رحمه الله تعالى - عن حلق اللحية: (وهو محرم بالسنة والإجماع،

---

(١) الدرر السنية ١٥/ ٢٩٥.

(٢) الدرر السنية ١٥/ ٢٩٧.

مخالف للعقل والفطرة والنظر؛ جعلها الله جمال الرجال، تحتفظ بها العرب في الجاهلية والإسلام، وتعتز بها، حتى إن من رؤسائهم من لم تنبت له لحية إلا شعيرات قليلة، فقال بعض قبيلته: وددنا أن لو اشترينا لك لحية بألفي دينار..

وقد جرى من طائفة ما يوجب التعزير، فسودوا وجوههم، وأرادوا حلق لحاهم تعزيرًا، فقال أهل العلم: لا يجوز التعزير بحلقها، لأنه معصية.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما وغيرهما، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: «**خالفوا المشركين وفروا اللحى واحفوا الشوارب**»[١] ولهما عنه أيضًا: «**احفوا الشوارب وأعفوا اللحى**»[٢])[٣]

(١) صحيح البخاري حديث رقم ٥٨٩٢ ومسلم حديث رقم ٦٢٥.

(٢) صحيح البخاري حديث رقم ٥٨٩٣ ولفظه: «انهكوا» بدل «احفوا» وصحيح مسلم حديث رقم ٦٢٣.

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥/ ٣٣٤).

المبحث الثالث

الأمر بالمعروف والنهي عن المنك
في عصر الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى -

لقد عاش العلامة عبد الرحمن بن قاسم في عصر تكوين ونهضة الدولة السعودية الثالثة، وقيام الملك عبد العزيز طيب الله ثراه بتوسيع مساحتها، وتكوين هيئاتها ووزاراتها، ونحو ذلك..

ولم يكن الملك عبد العزيز طيب الله ثراه ليهمل مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الذي بنى دولته على أسس إسلامية، ومكانة هذه الشعيرة في الإسلام معروفة لديه، ومعلومة عند مستشاريه الذين اختارهم على أساس العلم والورع والتقوى..

كيف لا وقد كثرت المنكرات وشاعت في الناس حتى استهزؤوا بمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر..

يقول الشيخ عبدالله بن حميد واصفًا حالة الناس تلك: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو ركن من أركان الإسلام، في قول طائفة من العلماء، ضعف جانبه، وكثر في الناس مجانبه، وتنوعت مقاصد الخلق، وتباينت آراؤهم؛ فالمنكر للمنكر في هذه الأزمنة، يقول الناس فيه: ما أكثر فضوله، وما أسفه رأيه! وربما غمزوه بنقص في عقله؟ ومن سكت وأخلد، قيل: ما أحسن عقله، وما أقوى رأيه، في معاشرته للناس، ومخالطته لهم!

والله قد جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فرقًا بين المؤمنين والمنافقين، فأخص أوصاف المؤمنين، المميزة لهم عن غيرهم، هو الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر.

ورأس الأمر بالمعروف: الدعوة إلى الإسلام، وإرشاد الناس إلى ما خلقوا له، وتبصيرهم بما دل عليه كتاب ربهم وسنة نبيهم، وتحذيرهم من مخالفة ذلك قال الإمام الغزالي، في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] وصف الله المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خارج عن هؤلاء المؤمنين. انتهى، وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥] ما يدل على أن الناجي هو الذي ينهى عن السوء، دون الواقع فيه والمداهن)[1].

ولا شك أن الإسلام حرص على أن يجعل كل فرد من أفراده مسؤولًا عن إصلاح المجتمع، وغرس في أبنائه تلك الثقة بالنفس التي تستدعي أمرين:

أحدهما: أن لا يفسد في مجتمعه، أي نوع من الفساد.

ثانيهما: أن يحاول إصلاح مجتمعه ما وجد إلى ذلك سبيلًا.

يقول الدكتور عبد الكريم زيدان: (ومن خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام تحميل الفرد مسؤولية إصلاح المجتمع بمعنى أن كل فرد فيه مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع، وإزالة الفساد منه على قدر طاقته ووسعه، والتعاون مع غيره لتحقيق هذا المطلب. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

ومن أعظم التعاون، التعاون على إصلاح المجتمع، وإذا كان الفرد مطالباً

(١) الدرر السنية ١٥/ ٩-١٠.

بإصلاح المجتمع، فمن البديهي أنه مطالب بعدم إفساده، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦])[١].

ولما كانت تلك أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلك حالة المجتمع، وكان الملك عبد العزيز طيب الله ثراه حريصًا على ما ينفع أمته وشعبه، قرر القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على محورين:

أولهما: حرصه على إقامة الحدود الشرعية، وإنفاذ حكم الله تعالى في عباده:

ومن المعلوم أن إقامة الحدود والتعزيرات تعتبر رادعًا قويا لأصحاب المنكرات والجرائم فعند تطبيقها؛ اختفت كثير من الجرائم التي كانت سائدة قبل ذلك كالسرقة، والنهب والسطو، وغير ذلك، وانحصرت المخالفات، وضيق عليها الخناق؛ فحل الأمن والطمأنينة محل الخوف والوجل، وأمن الناس على دمائهم، وأموالهم، وأعراضهم..

وقد كان - رحمه الله تعالى - أنموذجاً فريداً في عصره، في إنفاذ حكم الله تعالى، ولو على نفسه، أو أقرب المقربين إليه[٢].

وتتجلى أهمية إقامة الحدود والتعزيرات ليس فقط لأنها تطبيق لشرع الله تعالى - ولا شك أن هذا وحده يكفي - ولكن أيضًا لأنها تردع كثيرًا ممن لا يرتدعون بالموعظة الحسنة والتوجيه السليم..

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يتم إلا بالعقوبات الشرعية، فإن الله يزع بالسلطان، ما لا يزع بالقرآن وإقامة الحدود واجبة على ولاة الأمور، وذكر ما ليس فيه حد، فالتعزيز فيه بحسب خفة الذنب

---

(١) أصول الدعوة د/ عبدالكريم زيدان ص١٢٢.

(٢) راجع: مجلة الجامعة الإسلامية عدد ١٠٨/ ١٠_١١ بتصرف.

وعظمته، وكثرته وقلته، وبحسب حال الشخص؛ فمنهم من تعزيره بالكلام، ومنهم من تعزيره بالحبس، أو الضرب، أو النفي؛ وصاحب الحسبة كالشاهد)[١].

ثانيها: إنشاء هيئات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فمما لا ريب فيه أن الملك لا يستطيع القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمفرده، لاتساع رقعة الدولة، وامتداد أطرافها، ونظراً إلى أن الملك يدرك تمام الإدراك، أن هذه الوظيفة تمثل صمام الأمان للمجتمع المسلم، وحصنه من تفشي المنكرات، وشيوع الرذائل، فقد أصدر أوامره بإنشاء مراكز حكومية، تكون وظيفتها القيام بهذه المهمة الجليلة.

فأنشأ إدارة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الرياض عام ١٣٣٦هـ، وتولى رئاستها الشيخ عمر بن حسن - رحمه الله - ثم أنشأ هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ، ثم تتابع تكوين الهيئات في مدن المملكة.

وعندما صدر نظام الهيئة في عام ١٣٤٧هـ نص على تأسيس مراكز للهيئة في كل من مكة المكرمة، والمدينة النبوية، وجدة، والطائف، وينبع.

وتظهر عناية الملك بهذه الهيئات، وإدراكه لأهميتها، من خلال المهمات التي أوكلها إليها.

فمن ذلك حفظ الآداب العامة، ومنع المجاهرة بالمعاصي، ومحاربة البذاءة، والفحش، والبدع والخرافات، والإلحاد، وحث الناس على الصلاة، ومساعدة رجال الأمن في ضبط الخارجين عن الآداب العامة.

وهذا يدل على فقه واسع لأهداف الدعوة، وإدراك عميق لمقاصد الشريعة،

---

(١) الدرر السنية ١٥/ ٢٤.

واستيعاب تام للأسباب التي تحفظ على الأمة مصالحها، وتقيها بفضل الله تعالى ما يضعفها، ويحول دون رقيها وتطورها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء...

ومنذ إنشاء تلك الهيئات استمرت مؤسسة من مؤسسات الدولة في عهده طيب الله ثراه وعهد أبنائه الذين وَلُوا الأمر من بعده، وهي من الميزات التي تميزت بها هذه البلاد على غيرها من البلاد الأخرى التي لا توجد فيها مثل هذه المؤسسة، وقد حصل بسببها خير عظيم ومنافع جليلة واندفعت بها شرور كثيرة...[١].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مهمات الدولة السعودية أدام الله توفيقها وتسديدها؛ فقد جاء في المادة (٢٣) من النظام الأساسي للحكم: (تحمي الدولة عقيدة الإسلام وتطبق شريعته وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقوم بواجب الدعوة إلى الله)[٢].

ومما يدل على اعتناء الملك عبد العزيز طيب الله ثراه والدولة السعودية من بعده بالمسؤولين عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما قال الشيخ عبد العزيز بن صالح بن مرشد - رحمه الله تعالى - من أن الملك عبد العزيز - رحمه الله تعالى - عينه وجماعة معه بمكة بوظيفة الحسبة، فاشترطوا ثلاثة شروط:

الأول: إعطاؤهم الصلاحية في الحبس والجلد، وإتلاف أجهزة اللهو، ودنان الخمر، والدخان والنارجيل، وهدم القباب التي على القبور، وعقوبة من يبتدع في الدين كالموالد ونحوها.

الشرط الثاني: العفو عن الأخطاء إذا حصلت منهم، وتحمل أرش ذلك، ولو أدى إلى قتل الأبرياء أو إتلاف ما لا يحق إتلافه، فالإمام يتحمل ذلك.

---

(١) راجع: مجلة الجامعة الإسلامية عدد ١٠٨/ ١٠_١١ بتصرف.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم أسباب قيام الدولة السعودية وبقائها للشيخ عبدالمحسن العباد ص٢٢.

الشرط الثالث: أن لا يسمع فيهم قول قائل، ولا وشاية واشٍ، ولو تكلم فيهم كبير أو أمير أو وزير، وذلك أن الأعداء لهم كثير.

وقد أعطاهم الملك -رحمه الله- ذلك كله، مما كان سببًا في تطهير البلد الحرام، والقضاء على الفساد، بعد أن كان متمكنًا هناك عشرات السنين.[١]

ولم يعطهم تلك الشروط فحسب؛ بل وفى بها، فلم يكن يستمع لمجرد الشكاوى منهم؛ فضلًا عن العمل بها..

يقول العلامة عبد الله الجبرين: (.. فلقد كان هذا الملك -رحمه الله- كلما خرج ضحى من منزله، وجد الناس صفوفًا ببابه من أصحاب المظالم والشكاوى، فيقول لهم: من كان يريد شكوى الشيخ عمر بن حسن ورجال الهيئة فلا يتكلم، فإنا لا نسمع شكواه، وهكذا أولاده بعده -رحمهم الله تعالى- ووفق الأحياء لنصرة الحق والدين).[٢]

ثم نمت هذه الهيئة التي كونها الملك عبد العزيز طيب الله ثراه، واستمرّت في دولة التوحيد والسّنة تقوم على الاحتساب والتّطوّع حتّى وَلِي الأمر الملك سعود - رحمه الله - في عام ١٣٧٣هـ وكان من مميّزات عهده أنْ رَفَعَ مستوى مؤسّسة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر إلى مستوى وزارة لها ميزانيتها المستقلّة، وفروعها المتعددة؛ فزاد عدد فروعها وموظّفيها وانتشرت في طول البلاد المباركة وعرضها، وكان - رحمه الله - متميّزًا بالخضوع للعلم الشرعي وأهله.[٣]

وأنجبت هذه الهيئة رجالًا مخلصين شجعانًا قائمين بالأمر والنهي لا يخافون في الله لومة لائم وكان من أبرزهم الشيخ عمر بن حسن[٤] آل الشيخ

---

(١) حاجة البشر للأمر بالمعروف.الجبرين - (ص ٦).

(٢) المرجع السابق.

(٣) سيرة داعية - (ص ١٨) سعد بن عبد الرحمن الحصين.

(٤) هو: العلامة المحقق الشيخ عمر بن الشيخ حسن بن الشيخ حسين بن الشيخ علي بن الشيخ

الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر "في المنطقة الوسطى والشرقيّة" وهو رجل اصطفاه الله لهذا وزاده بسطة في العلم والجسم والبيان، وكان العمل العظيم الذي اصطفاه الله له شُغْله الشّاغل في الليل والنّهار لا تحدّه ساعات الدّوام الرسمي، بل اشتهر عنه أنه كان يجوب شوارع الرّياض حتى ساعةٍ متأخرةٍ من الليل "قبل الوظيفة الرسميّة وبعدها"[١].

وإن من أهم ما تقوم به هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ما نص عليه الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى - معرفًا به ولاية الحسبة حيث قال: (ولاية الحسبة، وهو: جعل من ينظر في الأسواق بين الباعة، والمشترين من المعاملات المحرمة، وإلزامهم بالشرع، بسبب توفية الكيل والوزن، والذرع والسعر، وتقدم حكم التسعير، أما إن تخاصموا في صحة البيع وفساده، وقبض الثمن والمثمن، فله النظر في ذلك)[٢].

وهذا ما قامت به هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عصر الشيخ ابن قاسم ومن بعده حتى الآن؛ فكانت تنظر في المستجدات وتصدر فيها الفتاوى، سواء كانت مستجدات متعلقة بالأخلاق كما قدمت في مسألة التبرج وغيرها، أو كانت متعلقة بالعقيدة، أو المعاملات، ونحو ذلك..

وهذه أمثلة على تحذير بعض العلماء الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من بعض المنكرات التي ظهرت في عصر الشيخ - رحمه الله تعالى -..

حسين بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رئيس هيئات الأمر بالمعروف في نجد والمنطقة الشرقية وخط (التابلاين) ولد ١٣١٩هـ اشتهر بالعلم والصرامة في الحق.توفي سنة ١٣٩٥هـ. انظر ترجمته في: مشاهير علماء نجد وغيرهم - (١/ ٤) ودعوة الشيخ محمد عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي - (١/ ١٥٣).

(١) سيرة داعية - (ص ١٨).

(٢) حاشية الروض ٧/ ٥١٤.

رسالة من العلامة محمد بن إبراهيم في التحذير من المعاملات الربوية وبيان ما يجب على الولاة والعلماء وأهل الحسبة في ذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف، إلى من يبلغه كتابي هذا من إخواننا المسلمين، وفقنا الله وإياهم لقبول النصائح، وجنبنا وإياهم أسباب الندم والفضائح، آمين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فالباعث لهذا الكتاب، هو: نصيحتكم، والشفقة عليكم، وتحذيركم مما وقع فيه الكثير من الناس; وهو: تعاطي المعاملات الربوية، والتعامل بها، وقد حرم الله تبارك وتعالى على عباده ذلك; وأخبر النبي ﷺ أنه من السبع الموبقات.

قال الله تعالى: في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنْزيل من حكيم حميد: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٥-٢٧٦].

وعن جابر ﷺ قال: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء»[١].

وذكر الشيخ ابن إبراهيم نصوصًا كثيرة من الكتاب والسنة على حرمة الربا وعقوبته في الدنيا والآخرة وحذر الحاكم والمحكوم من مغبة ذالك[٢].

---

(١) البخاري حديث رقم ٢٧٦٧، ومسلم حديث رقم ٨٩.

(٢) انظر الدرر السنية ١٤/ ٥٦-٦٢.

من وصية محمد بن إبراهيم - رحمه الله تعالى -:

وقال العلامة محمد بن إبراهيم - رحمه الله تعالى - في وصيته لأهل الحسبة: (فيجب على أرباب الحسبة إقامة العقوبات الشرعية المترتبة على تعاطي سائر المخدرات، كما يجب عليهم إقامة الحدود على تعاطي المسكرات، وعلى ولاة الأمور تحريضهم على ذلك ومساعدتهم فيما هنالك.

وفق الله الجميع لما يصلح المسلمين، ويمنعهم من تعاطي ما يسخط رب العالمين)[1]

فتوى متعلقة بكتابة "الله محمد" في قبلة المسجد:

من محمد بن إبراهيم إلى فضيلة الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز. وفقه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،، وبعد: -

فقد وصل إلينا كتابكم رقم ٣٧٩٨ وتاريخ ١ - ٨ - ٨٦هـ المرفق بما كتبه لكم رئيس هيئة أملج عن كلمة: "الله، محمد" التي وجدها مكتوبة في محراب مسجد الجامع، واستنكاره لذلك، وطلبكم الإفادة عن حكم كتابتها في قبلة المسجد

والجواب: ـ الحمد لله. لايجوز أن يكتب في قبلة المصلين شيء يشغلهم ويشوش عليهم، لأن المصلي مأمور بالخشوع، وإذا علق في قبلته نقوش أو تصاوير أو كتابة أي شيء أنشغل باله فيها وألهته عن صلاته، كما في قصة قرام عائشة وأنبجانية أبي جهم وغيرها.

وأما هذه الكلمة بخصوصها وهي: "الله. محمد " فإن كان المراد بكتابتها أبتغاء الأجر بها ومشاهدتها وقراءتها فليس في ذلك أجر البتة؛ لأنها ليست من

(١) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم ١٢/ ٩٦.

الذكر في شيء؟، فضلًا عن أن هذا التركيب ليس بتركيب عربي فصيح؛ بل هو تركيب فاسد؛ لأنها لا تصلح مبتدأ وخبراً، ولا يصح أن يجعلا متعاطفين. بل لا يصح شرعاً التعبد بذكر يقتصر فيه على كلمة مفردة كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره.

فالمتعين ترك كتابة مثل هذه الكلمات في مساجد المسلمين للسلامة مما وقع في ذهن رئيس الهيئة وغيره ممن يتوهمون أن في اقتران اسم النبي محمد ﷺ باسم الله تعالى في مثل هذا من العبادات مع العلم أن نبينا محمداً ﷺ له في نفوسنا من التعظيم والتقدير المكانة التي تليق بمقامه ﷺ ما هو معلوم معروف، وقد قرن الله أسمه في جملة مواضع، كما في الأذان، والإقامة، وخطبتي الجمعة، وغيرها. وذكر أسمه والصلاة عليه شرط من شروط الصلاة لاتصح بدونه؛ لكن هذا يتبع فيه ما وردت به النصوص ومافي معناها، ولا يتعداها إلى ما سواها مما ينتحله الخرافيون ويزعمه المبطلون. والله الموفق والسلام.

مفتي الديار السعودية[1]:

رسالة من عبد الله بن حميد حول التحذير من الركون إلى الدنيا وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

نص الرسالة: (من عبد الله بن محمد بن حميد، إلى كافة هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرهم من إخواننا، وفقنا الله وإياهم للعمل بما يرضيه، وجنبنا أسباب سخطه ومناهيه، آمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فإن من المتعين علينا وعليكم، التناصح في دين الله، والتذكير بنعم الله وأيامه، فإن في ذلك من المصالح النافعة العامة، ما لا يحيط به علمًا إلا الله، وقد رأينا كما

(١) فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ جمع محمد بن قاسم ٤/ ١٦٥.

رأى غيرنا من انتقاض عرى الإسلام عروة عروة، وبدو اختفاء معالمه.

وما غلب على أكثر الخلق من الإعراض عما خلقوا له، واشتغالهم بالفاني عن الباقي، وظهور سلطان حب الدنيا، واستيلاؤه على القلوب، وفشو المنكرات، وتتابع ظهورها، بدون مغير لها ولا منكر؛ وهذا مما يدل على أن الإسلام قد بدأ مرضه في هذه الديار، وأن أوامره ونواهيه خف وقعها في النفوس.

ينبغي لطالب الآخرة، والساعي في تحصيل رضى الله عز وجل أن يعتني بهذا المقام، فإن نفعه عظيم، لا سيما وقد ذهب معظمه، ويخلص لله نيته، ولا يهاب من ينكر عليه لارتفاع مرتبته، فإن الله تعالى، قال: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠] ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وإنما الأجر على قدر النصب، فلا يتركه لصداقته ومودته، ومداهنته، وطلب الوجاهة عنده، ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته، توجب عليه حرمة وحقًّا، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها؛ وصديق الإنسان ومحبه من سعى في عمارة آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه)[1].

(١) الدرر السنية ١٥/ ٤١-٤٣.

الفصل الرابع

منهج وجهود الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى - في أساليب ووسائل الدعوة

وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول: التأصيل في منهج في الشيخ - رحمه الله تعالى - وأهم ركائزه.

المبحث الثاني: منهج الشيخ وآراؤه في أساليب الدعوة.

المبحث الثالث: منهج الشيخ وآراؤه في وسائل الدعوة.

المبحث الرابع: الحياة الميدانية في دعوة الشيخ - رحمه الله تعالى - من خلال "إمامة المساجد، جباية الزكاة، الإشراف على طبع الكتب، تحقيق التراث".

المبحث الأول

التأصيل في منهج الشيخ - رحمه الله تعالى - وأهم ركائزه

تعريف التأصيل لغة:

أصل كل شيء: ما يستند وجود ذلك الشيء إليه.

وقيل: الأصل ما يبنى عليه غيره وأصل كل شيء قاعدته التي ينبني عليها.

وأصلته تأصيلًا جعلت له أصلًا ثابتًا يبنى عليه غيره [١].

تعريف التأصيل اصطلاحًا:

إن المطالع للكتب التي تعنى بالتأصيل الشرعي لا يكاد يجد له فيها تعريفًا محددًا، ومع ذلك فقد عرفه بعضهم بأنه: (إرجاع المعارف إلى أصلها؛**الوجود** و الوحي)[٢].

ويظهر أن هذا التعريف هو المراد في كثير من الكتابات التي عنيت بجانب التأصيل في العصر الحاضر، وإن لم يصرح به أكثر الكتاب.

وقد نسلم بذلك التعريف عند عدم وجود غيره من أهل الاختصاص، وإن كان يختلف – نوعًا ما – عن المقصود في هذا البحث؛ لأن المراد عندي هنا من التأصيل هو: إرجاع المعارف الإسلامية إلى أصلها الذي هو الوحي بشقيه: الكتاب والسنة...

أهمية التأصيل:

إن عملية تأصيل المعارف الإسلامية، والأحكام الشرعية أمر في غاية الأهمية وخاصة في عصرنا الحاضر، ويمكن تلخيص أهميتها في النقاط التالية:

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس (٢٧/ ٤٥٢) التوقيف على مهمات التعاريف - (١/ ٦٩).

(٢) وهذا هو تعريف الأستاذ الدكتور طه جابر العلواني، انظر مجلة التأصيل العدد الأول ص٥٤.

أولًا: أن التأصيل بمعنى إرجاع كل حكم إلى أصله من الكتاب والسنة واجب شرعي وخاصة عند الاختلاف والتنازع كما هو الواقع اليوم، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قال الشنقيطي - رحمه الله تعالى -: (أمر الله في هذه الآية الكريمة، بأن كل شيء تنازع فيه الناس من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ لأنه تعالى قال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ [النساء: ٨٠] وأوضح هذا المأمور به هنا بقوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠])[1].

ثانيًا: أن التأصيل ما هو إلا الرجوع إلى الأصلين المتفق عليهما وهما: القرآن الكريم والسنة النبوية، ذلك أن الرجوع إليهما يقينًا بحول الله تعالى من السقوط في هاوية الهوى والظن فضلًا عن النتائج الوخيمة لذلك من تشرذم للأمة وتمزيق لمكوناتها البنيوية والمعرفية فضلًا عن الجغرافية والسكانية..

ثالثًا: أن أقل ما يمكن أن يقال عن الدعوة إلى التأصيل الشرعي هو أنها تسعى لتوحيد النظرة الإسلامية أو بالأحرى نظرة المسلمين إلى المعارف الإنسانية عامة، والأحكام الشرعية خاصة.

ولا شك أن من أهم أسباب الاختلاف بين الأمة هو عدم توحيد النظر في المسائل، وعدم بنائها على أصولها، فتجد مسألة واحدة محرمة في مجتمع إسلامي بأدلة لا تقبل النقاش عندهم في حين أنها واجبة عند مجتمع إسلامي آخر لا يسمح بعرض أدلة وجوبها للنقد والنقاش..

ومن هنا كانت أهمية دعوة التأصيل لتوجد مجتمعًا يزن الأمور بميزان واحد،

---

(١) أضواء البيان - (١/ ٢٤٤).

ويقيس المستجدات بمقياس معتدل ثابت يحكم الجميع، ولا شك أن في ذلك من المصحلة ما لا يخفى.

لمحة عن التأصيل:

ومن المعلوم أن توالي الأيام على الأديان يبعدها عن أصولها؛ فتتعرض أحكامها ومثلها العليا "للحجب" فلا تعود أصولها القائمة عليها مرئية للجميع؛ فيأتي دور أهل العلم الصالحين، والدعاة المخلصين، حيث يقومون بتأصيل المسائل الشرعية تأصيلًا يبين الدليل، ويزيح ما اختلط من الباطل بالحق، فيعيدون الأشياء على حقيقتها، فتقنع القلوب، وترتاح من الشك والريبة..

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: (المرء ما لم يحط علماً بحقائق الأشياء التي يحتاج إليها يبقى في قلبه حَسَكةٌ)[1].

وإن اهتمام علماء السلف رحمهم الله تعالى بمسألة التأصيل، وبناء الأقوال على أصولها، أمر معروف بين لمن قرأ كتبهم، واستقرأ من خلالها مناهجهم..

ولا شك أن هذا التأصيل كان يأخذ صورًا مختلفة عبر التاريخ الإسلامي..

ففي فترة القرون المفضلة، وأزمنة علماء الحديث، كان التأصيل هو برواية الدليل مباشرة بالسند، ثم يحكم العلماء على السند والمتن الذي يسمعونه..

وكانوا يبطنون ما فهموا من الدليل فيبوبون عليه تارة، ويستخرجونه تارة أخرى مصرحين بأنهم فهموه من الدليل الفلاني..

ومما امتازوا به رحمهم الله تعالى أنهم كانوا يعقبون اجتهاداتهم واستنباطاتهم بقولتهم المشهورة إذا صح الحديث فهو مذهبي، إذا وجدتم قولي يناقص

---

(١) مجموع الفتاوى - (١٠/ ٣٦٨) لمؤلف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني. المحقق: أنور الباز - عامر الجزار الناشر: دار الوفاء لطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م.

الكتاب أو السنة فاضربوا به عرض الحائط، ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر صلوات الله وسلامه عليه، عجبت لقوم يعرفون صحة الإسناد يذهبون إلى قول سفيان...

ثم تلت ذلك مرحلة التعصب المذهبي؛ فصار التأصيل عندهم هو إسناد القول إلى إمام المذهب أو إلى تلامذته، وكأن ذلك يكفي في الاستدلال عندهم..

وما زالت تلك المرحلة تنخر في جسم التأصيل الفعلي المستند إلى الكتاب والسنة حتى عصرنا الحاضر..

نعم لقد ابتعدوا عن التأصيل الشرعي في كثير من الأحكام الفقهية، والعقدية، والدعوية وغيرها..

ومن هنا كان لزامًا على أهل العلم الاهتمام بالدليل الشرعي عندما يدعون الناس إلى الالتزام بالدين، سواء من ناحية ما يدعونهم إلى العمل به؛ بل وحتى في طريقة دعوتهم تلك..

وكل العلوم مفتقرة إلى الدليل الشرعي المبني على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وخاصة الدعوة إلى الله تعالى فهي من أفقر العلوم إلى التزام أصحابها بالدليل الشرعي الذي يجعل الناس تقتنع وتقنع بتلك الأحكام التكليفية الثقيلة على النفس البشرية العادية..

ومن هنا كان لمسألة التأصيل أهمية خاصة، وعكف عليه العلماء، واهتموا به..

وخاصة لما كثر ذلك الكم الهائل من الأحكام الفقهية التي لم تؤصل، ولم تسند إلى أدلتها الشرعية – وخاصة في العصور المتأخرة – فكان لزامًا على أهل العلم أن يبذلوا جهدهم في بيان أدلة تلك المسائل، وتوضيح الضعيف منها من الصحيح..

والأساس الذي تنبني عليه مسألة التأصيل أن لا يقبل كلام أحد بدعواه، ولا

ما يروي إلا بصحته سندًا ومتنًا..

ولذا قال أهل العلم قاعدتهم المشهورة في المناظرات: "إن كنت ناقلًا فالصحة، أو مدعيًا فالدليل"[١].

ويمكن أن **يقسم الدين** بشكل عام باعتبار الاستدلال إلى قسمين:

أولهما: ما يتعلق بالأحكام الشرعية التي ورد فيها نص شرعي صحيح، فيكون المنهج الصحيح في ذلك هو الاتباع لما يفهم من تلك الأدلة الشرعية حسب الطرق العلمية المعروفة عند أهل العلم في علوم اللغة والحديث والأصول وغيرها..

الثاني: ما كان مرجعه إلى أقوال السلف في فهمهم للأدلة الشرعية التي ليست صريحة في محل النزاع؛ فالواجب هو أخذ ما كان موافقًا من ذلك للكتاب والسنة..

وإن اختلفت أقوال بعضهم عن الكتاب والسنة، فالواجب هو الرجوع إلى الأصلين العظيمين لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قال الإمام الشنقيطي - رحمه الله تعالى -: (أمر الله في هذه الآية الكريمة، بأن كل شيء تنازع فيه الناس من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ لأنه تعالى قال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]، وأوضح هذا المأمور به هنا بقوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠] ويفهم من هذه الآية الكريمة أنه لا يجوز التحاكم إلى

---

(١) المناظرة في أصول التشريع الإسلامي (ص ٣٧).

غير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وقد أوضح تعالى هذا المفهوم موبخًا المتحاكمين إلى غير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ مبينًا أن الشيطان أضلهم ضلالًا بعيدًا عن الحق بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٠]... إلى أن قال: وقد علم من قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ أنه عند عدم النزاع يعمل بالمتفق عليه، وهو الإجماع)[1].

ومع عدم عمل كثير من الأمة بالرد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم؛ مستعيضين عنهما بالرد إلى كتب أهل المذاهب؛ فقد انبرى - على مر العصور - جهابذة كبار لمواجهة ذلك التوجه الذي - وإن كانت له إيجابيات ليست بالقليلة - ساهم بشكل كبير في تشرذم الأمة، وابتعادها عن مصدر وحدتها، ونقطة اتفاقها..

أسس وقواعد التأصيل:

إن عملية التأصيل الشرعي تحتاج إلى أسس وقواعد يرجع إليها من أجل الوصول إلى الهدف المنشود وهو تأصيل الأحكام الشرعية بشكل عام والطرق والأساليب الدعوية بشكل خاص؛ فيسترشد الموصل - بالكسر - بهذه الأسس ليتوصل من خلالها إلى هدفه المنشود دون أن ينزلق في ذات الخطأ الذي وقع فيه غيره، وهو الابتعاد عن التأصيل والرجوع إلى الكتاب والسنة..

وحسبي هنا أن أشير إلى أهم تلك القواعد والأسس التي ينبغي بناء عملية التأصيل من خلالها:

أولًا: العلم بأصول وكليات الشريعة:

ذلك أن من ينشد الرجوع إلى شيء لا بد أن تكون له دراية بذلك الشيء،

(١) أضواء البيان - (١/ ٢٤٤-٢٤٥).

حتى لا يدعو إلى وهم لم تتضح له رؤيته بعد..

والمقصود بكليات الشريعة هنا هو الأدلة التي تصلح لاستخراج الأحكام منها كالقرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع.

وكذلك القياس والاستحسان ولاستصحاب والمصالح المرسلة والعرف وغيرها عند من يقول بها.

ولا بد من معرفة حجية هذه الأدلة وقوة كل منها وطرق الاستدلال بها ونحو ذلك.

ثانيًا: علم المقاصد:

لا شك عند أهل العلم في أن الله سبحانه وتعالى ما أنزل الكتب وشرع الشرائع إلا لتحقيق غايات كونية عظيمة من إعمار الأرض، وتحقيق ذكره سبحانه، وتوحيده...

وقد نص أهل العلم على أن الدين الإسلامي ما جاء إلا لتحصيل المصالح ورعايتها، ودرء المفاسد وتعطيلها، سواء كانت هذه المصالح والمفاسد دينية أو دنيوية..

ولا بد في التأصيل من هذا الأساس الذي هو رعاية المصالح والمفاسد بكل أنواعها، وترتيبها حسب الأهمية، ومعرفة دورها التشريعي، وحجيتها، مما يمكن عملية التأصيل من ترجيح مسائل على أساس ما تحققه من مصالح، وما تزيله من مفاسد..

وقد اعتنى علماء السلف رحمهم الله تعالى بعلم المقاصد بشكل عام وبينوا قواعده وأسسه، وكان الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى - من أكثرهم تنقيحًا وتحقيقًا لعلم المقاصد، وكانت إضافته فيه متميزة ولكنه كان يبني على أسس وقواعد أسّسها وقعّدها السلف والأصوليون والعلماء قبله، لأن هذا يعني بنظره أنه متبع وليس مبتدعاً، ولذلك فإنه يرى أن ما جاء به "أمر قررته الآيات

والأخبار، وشد معاقده السلف الأخيار، ورسم معالمه العلماء الأحبار، وشيد أركانه أنظار النظار"[١].

ثالثًا: دور علم الأصول والقواعد الفقهية:

إن علم أصول الفقه لا تخفى أهميته في صياغة واستنباط الأحكام الشرعية من المصادر الأساسية، والعناية به ديدن أهل التأصيل في كل عصر، فيضبطون به دلالة الألفاظ من عيث العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، ويفرقون به بين الأحكام ومستوياتها، ويميزون به بين وسائل الترجيح عند التعارض إلى غير ذلك من المسائل التي يتوقف فهم الكتاب والسنة والإجماع على ضبطها وتحقيقها وتنقيحها..

قال شيخ الإسلام مبينًا فائدة علم أصول الفقه: (أصول الفقه مقصوده معرفة الأدلة الشرعية جنس الدليل ومرتبة الدليل)[٢].

ومن هنا فإن الإلمام به – إن لم أقل إتقانه – عنصر مهم وأساس رئيس من أسس عملية التأصيل الشرعي المنضبط.

وإنما قلت إتقانه لأن من لم يحط بكثير من مسائل العلوم التي يتوقف عليها إصداره للأحكام ربما أفسد أكثر مما يصلح وقد قيل إنما يفسد الناس نصف متكلم ونصف فقيه ونصف نحوي ونصف طبيب؛ فهذا يفسد الأديان وهذا يفسد البلدان وهذا يفسد اللسان وهذا يفسد الأبدان.

الآثار المترتبة على إهمال التأصيل:

لقد قدمت أهمية عملية التأصيل وأسسها التي تنبني عليها، وسوف أعرض هنا أهم الآثار المترتبة على إهمالها، وتركها:

---

(١) الموافقات. ط ابن عفان - مشهور حسن - (٢/ ٢٧) وراجع: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي" ص ٢٥٣ - دار الكلمة - المنصورة - مصر ط ١/ ١٩٩٧، ١٤١٨ هـ.

(٢)الرد على البكري - (٢/ ٧٣٠).

أولًا: البعد عن المنهج القرآني:

وذلك أن تأصيل المسائل وبناءها على الأدلة والبراهين منهج قرآني كريم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] فعدم الإتيان بالبراهين والأدلة هو خروج عن المنهج القرآني، والإتيان بها على الطريقة الصحيحة تأصيل للمسألة وتصحيح لها. ولابد في البرهان والدليل المؤصل – بالكسر – للمسألة من شروط ثبتت بالاستقراء وهي:

١ – أن يكون هناك اتفاق على هذا الأصل أي الاعتماد على الدليل والبرهان في إثبات الأحكام.

٢ – النظر في صحة الأدلة المقدمة نقلًا وعقلًا؛ فالدليل الضعيف لا تقوم به حجة ولا تأصيل.

٣ – عدم تعارض الأدلة المقدمة في المسألة تعارضًا لا يقبل جمعًا، وإلا سقطت إذا لم يوجد مرجح لأحدها.

وقد تسبب بعد بعض أبناء الإسلام عن منهج التأصيل والاعتماد على الكتاب والسنة والبراهين النقلية والعقلية عامة، تسبب ذلك في انتشار البدع في أولئك، ومن شدة ابتعاد بعضهم عن ذلك أشرك وكفر والعياذ بالله تعالى.

ثانيًا: تشرذم الأمة وافتراقها:

فبسبب الابتعاد عن منهج التأصيل الذي سلكه أهل السنة والجماعة افترقت الأمة شتاتًا وظهرت تلك الانقسامات قديمًا وانتشرت..

وظهرت فرق لا تقيم للتأصيل وزنًا، ولا تعتمد على برهان من كتاب وسنة في عقائدها فضلًا عن أخلاقها، أو أحكامها الشرعية الأخرى..

ومن أكثر الفرق ابتعادًا عن التأصيل كمنهج: الشيعة، والصوفية الباطنية، وغيرهما.

وفي العصر الحديث ظهرت مدارس دعوية لا تقيم للتأصيل وزنًا، ولا تهتم به منهجًا، ومن أكثرها بعدًا عن منهج التأصيل – في رأيي والله تعالى أعلم – مدرسة التبليغيين؛ حيث اتخذت من الأحاديث الضعيفة مركبًا سهل الارتقاء، فصارت تشرع بها دون نظر في سند ولا متن، ومن خبرها علم ما قلت..

وكذلك بعض المدارس المعاصرة التي تهتم بالتأصيل في جانب معين في حين تهمله في جوانب أخرى ربما تكون حاجتها إلى التأصيل أشد. والله تعالى أعلم.

التأصيل في منهج الشيخ - رحمه الله تعالى - :

ولقد كان العلامة عبد الرحمن بن قاسم من أكثر العلماء المعاصرين قيامًا بذلك من حيث الاعتناء بالدليل، والتنقيب عنه، واتباعه...

ويمكن أن تستخلص أهم ركائز التأصيل عند الشيخ - رحمه الله تعالى - على النحو التالي:

١ – حرص الشيخ على التأصيل بالنصوص الشرعية حتى في مجال التمثيل.

وذلك أن الشيخ - رحمه الله تعالى - قد أشرب قلبه محبة للكتاب والسنة، فلا تكاد تجد له فقرة إلا وهي محتوية على استدلال بديع من كتاب الله تعالى أو من سنة نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم؛ أو نقلًا عن أحد كبار أهل العلم.

يقول - رحمه الله تعالى - شارحًا قول الإمام السفاريني: فإنهم قد اقتدوا بالمصطفى... ﷺ وصحبه فاقنع بهذا وكفى: (أي: فإن أصحاب الأثر قد اقتدوا فيما اعتقدوه بالنبي ﷺ، واقتدوا من بعده بصحبه الذين صحبوه، فاقنع أي: ارض بهذا البيان المسند إلى الكتاب والسنة، والصحابة، والتابعين، وكفى بهؤلاء مستندًا والسلامة فيما نحوه، وأصلوه، لا فيما زخرفه المحرفون)[1].

(١) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (ص ٢٢).

ونقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - أن الأصل في الاستدلال هو الكتاب والسنة والإجماع المتيقن مقررًا له على ذلك فقال: (قال شيخ الإسلام وغيره: أجمع المسلمون على أن الأصول ثلاثة الكتاب والسنة والإجماع، فأما الكتاب والسنة فهما أصل الأصول، وكلية الشريعة وعمدة الملة والغاية التي تنتهي إليها أنظار النظار، ومدارك أهل الاجتهاد، ولا طريق إلى الجنة إلا بالكتاب والسنة، وليسا بمحتاجين إلى تقريب واستدلال، والأصل الثالث الإجماع)[١].

وقال - رحمه الله تعالى -: (مدارك العلوم محصورة في شيئين لا ثالث لهما، ومقصورة عليهما في الحد، يأتي الكلام عليه؛ والبرهان، وهو: الحجة والدليل، وهما الكتاب والسنة)[٢].

ويقول عليه رحمة الله تعالى: (... يتعين الاعتناء بالكتاب والسنة، فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٤٢] في غير موضع من كتابه، أي: اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله، واعتنوا بهما، ففيهما الهدى والنور، وحذر عن مخالفتها، فعلى المتمسكين بالمذاهب أن يعتنوا بالشريعة المطهرة أكثر، ويعرضوا أقوال الأئمة عليها، ليعلموا بذلك مذاهب أئمتهم الحقة، وعليهم أن يرجعوا إلى الأدلة الشرعية التي اشتهر العمل بها بين علماء المسلمين، خلاف ما لهج به غالب المتأخرين من أتباع الأئمة، من اقتصارهم على الكتب الخالية من الدليل، وإعراضهم عن الكتاب والسنة وكثير من الآراء التي يعتقدونها مذاهب لأئمتهم، بعضها مخالف لمذاهب أئمتهم. فضلاً عن الكتاب والسنة. وما عليه جمهور الأمة وما كان كذلك ليس بمذهب لأحد من الأئمة. كما علم عنهم...)[٣].

---

(١) حاشية الروض المربع لابن قاسم (١/ ٧).

(٢) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (ص ١٣٣).

(٣) حاشية الروض (١/ ١٧).

٢- اهتمامه بصحة الأحاديث والآثار التي يستدل بها.

وهذا بين من خلال كتبه، فقلما يستدل بحديث أو ينقله عن غيره في معرض الاستدلال إلا ويبين - رحمه الله تعالى - درجته من حيث الصحة والضعف وغير ذلك.

وسأضرب أمثلة قليلة على بعض كلامه على الأحاديث التي يستدل بها؛ مبينًا أنه ينقل أحكام أهل العلم عليها من حيث الصحة والضعف، وربما حكم هو نفسه عليها.

يقول عليه رحمة الله تعالى: (قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**»[(١)] أي التشدد في الدين ومجاوزة الحد، بأن يزاد في مدح الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك، فهو الداء العضال الذي هلكت به الأمم الماضية، وهذا الحديث ذكره المصنف -رحمه الله- غير معزو، وقد رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "قال رسول الله ﷺ غداة جمع: «**هلم القط لي حصيات من حصى الخذف، فلما وضعتها في يده قال: نعم بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**» لفظ ابن ماجه، وإسناده صحيح، وشواهده في الكتاب والسنة. وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار. وقال شيخ الإسلام: "هذا الحديث عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال"[(٢)])[(٣)].

ويقول - رحمه الله تعالى - في موضع آخر: (والذي في سنن أبي داود عن العباس بن عبد المطلب، قال: "كنت في البطحاء، في عصابة فيهم رسول الله ﷺ

---

(١) سنن ابن ماجه حديث رقم ٣٠٢٩ (٢/ ١٠٠٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٦٨٠) (١/ ٥٢٢).

(٢) اقتضاء الصراط - (١/ ١٠٦).

(٣) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم - (ص ٦ -٧).

فمرت بهم سحابة، فنظر إليها فقال: «**ما تسمون هذه؟**» قالوا: السحاب. قال: «**والمزن**» قالوا: والمزن، قال: «**والعنان**» قالوا: والعنان". قال أبو داود: ولم أتقن العنان جيدًا. قال: «**هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض؟**» قالوا: لا ندري. قال: «**إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك، حتى عد سبع سماوات، ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش، بين أسفله وأعلاه كما بين سماء إلى سماء، ثم الله فوق ذلك**»[(١)] أخرجه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن غريب. وقال الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن، وروى أحمد والترمذي نحوه من حديث أبي هريرة، وفيه: «**بعد ما بين سماء إلى سماء خمسمائة عام، وكذلك الأرضون**»[(٢)])[(٣)].

٣ - اهتمامه بمنهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى وفهمهم للأدلة الشرعية، والنقل من أمهات كتبهم المعروفة دون تقليدهم في الاجتهادات.

يقول الشيخ عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى: (فهو في (حاشية الروض) نقل عن جملة من الأئمة الثقات ومن علماء عصره كما ذكر - رحمه الله -:[(٤)]

"...ومن كتب الأصحاب، كالتنقيح والمغنى والزركشي والشرح والمبدع، والمطلع والمحرر، والفروع والتصحيح، والإنصاف، والإقناع، والمنتهى،

---

(١) سنن أبى داود حديث (رقم ٤٧٢٥) (٤/ ٣٦٨) سنن ابن ماجه حديث (رقم ١٩٣) (١/ ٦٩) سنن الترمذي حديث (رقم ٣٣٢٠) (٥/ ٤٢٤).

(٢) سنن الترمذي حديث (٣٢٩٨) (٥/ ٤٠٢) بلفظ «**بينكم وبينها مسيرة خمسمائة سنة**»، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (برقم ٦٠٩٤) (ص٨٧٨).

(٣) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم - (ص ٧١).

(٤) الشيخ عبدالرحمن بن قاسم حياته (ص ٢١٥).

وحواشيهما، ومن كتب وفتاوى شيخ الإسلام وتلميذيه ابن القيم وابن رجب، ومن كتب الحديث وشروحها.

وكتب أهل المذاهب كالبغوي، والنووي وابن رشد، وغيرهم، مجتهداً في نقل الإجماع عمن تقدم ذكرهم، وعن ابن جرير، وابن كثير، وابن عبد البر، وابن المنذر، وابن هبيرة وغيرهم من أهل التحقيق. مفتشاً على خلاف يعتبر. ومجتهداً في إبراز الدليل والتعليل. وتوضيح القول الصحيح...")[1].

ومع ذلك فإنه - رحمه الله تعالى - يبين أن قول الأئمة، واجتهادات العلماء لا تعتبر دليلًا شرعيًا يعارض به كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم؛ نعم قد ترقى إلى مرحلة الدليل في حال ما إذا أجمعوا على حكم معين.

يقول عليه رحمة الله تعالى: (قال - أي شيخ الإسلام -: ومعنى الإجماع أن يجتمع علماء المسلمين على حكم من الأحكام، وإذا ثبت إجماع الأمة لم يكن لأحد أن يخرج عنه فإنها لا تجتمع على ضلالة، فقد عصمها الله على لسان نبيه محمد ﷺ، كما هو مضمون قوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] ومفهوم «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق**»[2] ولكن كثيرًا من المسائل يحكي بعض الناس فيها إجماعًا، ولا يكون الأمر كذلك، بل قد يكون فيها قول آخر أرجح في الكتاب والسنة، وقول بعض الأئمة كالأربعة وغيرهم ليس حجة لازمة، ولا إجماعًا باتفاق المسلمين، وإذا خرج من خلافهم متوخيًا مواطن الاتفاق مهما أمكنه كان آخذا بالحزم، وعاملا بالأولى، وكذلك إذا قصد

(١) حاشية الروض (١/ ٩).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٤٩).

في مواطن، وتوخى ما عليه الأكثر منهم والعمل بما قاله الجمهور دون الواحد، فإنه قد أخذ بالحزم والأحوط والأولى، ما لم يخالف كتابًا أو سنة، قال: وكل مسألة دائرة بين نفي وإثبات لا بد فيها من حق ثابت في نفس الأمر، أو تفصيل، وإن كان لا يمكن أن يعمل فيها بقول يجمع عليه، لكن ولله الحمد القول الصحيح عليه دلائل شرعية، تبين الحق)[١].

ويحذر من التقليد داعيًا المسلمين إلى التمسك بالأدلة من الكتاب والسنة، ومبينًا لهم أهمية ذلك حتى في أمور البرزخ، والمعاد؛ فيقول - رحمه الله تعالى -: (لما فرغ المصنف قدس الله روحه من الأصل الأول وشرحه وبسطه، شرع في ذكر الأصل الثاني من أصول الدين، الذي لا ينبني إلا عليها، وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة من الكتاب والسنة، والدين: الطاعة والتوحيد وجميع ما يتعبد به، وقوله: "بالأدلة" تنبيه على أنه لا يسوغ التقليد[٢] في ذلك، فيصير الرجل إمّعة، بل لابد أن يكون معه أدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على ما خلق له، ليكون على نور وبرهان وبصيرة من دينه، فإن لم يكن على حقيقة من دينه فإنه يخشى عليه في حياته، وبعد مماته عند سؤال الملكين إذا سألاه في القبر أن يصل له الشك، فيجيب الجواب السيئ يقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، [٣] بخلاف من يعرف أدلة دينه من الكتاب والسنة وكان على القول الثابت في الدنيا فإنه يقول عند سؤال الملكين: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ، فإن من أسباب الثبات عند السؤال معرفة الدين بالحجج من الكتاب والسنة والعمل به)[٤].

---

(١) حاشية الروض المربع لابن قاسم - (١/ ٨).

(٢) التقليد: هو قبول رأي من لا تقوم به الحجة بلا حجة. انظر: إرشاد الفحول (٢/ ٢٣٩).

(٣) أخرج بنحوه البخاري حديث رقم (٨٦) (١/ ٢٨).

(٤) حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم (ص ٧٣).

ويقول - رحمه الله تعالى - عن التقليد الأعمى: (وقد عمت البلوى بهذا المنكر، خصوصًا ممن ينتسب إلى العلم، نصبوا الحبائل في الصد عن الكتاب والسنة، كقولهم: لا يستدل بالكتاب والسنة إلا المجتهد والاجتهاد قد انقطع. وقولهم: الذي قلدناه أعلم منك بالحديث وبناسخه ومنسوخه، ونحو ذلك من الأقوال التي غايتها ترك الكتاب والسنة، والاعتماد على قول من يجوز عليه الخطأ، ومعه بعض العلم لا كله، وإن ظنوا أنهم اتبعوا الأئمة، فإنهم في الحقيقة قد خالفوهم واتبعوا غير سبيلهم، وذلك إنما نشأ عن الإعراض عن تدبر الكتاب والسنة، والإقبال على كتب من تأخر، والاستغناء بها عن الوحيين، والواجب على كل مكلف إذا بلغه الدليل أن ينتهي إليه ويعمل به، وإن خالفه من خالفه كائنًا من كان، كما قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] فإذا قرأ كتب العلماء ونظر فيها، وعرف أقوالهم، وجب عليه أن يعرضها على ما في الكتاب والسنة؛ فإن كل مجتهد من العلماء ومن تبعه وانتسب إلى مذهبه لا بد أن يذكر دليلًا، والحق في المسألة واحد، والمنصف يجعل النظر في كلامهم وتأمله طريقًا إلى معرفة المسائل، واستحضارها ذهنًا، وتمييزًا للصواب من الخطأ بالأدلة التي يذكرها المستدلون، وبذلك يعرف من هو أسعد بالدليل من العلماء، فيتبعه...إلخ)[١].

٤ - استدراكه على المخالفين له، والتنبيه على ما خالفوا فيه أهل السنة والجماعة مع حفظه - رحمه الله تعالى - لقدرهم، واحترامه لهم.

يقول - رحمه الله تعالى - في مقدمته لحاشيته على كتاب "الدرة المضية" للإمام السفاريني: "...ونبهت على ما خالف المصنف فيه مذهب السلف..."[٢].

---

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (ص ٣٩).

(٢) الشيخ عبدالرحمن بن قاسم حياته... (ص ١٩١).

وينهج الشيخ - رحمه الله تعالى - منهج الاعتدال في الرد، والحكمة في دحض أدلة المخالف، مع التزام القوة في الحق.

يقول -رحمه الله- في كتابه (السيف المسلول على عابد الرسول): ".... هلا كانت نصرتك للحق، ودعوتك في رد العظائم، في جهتكم وغيرها، المضادة لأصل الإسلام، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ من الشرك بالله وأعظمها عبادة الأنبياء والصالحين وغيرهم، وأشهرها عبادة القبور، التي طبقت العالم إلا من شاء الله.

ولقد اتخذوها في هذه الأزمان معابد، وزخرفوها بالأبنية الضخمة، وموهوها بالذهب والفضة، وكسوها بأنواع الحرير، وازدحموا عندها يعكفون، ويطوفون، ويتمسحون، ويذبحون لها، وينذرون، ويخضعون لها، ويذلون، ويخشعون؛ بل يحصل لهم من الرقة والخشية والدعاء والمناجاة ما لا يحصل لهم إن قصدوا المسجد للصلاة، بل لا تكاد ترى عليهم من الخشوع والابتهال في الصلاة معشاره عند القبور.

ويعتقدون أن الصلاة عندها وفيها وإليها أفضل من الصلاة في بيوت الله - عز وجل -؛ ويقصدونها من الأماكن البعيدة، وربما تكون بحذائهم مساجد مهجورة معطلة، وإذا أدركوا الصلاة في تلك المساجد، كان عندهم أفضل؛ وهي ليست مقصودة، لكونها بيوتاً لله، بل لكونها مقامات ومشاهد، لمن نسبت إليه، من أهل تلك القبور؛ يدل على ذلك: أنهم لا يسمونها إلا مقامات، وحضرات، ومشاهد، وليس مقصودهم، إلا التقرب بالميت وبحضرته.

وكثير ممن زين لهم الشيطان أعمالهم، يصلون إلى الميت، ويدعو أحدهم الميت، فيقول اغفر لي، وارحمني، ونحو ذلك، ويسجد له؛ ومنهم من يستقبل قبره، ويصلي إليه مستدبر الكعبة؛ ويقول: القبر قبلة الخاصة؛ والكعبة قبلة العامة.

قال بعض أهل التحقيق: وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهداً، يحبون

ألهتهم أكبر من حب الله؛ يغضب أحدهم لهم ولحرماتهم أعظم مما يغضب لله ويستبشر بذكرهم، ويسر به، ويحن قلبه، ويهيج من لواعج التعظيم بذكرهم، والخضوع لهم؛ وإذا ذكر الله وحده لحقتهم وحشة وضيق وحرج؛ بل تراهم يقفون عندها، أخشع من موقفهم في عرفات ويفضلونها والحج إليها على حج بيت الله الحرام، والسفر إليها على السفر للحج، وغير ذلك مما هو معلوم، عند جميع أهل العلم بدين الإسلام، أنه مناف لشريعة الإسلام.

وطائفة من علمائهم: صنفوا كتباً وسموها: مناسك حج المشاهد؛ وأما الكتب المصنفة باسم الزيارة، والمولد، والتحريض على التوسل بالأموات ودعائهم وإهداء النذور لهم والصدقات، فأكثر من أن تحصر؛ فأين نصرتك للحق والحالة هذه؟! بل تخطيت بالرد على من نهى عن ذلك..."[1].

ولا شك أن ما قاله - رحمه الله تعالى - هو عين الصواب، فإن التآليف الصوفية التي تدعو إلى الزندقة والكفر البواح لا تكاد تحصر، وكل يوم تطلع فيه الشمس تصب المطابع والمواقع الألكترونية مئات المجلدات والكتب التي تقدس الأموات، وتنشر الشبه في وجه الدين الصحيح، وتحاول تشويه علماء الأمة الربانيين في حين تذيع "فضائل" تزعمها لابن عربي والدباغ والبدوي وغيرهم من أساطين الصوفية، وأرباب الشرك والوثنية.

ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

ويرد الشيخ - رحمه الله تعالى - على المبدلين الذين اختاروا أقوال البشر على منزل الوحي، وكلام المعصوم، ووثقوا في القوانين والنظم الوضعية، وجعلوها مرجعًا يتحاكم إليها، وتنظم حياة الناس فيقول تنزلت عليه شآبيب رحمة الله تعالى: (وما أكثر من اتصف بهذا الوصف خصوصًا من يدعي العلم، فإنهم

(١) السيف المسلول على عابد الرسول ص٧.

صدوا عما توجبه الأدلة من كتاب الله وسنة نبيه إلى أقوال من يخطئ كثيرًا، ممن ينتسب إلى الأئمة الأربعة في تقليدهم من لا يجوز تقليده، وجعلوا قوله المخالف لنص الكتاب والسنة وقواعد الشريعة هو المعتمد عندهم، الذي لا تصح الفتوى إلا به، بل ومن يجعل المعتمد النظم والقوانين الإفرنجية ويدعي الإسلام. وقال شيخنا: "المرتضي بالسياسات والقوانين كافر يجب قتله، وإن المنافقين أشد من الكفار الخلص، ومن ظن أن حكم غير رسول الله ﷺ أحسن من حكمه فهو كافر بإجماع المسلمين فالله المستعان "[١].

٥ – حرصه على القول الراجح:

ذلك أن الشيخ عبد الرحمن بن قاسم – رحمه الله تعالى – يتلمس من أقوال أهل العلم ما كان راجحًا بحسب قوة الدليل ووضوحه؛ فيدور مع الأدلة حيث دارت دون تقليد لمذهب أحد كائنًا من كان..

يقول حفيده عبد الملك حفظه الله تعالى: (قال – رحمه الله –: يقصد الشيخ عبد الرحمن بن قاسم – في مقدمة (حاشية الروض) وكأنه يكتبه لغير عصره وزمانه ومكانه[٢]: "... وقد انتشرت في هذا العصر فكرة التوسع في الاطلاع على المذاهب الأربعة وغيرها، والأخذ منها، وعدم الاقتصار على مذهب واحد، لبني الحكم على الأقوى دليلاً، فأذكر غالباً ما أجمع عليه إن كان، أو ما عليه الجمهور أو ما انفرد به أحد الأئمة وساعده الدليل حسب الإمكان، بحيث يغني عن مطالعة الأسفار الضخمة، وليست – وإن بذلت الجهد – قد بلغت النهاية، بل خطوة في البداية، فميدان العمل فيه سعة لمن شحذ همته، وبذل نصحه، وشرعة لمن خلصت نيته، وأحرص – إن شاء الله – أن لا أطيلها إلا بقواعد

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (ص ٤٠).
(٢) الشيخ عبدالرحمن بن قاسم حياته (ص ٢١٩).

وبراهين ومهمات تثلج الصدر، وتبرد الوحر، ويطمئن لها قلب من له طلب مليح، وقصد صحيح، إذ لا التفات لكراهة ذوي البطالة والمهانة، بل قال ابن رشد: ما من مسألة وإن كانت جلية في ظاهرها إلا وهي مفتقرة إلى الكلام على ما يخفى من باطنها، وقد يتكلم الشخص على ما يظنه مشكلاً، وهو غير مشكل على كثير من الناس، وقد يشكل عليهم ما يظنه هو جلياً، والكلام على بعض المسائل دون بعض تعب وعناء بدون فائدة تامة، وإنما الفائدة التامة التي يعظم نفعها، ويستسهل العناء فيها، أن يتكلم الشخص على جميع المسائل كي لا يشكل على أحد مسألة إلا وجد التكلم عليها، والشفاء مما في نفسه منها، والحال دون ما ذكر، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله")[١].

وهذا هو الغالب على الشيخ - رحمه الله تعالى -، ومع ذلك فإنه ربما رجح أو سكت على بعض الأقوال في الفقه الحنبلي مع عدم رجحانها بحسب الدليل، وذلك له مبررات لا تنقص من قدره - رحمه الله تعالى -، ولعل من أبرزها أنه تربى في مجتمع حنبلي محض..

والأمثلة على ذلك ليست بالقليلة منها مسألة مس المصحف مثلًا[٢].

وكالصلاة بغير وضوء عمدًا دون استحلال[٣].

ومثل بعض الأحكام في الرهن[٤].

وكمسائل متعلقة بالمواريث منها ميراث الجدة المدلية بقرابتين ثلثي السدس وثلثه الباقي للجدة المدلية بقرابة واحدة[٥].

---

(١) حاشية الروض (١/ ١٠).

(٢) حاشية الروض المربع لابن قاسم (١/ ٢٥٦).

(٣) حاشية الروض المربع لابن قاسم (١/ ٢٦١).

(٤) حاشية الروض المربع لابن قاسم (٣/ ٦٨) وما بعدها.

(٥) حاشية الروض المربع لابن قاسم (٧/ ٩٧).

وغير ذلك كثير...

ومن المعلوم أن العالم مهما بلغ من العلم يظل بشرًا يتأثر بالمحيط الذي يعيش فيه؛ فلا ينقص من قدر العلامة عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى - ترجيحه لمذهب الحنابلة أو سكوته عنه في مسائل ليس المذهب الحنبلي هو الراجح فيها بحسب الدليل. والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني

منهج الشيخ وآراؤه في أساليب الدعوة

تعريف الأسلوب لغة واصطلاحاً:

أولاً: في اللغة:

يطلق الأسلوب في اللغة على معان منها:

١ - الطريق، والوجه الذي تأخذه فيه[١].

٢ - الطريق والمذهب، يقال: أنتم في أسلوب سواء وسلكت أسلوب فلان في كذا، أي طريقته ومذهبه، وأسلوب الكاتب، أي طريقته في كتابته[٢].

٣ - الفن، يقال: أخذنا في أساليب من القول، أي فنوناً متنوعة. والفن في اللغة يعني: الحال والضرب من الشيء والتزيين، والتنويع، والمهارة فيه[٣].

ومن هنا يتبين لنا أن الأسلوب يتركز حول معنى الطريقة في الشيء والتفنن فيه وتزيينه مع شيء من المهارة في كل ذلك.

ثانياً: الأسلوب في الاصطلاح:

لقد عرف الأسلوب في الاصطلاح بعدة تعريفات بحسب تنوع العلوم والمعارف والموضوعات، فتعريفه عند الأديب يختلف عنه عند الداعي والمربي، وهكذا.

إلا أن هذه التعريفات تجمع معنى واحداً هو الفن والطريقة؛ فمثلاً يقال في تعريفه في الاصطلاح الأدبي: (هو طريقة التعبير، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة

---

(١) المخصص لابن سيده (٣/ ٣٠٩).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس (٣/ ٧١).

(٣) مختار الصحاح (١/ ٣٢٦).

اختيار الألفاظ، وتأليفها للتعبير بها عن المعاني، قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيها)[١].

أما في اصطلاح علم الدعوة، فقد عرف بعدة تعريفات؛ فمن تعريفاته ما يلي:

أولاً: تعريف فضيلة الأستاذ الدكتور سيد محمد ساداتي الشنقيطي، حيث يعرفه بقوله: الأسلوب هو: صيغ التبليغ في دعوة الناس[٢].

ثانياً: تعريف الدكتور علي عبد الحليم محمود وقد عرفه بأنه هو: الطريقة، أو المذهب الذي يلجأ إليه الداعي إلى الله، ليحقق بذلك أهداف الدعوة[٣].

ثالثاً: وعرف كذلك بأنه الطريقة التي يستخدمها الداعية للعبور إلى نفس المدعو وإقناعه بالفكرة ومن ثم تحقيق الهدف الذي يصبو إليه[٤].

وأساليب الدعوة: هي العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ، وإزالة العوائق عنه[٥].

ركائز أساليب الدعوة[٦]:

إن للدعوة إلى الله عز وجل أساليب يستخدمها الدعاة للوصول إلى نفوس

---

(١) الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب البلاغية، أحمد الشايب، ص ٤٤، بدون ذكر الطبعة (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦ م).

(٢) انظر: ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام، أ.د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، مرجع سابق، ص ٤٨.

(٣) فقه الدعوة إلى الله،د. علي بن عبدالحليم محمود، مرجع سابق، ص ٢١٥.

(٤) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، خالد بن عبدالكريم الخياط، ص ١٠٤، الطبعة الأولى (جدة: دار المجتمع، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م).

(٥)أصول الدعوة - (ص ٤٦٥) الدكتور عبد الكريم زيدان الطبعة الثالثة، بغداد ١ رمضان ١٣٩٥هـ ٠٦/ ٠٩/ ١٩٧٥م.

(٦) راجع: أصول الدعوة - (ص ٤٧٤) وما بعدها. والحكمة في الدعوة إلى الله تعالى سعيد بن علي بن وهف القحطاني الطبعة: الأولى الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية تاريخ النشر: ١٤٢٣هـ- (١/ ١٤٣) وما بعدها.

المدعوين، وإقناعهم بالالتزام بدين الله تعالى، وذلك بغرض محبة الخير للناس أجمعين..

ولتلك الأساليب ركائز ودعائم تقوم عليها من أهمها:

أولاً: تشخيص الداء في المدعوين، وتحديد الدواء.

من المقولات المأثورة والصادقة قولهم: معرفة الداء نصف الدواء، فعملية التشخيص الطبي تبدأ قبل عملية وصف الدواء حتى يعطى العلاج بالنوع والكم الذي يصلح للمرض..

ولا شك أن الدعاة إلى الله عز وجل هم أطباء القلوب والأرواح؛ فعليهم أن يشخصوا الداء أولًا ثم يعينوا العلاج ثانياً، ولا بد في عملية التشخيص من المعرفة التامة بالمرض، وأن لا ينخدعوا بالأعراض الظاهرة للمرض؛ فالأعراض تتشابه، وتتداخل بين الأدواء؛ والواجب عليهم هو معرفة أصل الداء نفسه..

وأصل داء البشر هو الشرك بالله تعالى، وعدم معرفته سبحانه، كما قال تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: «...**وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانًا**»[1].

كما أن من الأدواء الملازمة للبشر – إلا من رحم الله تعالى – داء محبة الدنيا والركون إليها، والغفلة عن الآخرة والعزوف عنها..

قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «...**فوالله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم**

(١) صحيح مسلم حديث رقم ٧٣٨٦- (٨/ ١٥٨).

فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»[١].

هذا هو أصل الداء في البشر متمثلًا في الشرك بالله تعالى أيا كان نمط ذلك الشرك، ثم تختلف الشعوب والأمم حسب فترات التاريخ في أنواع الأمراض المنبثقة عن هذا الأصل الأول، وتكثر بعض أصنافه في قوم، وتقل في آخرين..وهكذا.

ومن ثم يختلف الدواء الموصوف لهم والذي له مكون أساسي هو الآخر ألا وهو.

الايمان بالله رباً وإلهاً واحدًا لا شريك له، ومتابعة النبي ﷺ.

ثانيًا: إزالة الشبهات التي تمنع من الإحساس بالخطأ، ومعرفة الصواب:

الشبهة هي الظن المشتبه بالعلم، وقال بعضهم الشبهة مشابهة الحق للباطل والباطل للحق من وجه إذا حقق النظر فيه ذهب[٢].

ولكنها في البداية – على الأقل – تثير الريبة في نفوس المدعوين، وتزرع فيهم الشك فيما يقوله لهم الدعاة إلى الله عز وجل، وتمنعهم بالتالي من رؤية الحق على حقيقته، والاستجابة له..

وواجب الدعاة – والحالة هذه – دحض هذه الشبه، وإبطالها، بالأدلة؛ إذ كيف يستطيعون جلب الشارع العريض من العوام إلى الإسلام، في حين أن هذه الشبه تنطلي على كثير ممن لم يعرف الحق حق معرفته..

إن تلك الشبه إذا لم تزح من الطريق سوف تظل حاجزًا منيعًا في سبيل وصول الحق إلى طبقة كثيرة من الناس، ولن تدعهم يحسون بالداء الذي ينخر في أجسامهم، ومن الطبيعي أن تمنعهم من تناول الدواء..

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم ٣١٥٨- (٨/ ١٨٣) صحيح مسلم حديث رقم ٦١١٧- (٧/ ٦٧).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف - (١/ ٤٢٢).

ثالثًا: الترغيب، ثم الترهيب:

إن من الأساليب النافعة في الدعوة إلى الله تعالى: أسلوب الترغيب والترهيب، وسوف أعرف كلا من الترغيب والترهيب حتى يتبين دورهما في الدعوة إلى الله تعالى.

أولًا: الترغيب:

تعريف الترغيب:

الرغبة لغة: هي إرادة الشيء: يقال رغبت في الشيء إذا أردته قال تعالى: ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٨] ويقال: رغب عن الشيء زهد فيه ولم يرده، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠][(١)].

والمقصود بالترغيب في الشرع: (كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة للدعوة وقبول الحق والعمل به والثبات عليه[(٢)].

ثانيًا: الترهيب:

تعريف الترهيب:

الرهبة لغة: طول الخوف واستمراره، ومن ثم قيل للراهب، راهب لأنه يديم الخوف.

والترهيب: هو التخويف والتوعد[(٣)].

والمقصود بالترهيب في جانب الدعوة كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[(٤)].

---

(١) الصحاح للجوهري (٢/ ١٥٤).

(٢) أصول الدعوة (ص ٤٩٢).

(٣) القاموس المحيط (١/ ١١٨).

(٤) أصول الدعوة (ص ٤٩٢).

ويمكن أن يعرف أسلوب الترغيب والترهيب بأنه: تشويق الناس إلى ثواب الله تعالى والجنة وتخويفهم من عذابه والنار.

وأسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب القرآنية المعروفة؛ فكثيرًا ما يخوف الله تعالى عباده في القرآن الكريم من شديد عقابه، ويبشرهم بجزيل ثوابه، رابطًا كل ذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ بل ويمدح تعالى من امتثل أوامره واجتنب نواهيه خوفًا من عذابه وطمعًا في ثوابه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ومن أساليب الترغيب والترهيب أن يذكر الداعية الناس بنعم الله تعالى عليهم، وأن المنعم هو الذي يستحق العبادة، ثم يذكرهم بأن عقاب الله تعالى قريب، وأنه وإن أنعم عليهم هذه النعم الكثيرة قادر على نزعها منهم متى شاء..

والمعصية هي أكبر جالب للعذاب، وزوال النعم..

ولا شك أن هذا يعتبر ميدانًا خصبًا في كل زمن، وكل عصر، وقد نهجه أنبياء الله تعالى على مر العصور مع أممهم؛ فذكروهم بنعم الله تعالى عليهم، وأنها مدعاة لطاعته سبحانه وتعالى، كما ذكروهم بأن معصيته جل وعلا جالبة لزوال هذه النعم..

رابعًا: تعهد المستجيبين بالتربية والتعليم.

إن الداعية المخلص لا يهمه كثرة المستجيبين له، بقدر ما يهمه تكوين جماعة ثابتة على الحق ناصرة لدين الله تعالى، لذلك كان لزامًا عليه أن يتعهد المستجيبين له؛ فيعلمهم دين الله تعالى، ويحذرهم من مصائد الشيطان، ومكائد الأعداء..

وليعلم أنهم حتى وإن استجابوا لتلك الدعوة الربانية سواء كانت دخولًا في الإسلام أو التزامًا به وبمنهجه في جميع مناحي الحياة، فإنهم مع كل ذلك سوف

يبقى فيهم جزء من أمراض الشك والشرك، ولن يزول عند أول جرعة من الدواء، بل لا بد من مواصلة العلاج، ومتابعة الدواء، حتى يختفي المرض كليًّا، أو ينحصر في جزء قليل لا يؤثر في المسار العام..

خامسًا: تقويم جميع هذه الأساليب على أسلوب الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، واستخدام القوة مع المعاندين.

تعريف الحكمة:

حكم الرجل مثل حلم أي صار حكيماً.

والحكيم العالم صاحب الحكمة والحكيم المتقن للأمور[١].

الحكمة في الاصطلاح:

الحكمة قيل إنها: وضع الشيء في موضعه.

أو هي: القدرة على فهم الأمور وحسن معالجتها.

أو هي: إصابة الحق بحسن التدبير.[٢]

تعريف الموعظة الحسنة:

الموعظة في اللغة:

مشتقة من: وعظه يعظه وعظاً، ومعنى وعظة: نصحه وذكره بالعواقب، وأمره بالطاعة ووصاه بها.[٣]

الموعظة في الاصطلاح:

الوعظ: (زجر مقترن بتخويف)[٤] وقيل الوعظ: (هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب والموعظة: "هي التي تلين القلوب القاسية وتدمع العيون

(١) لسان العرب - (١٢/ ١٤٠).

(٢) الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة (ص ٦٥).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (١/ ٣٢٢).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (١/ ٧٢٩) مرجع سابق.

الجامدة وتصلح الأعمال الفاسدة)[١].

ولا شك أن جميع أساليب الدعوة التي قدمت تعتمد اعتمادًا كليًا على أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، دون تمييع للدين، أو طمس للحق..

وذلك أن النفس البشرية بطبيعتها تحب المدح والثناء، وتميل إلى اللين أكثر مما تميل إلى القسوة، وتفضل توصيل الفكرة إليها على أنها فكرتها هي نفسها، ولذلك أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – ومن ثم أمته – بهذا الأسلوب العظيم فقال جل من قائل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

يقول الحافظ ابن كثير – رحمه الله –: (يقول تعالى آمراً رسوله محمد ﷺ – أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة، قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة والموعظة الحسنة، أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس، ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى: وقوله: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦] فأمره تعالى بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون – عليهما السلام – حين بعثهما إلى فرعون في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤][٢].

ويقول الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله –: (وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي

---

(١) التعريفات – (١/ ٣٠٥) علي بن محمد بن علي الجرجاني الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥ تحقيق: إبراهيم الأبياري.

(٢) تفسير القرآن العظيم الحافظ ابن كثير مرجع سابق ٢/ ٩٦٥.

المقرون بالترغيب والترهيب)[١].

ولقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ومِن بعده الدعاة، بالجدال بالوجه الحسن، وبلين الجانب، كما أمر به موسى وهارون - عليهما السلام- حين بعثهما إلى فرعون في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

ولكن هل يلتزم هذا الأسلوب من اللين وخفض الجناح في كل الأحيان؟

يجيب عن ذلك الشيخ حمد بن حامد الغامدي فيقول: (ويشيع في فهم كثير من الناس، بل كثير من الدعاة إلى الله تعالى، أن الحكمة هي: لين الجانب، أو أنها: خفض الجناح، أو أنها: مداراة الناس، ونحو ذلك.

وهذه المعاني وإن كانت من صور الحكمة في أحيان كثيرة، إلاّ أنها قد لا تكون من الحكمة في أحيان أخرى، فضلاً عن أن تكون هي الحكمة.

وعلى هذا، فقد يكون لين الكلام، وخفض الجانب من الحكمة.

قال الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

وقال تعالى مخاطباً نبيه الكريم: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى مخاطباً موسى وهارون في بعثهما لفرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]. كما أن الحكمة أحياناً تكون في الغلظة

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مرجع سابق ٤/ ٢٥٤.

والشدة: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦])[1].

منهج الشيخ وآراؤه في أساليب الدعوة:

إن الناظر في كتب الشيخ - رحمه الله تعالى - يجده أعطى أساليب الدعوة حقها من البحث والتدقيق، وإن كان مقتصرًا في ذلك على المهم منها دون الخوض في كثير من التفاصيل الفنية والتنظيرية..

يقول - رحمه الله تعالى - مفسرًا قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] (يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل: يا محمد هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة لله وحده طريقتي ومسلكي ودعوتي إلى الله وحده لا شريك له، لا إلى حظ ولا رياسة، بل إلى الله، على بصيرة بذلك ويقين وبرهان وعلم مني به "أنا ومن اتبعني أي ويدعو إليه على بصيرة أيضًا من اتبعني وصدقني وآمن بي، والبصيرة المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل، وهي الخصيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الأمة وهي أعلى درجات العلماء. (وسبحان الله) أي أنزه الله وأعظمه وأقدسه وأجله عن أن يكون له شريك في ملكه أو نظير أو نديد، تعالى وتقدس

(١) الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة - (ص ٦٦).

عن ذلك علوًّا كبيرًا. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ في الاعتقاد والعمل والمسكن، لست منهم ولا هم مني، بأي نسبة كانوا بحيث لا يعد منهم بوجه من الوجوه، إن نظر في الاجتماعات فليس منهم، وإن جلسوا في المجالس فليس منهم، وإن خرجوا إلى المحافل فليس منهم، فليس منهم في أي حال من الأحوال، وفيه وجوب الهجرة، وهو معلوم بالكتاب والسنة والإجماع، وبذلك يظهر وجه المطابقة بين الآية والترجمة. والنصوص في الدعوة إلى الله كثيرة كقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] وهي واجبة على من اتبعه أن يدعو إلى الله كما دعا إليه. وذكر ابن القيم أن مراتب الدعوة ثلاثة أقسام: وذلك بحسب حال المدعو، فإنه إما أن يكون طالبًا للحق محبًّا له مؤثرًا له على غيره إذا عرفه، فهذا يدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة وجدال، وإما أن يكون مشتغلًا بضد الحق لكن لو عرفه آثره واتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب، وإما أن يكون معاندًا معارضًا، فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجلاد إن أمكن.

ولا بد في الدعوة إلى الله من شرطين: أن تكون خالصة لوجه الله، وأن تكون على وفق سنة رسول الله ﷺ، وأن يكون الداعي عارفًا بما يدعو إليه، فإن أخل بالأول كان مشركًا، وإن أخل بالثاني كان مبتدعًا)[1].

ونبه على أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن فقال شارحًا حديث معاذ عندما أرسل إلى اليمن: (...فإنك تأتي قوما أهل كتاب "يعني بذلك اليهود والنصارى لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب، وقد أوتوا علوما في أصول الأديان

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (٦ -٧).

وفروعها، وليسوا أميين كسائر العرب، فنبهه على ذلك ليتهيأ لمناظرتهم، يعني خذ أهبتك لهم، فإنهم أهل علم، ليسوا كغيرهم. وقال الحافظ: "هو كالتوطئة للوصية ليجمع همته عليها "[١])[٢].

وبين - رحمه الله تعالى - وصف الدواء لداء الشرك الذي هو أصل الأدواء في الأمم عامة مبينًا بذلك أسلوب تشخيص الداء ووصف الدواء فقال - رحمه الله تعالى -: (وقال ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: «**ليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**»، وفي رواية: «**فادعهم إلى توحيد الله**»، وهذه الروايات يفسر بعضها بعضاً، فالنبي ﷺ إنما بعث بالدعوة إلى التوحيد، وذلك لأنه أساس الملة الذي تبنى عليها، وبدونه لا يبني شيء من الأعمال، فالتوحيد هو الأصل، وبقية شرائع الدين فرع عنه، فإذا زال الأصل زال الفرع، فأي بيان أبين من هذا؟ على أن التوحيد أوجب الواجبات، ومعرفته أفرض الفرائض، كونه ﷺ أخذ عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وينذر عن الشرك قبل أن تفرض عليه الفرائض)[٣].

ونبه على الشبه التي تحول - عادة - دون قبول المدعوين للدعوة، أو عدم استمرارهم في التمسك بها فقال - رحمه الله تعالى -: (فإن قوله: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله**» مع قوله: «**إنك تأتي قوما من أهل الكتاب**» يعني أنهم أهل علوم وكتب وحجج، ومع ذلك أمره أن يدعوهم إلى إفراد الله بالعبادة، لكونهم محتاجين إلى أن تبين لهم ذلك، فإن منهم من يجهله، أو يعلمه ولكن الشهوة تمنعه من ذلك، وحب المال والجاه والرياسة والعياذ بالله)[٤].

وأكد - رحمه الله تعالى - على مسألة الرفق والدعوة بالتي هي أحسن فقال:

---

(١) انظر: "الفتح" (٣/ ٢٦١).

(٢) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (ص ٢).

(٣) حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم (ص ١٣٧).

(٤) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (ص ٤).

(وفي الأثر دليل على أنه إذا خشي ضررًا من تحديث الناس ببعض ما لا يعرفون فلا ينبغي، وليس على إطلاقه؛ فإن كثيرًا من الدين والسنن يجهله الناس، فإذا حدثوا به كذبوا بذلك وأعظموه، فلا يترك العالم تحديثهم، بل يعلمهم برفق ويدعوهم بالتي هي أحسن)[1].

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم (ص ٤١).

المبحث الثالث

منهج الشيخ وآراؤه في وسائل الدعوة

أولاً تعريف الوسيلة لغة:

الوسيلة: القربة: يقال: وسل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملاً تقرب به إليه.

وتوسل إليه بكذا: تقرب إليه بحرمة آصرة تعطفه عليه.

والوسيلة: الوصلة والقربى، وجمعها الوسائل.

قال الجوهري: الوسيلة: مايتقرب به إلى الغير، والجمع الوسل والوسائل.

وهي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به[١].

ثانيًا: تعريف الوسيلة اصطلاحًا:

الوسيلة اصطلاحاً: عرف كثير من العلماء الوسيلة نظراً لورودها في القرآن الكريم والسنة المطهرة كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

وفي الحديث الشريف: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة،فإنها منزلة في الجنة لاتنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أ، أكون هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**»[٢].

---

(١)الصحاح للجوهري - (٦/ ١١٩).

(٢) صحيح مسلم حديث رقم ٨٧٥- (٢/ ٤).

وأذكر بعض التعريفات الواردة لمصطلح الوسيلة: ورد في الجامع لأحكام القرآن قوله: (الوسيلة: القربة التي ينبغي أن يطلب بها)[١].

قال الإمام ابن كثير: (الوسيلة هي: ما يتوصل بها إلى تحصيل المقصود)[٢].

وفي تفسير التحرير والتنوير: (الوسيلة: ما يقرب العبد من الله بالعمل بأوامره ونواهيه)[٣].

والوسيلة في اصطلاح علم الدعوة عرفت تعريفات منها:

أ - الوسيلة: هي كل ما يتم به تبليغ الأساليب وحملها إلى المدعو.

ب - الوسيلة: هي الطريقة التي يصل بها الأسلوب إلى المدعو.

ج - الوسيلة في الدعوة أو الاتصال الدعوي هي: القناة الموصلة للغاية، أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس.[٤]

والدعوة إلى الله تعالى لا بد لها من وسائل يوصل بها الداعية دعوته، ويصل من خلالها إلى المقصود من توحيد الله تعالى، والعمل بأوامره، واجتناب نواهيه...

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (إن الداعي الذي يدعو غيره إلى أمر، لا بد فيما يدعو إليه من أمرين:

أحدهما: المقصود والمراد.

والثاني: الوسيلة والطريق الموصل إلى المقصود)[٥].

ووسائل الدعوة إلى الله عز وجل يقسمها العلماء إلى نوعين:[٦]

---

(١) تفسير القرطبي - (٦/ ١٥٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٧).

(٣) التحرير والتنوير - (٤/ ٢٦٦).

(٤) التدرج في دعوة النبي - (ص ١٦).

(٥) مجموع الفتاوى - (١٥/ ١٦٢).

(٦) إعانة الربان للمقالات الدعوية في مجلة البيان - (١/ ٤٣٨).

١ - خارجية: ويمثل لها العلماء بالحذر مع التوكل، والاستعانة بالله على كل خير.

٢ - مباشرة: ويمثلون لها بالقول بشتى صوره، والعمل، والسيرة الحسنة.

وسوف أذكر هنا أهم وسائل الدعوة[١] التي كان للشيخ - رحمه الله تعالى - فيها جهد ومنهج واضح من خلال دراسة حياته الشخصية، والنظر في مؤلفاته.

القول:

قدمت أن وسائل الدعوة هي: ما يستعين به الداعية إلى الله عز وجل على تبليغ دعوته، من أمور معنوية أو مادية..

ومن هنا فإن وسيلة القول تعتبر أعظم وسائل الدعوة التي استعملها أنبياء الله ورسله في تبليغ دعوتهم عليهم الصلاة والسلام.

وتتضح أهمية وسيلة القول من وجوه، منها:

١ - اهتمام القرآن الكريم بهذه الوسيلة، فقد ورد لفظ "قل" في القرآن الكريم في أكثر من ثلاثمائة موضع، كما جاءت مشتقاته وتصريفاته في القرآن الكريم في آيات كثيرة[٢].

٢ - استخدام جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام هذه الوسيلة في دعوتهم إلى اللّه تعالى، فكم من رسول قال لقومه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

---

(١) التدرج في دعوة النبي - (ص ٥٤) المؤلف: إبراهيم بن عبد الله المطلق الطبعة: الأولى الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - مركز البحوث والدراسات الإسلامية تاريخ النشر: ١٤١٧هـ فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري - (١/ ٥٧) المؤلف: سعيد بن علي بن وهب القحطاني الطبعة: الأولى الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد تاريخ النشر: ١٤٢١هـ.

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، ص ٥٧٠.

[الأعراف: ٥٩]، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، ويدل على أهمية هذه الوسيلة كثرة أقوال النبي الكريم محمد ﷺ في كتب السنة التي دعا بها أمته بقوله إلى كل ما يعود عليهم بالخير والصلاح.

القدوة:

التقليد ومحاكاة الغير أمر فطري في النفوس يبدأ منذ الطفولة، فالطفل يكتسب كلامه وحركاته وتصرفاته عن طريق التقليد للأبوين والإخوان والأقارب، ومن هنا جاء الحديث الشريف ليؤكد هذا المعنى وينبه على أهميته فقال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»(١).

وأمر النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم باختيار الزوجة ذات الدين؛ لأنها سوف تكون قدوة صالحة ليس للزوج فحسب بل وكذلك للأولاد من بعده فقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**»(٢).

وجاءت نصوص الشريعة محذرة من التشبه والاختلاط باليهود والنصارى والمجوس وسائر الكفرة والمنافقين ومن لاخلاق لهم.

وفي المقابل جاءت مؤكدة على الاقتداء بالنبي ﷺ واتباعه والاقتداء بالذين من بعده أبي بكر وعمر(٣)، واتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، وكذلك

---

(١) صحيح البخاري حديث (رقم ١٣٥٨) (٣/ ٣٤٠) صحيح مسلم حديث (رقم ٦٩٢٦) (٨/ ٥٢).

(٢) صحيح البخاري حديث (رقم ٥٠٩٠) (١٢/ ٥٧٥) صحيح مسلم حديث رقم ٣٧٠٨- (٤/ ١٧٥).

(٣) سنن ابن ماجه حديث رقم ٩٧- (١/ ٣٧) سنن الترمذي حديث رقم ٣٦٦٢- (٥/ ٦٠٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١١٤٢) ١/ ٢٥٤.

تؤكد على اختيار الخليل والجليس والصاحب، والعالم الذي يتعلم عليه أو يستفتيه كما جاء في الأحاديث «**مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير...**»[١] وحديث «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[٢]، وغير هذه الأحاديث كثير ويؤكد علماء السلف على تلاميذهم وأتباعهم وأصحابهم بالبعد عن أصحاب الأهواء والشهوات والبدع.

والقدوة المطلق الذي يقتدى به في كل شيء هو الرسول ﷺ لأنه هو المعصوم الذي لا يقول ولا يفعل إلا حقًّا، وما سوى الرسول يؤخذ من قوله ما وافق الحق وهو ما قام عليه الدليل ويترك ما لا دليل عليه.

والقدوة منزلة عالية لم يعطها النبي ﷺ لأحد من أمته بعده إلا إلى اثنين فقط «أبي بكر وعمر» في قوله: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبو بكر وعمر**»[٣]..

والدعاة من علماء الأمة وفقهائها يلزمهم أن يكونوا قدوة فيما يرى الناس منهم والغلط منهم ليس كالغلط من غيرهم، فإنه إذا كان فيهم شبراً كان في الأتباع ذراعاً ثم باعاً وهكذا،وقد ورد عن الأوزاعي - رحمه الله - قوله: (كنا نضحك ونمزح فإذا صرنا يقتدى بنا خشيت أن لا يسعنا التبسم)[٤].

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم ٥٥٣٤- (١٤/ ٧٦) صحيح مسلم حديث رقم ٦٨٦٠- (٨/ ٣٧).

(٢) سنن أبى داود حديث رقم ٤٨٣٥- (٤/ ٤٠٧) سنن الترمذي حديث رقم ٢٣٧٨- (٤/ ٥٨٩) وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب.

(٣) شرح مشكل الآثار ـ الطحاوى - (٣/ ١٥٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١١٤٢) ١/ ٢٥٤.

(٤) المدخل إلى السنن الكبرى الأثر رقم ٥٤٧- (١/ ٣٣٦) أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر سنة الولادة ٣٨٤/ سنة الوفاة ٤٥٨ تحقيق د. محمد ضياء االرحمن الأعظمي الناشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي سنة النشر ١٤٠٤ مكان النشر الكويت.

الخطابة:

ما كل عالم خطيباً ولا كل خطيب عالماً فلا يلزم من وجود العلم القدرة على الخطابة، لأن البعض إذا كان لديه علم فإنه ليس له القدرة على وصف هذا العلم وبيانه بأدلته وتشعباته وأقوال العلماء فيه.

والعلم ليس هو الكلام، بل الكلام هو التعبير عن ذلك العلم، وهذا الكلام يسمى علماً، ولهذا يقال العلم علمان: علم في القلب وعلم على اللسان، فعلم القلب هو العلم النافع، وعلم اللسان هو حجة الله على عباده،[1] وعدم البيان صفة نقص، فإن الله ميز الإنسان بالنطق والبيان الذي فضله به على سائر الحيوان كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤]، وأهل المنطق يقولون: الإنسان هو الحيوان الناطق، ولما كان هذا أظهر صفاته قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]، فكونه قادراً على البيان صفة مدح وثناء يزيد هذا بزيادتها، ولا يلزم من كون المرء خطيباً لامعاً مؤثراً أن يكون عالماً فقيهاً يستفتى بالأحكام، ولكن القدرة الخطابية بلا فقه يؤيدها ويركزها لا تمدح،لأن لها مزالق خطرة فقد يتصدر بها الرجل، ويصبح في أعين الناس كبيراً فيستفتى في مسائل كبار فيظن أنه يعلم فيفتي بجهل، وقد يفتى في قضية من قضايا الأمة فلا يوفق في فهم الحق فيها فيوقع الناس في التخبط ويتناقض هو مع غيره من أهل العلم.

الرسائل الشخصية:

وهي وسيلة من الوسائل النبوية ذات أهمية في إيصال الدعوة إلى الآخرين الذين لا يمكن الاتصال بهم شخصياً، ولا يمكن حضورهم ليسمعوا من الدعاة.

والرسائل وسيلة من وسائل التواصل العلمي والفكري بين الدعاة والعلماء

---

(١) روي موقوفا على الحسن البصري بإسناد صحيح في سنن الدارمي حديث رقم ٣٦٤- (١ / ١١٤).

والمفكرين والمثقفين وأهل الرأي في العالم كله، ولقد أدت ثمرات كبيرة في إيضاح الحقائق وكشف الغوامض، وبيان اللبس في عدد من القضايا والأنباء ونحو ذلك.

والرسالة تتيح للمرسل أن يركز على قضايا يحب اطلاع المرسل إليه عليها فيعالجها معالجة تناسبه من جميع الأمور، ويركز على مايهتم به المرسل إليه ويبحث عن مداخل نفسه وأبوابها ليأتي إليه منها فيدخل الحق إلى قلبه وعقله.

الكتب:

الكتب وسيلة من وسائل الدعوة الهامة والمؤثرة، والسجل الحافظ لمنهج الدعوة وفكرها وحياة الدعاة وتجاربهم، وهي من الشهود على الناس فيما يعتقدون ويلفظون.

تلك وسائل من أهم وسائل الدعوة التي عرفت عبر التاريخ، ولكن في عصرنا الحاضر، هل يمكن أن يجدد الدعاة في وسائلهم ليصلوا إلى عقول الناس وقلوبهم بوسائل لم تكن موجودة قديمًا، أو كانت موجودة، ولكنها طورت، وأخذت أشكالًا وأبعادًا جديدة، أم أن الوسائل مسألة توقيفية لا يجوز الاجتهاد فيها، ولا تطويرها، وتقنينها؟

وسائل الدعوة ليست توقيفية:

كثير من الدعاة يطرح ذلك السؤال الملح في عصرنا الحاضر، وبما أنه قد طرح على من هو أعلم وأفقه وأحكم مني فسوف أنقل كلامه بنصه لعظم فائدته ودقته العلمية.

لقد ورد هذا السؤال على فضيلة الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - وهذا نص السؤال والجواب.

السؤال: كثر الكلام في وسائل الدعوة من حيث كونها توقيفية أم لا، فما القول الفصل في هذه المسألة؟

الجواب:

فأجاب الشيخ ابن عثيمين "القول الفصل أن وسائل الدعوة ما يتوصل به إلى الدعوة وليست توقيفية، لكنه لا يمكن أن تكون الدعوة بشيء محرم كما لو قال قائل: هؤلاء القوم لا يقبلون إلا إذا طلبتم الموسيقى أو المزامير أو ما أشبه ذلك هذه محرمة، وأما غير ذلك فكل وسيلة تؤدي إلى المقصود فإنها مطلوبة"[(١)].

منهج الشيخ وآراؤه في وسائل الدعوة:

لقد اهتم الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى - بوسائل الدعوة، واستخدم ما أمكنه منها للوصول إلى قلوب الناس وعقولهم...

ففي مجال بيانه لأهمية الخطابة، والخطبة يوم الجمعة، وما خص الله به هذا اليوم المبارك، من دعوة الناس فيه إلى ذكر الله تعالى، يقول - رحمه الله تعالى -: (وشرع اجتماعهم فيه تنبيهًا على عظم ما أنعم الله به عليهم واحتيج فيه إلى الخطبة تذكيرًا بالنعمة، وحثًّا على استدامتها بإقامة ما يعود بآلاء الشكر، ولما كان مدار التعظيم هو الصلاة، جعلت وسط النهار، ليتم الاجتماع، وفي مسجد واحد، ليكون أدعى إلى الاجتماع، ونوه به تعالى فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] والخطبة والصلاة مشتملتان على ذكر الله، وقد شرفه الله تعالى، وخصصه بعبادات يختص بها عن غيره، وهو اليوم الذي يستحب أن يتفرغ فيه للعبادة، ويتخلى فيه عن أشغال الدنيا، فهو مع غيره في الأيام، كرمضان في الشهور، وله على سائر الأيام مزية كما لرمضان، وساعة الإجابة فيه كليلة القدر في رمضان ولهذا من صحت له جمعته وسلمت له، صح وسلم له سائر أسبوعه، فهو ميزان الأسبوع، وعيد

(١) دروس الشيخ محمد بن صالح العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية الدرس ٢/ ١٢١.

الأسبوع ويوم اجتماع الناس، وتذكيرهم بالمبدأ والمعاد)[١].

ويقول في موضع آخر مبينًا أهمية هذه الوسيلة في بيان دين الله تعالى وذم الدنيا، والترغيب في الآخرة: (قال شيخ الإسلام وغيره، لا يكفي في الخطبة ذم الدنيا، وذكر الموت، لأنه لا بد من اسم الخطبة عرفًا، بما يحرك القلوب، ويبعث بها إلى الخير اه،...، بل لا بد من الحث على الطاعة، والزجر عن المعصية، والدعوة إلى الله، والتذكير بآلائه)[٢]

وبين - رحمه الله تعالى - الكيفية التي يجب أن يظهر بها الخطيب حتى يكون كلامه مؤثرًا، ومفيدًا للغرض الذي من أجله شرعت الخطبة عامة، وخطبة الجمعة خاصة، فيقول: (ويسن أن يرفع صوته بالخطبة فوق القدر الواجب حسب إمكانه.

ويجوز كلامه، ويفخم أمر الخطبة، ويظهر غاية الغضب والفزع، لحديث: أنه ﷺ كان إذا خطب علا صوته، واشتد غضبه واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم، ولأنه أوقع في النفوس، وأبلغ في الوعظ، ولذلك استحب المنبر، لأنه أبلغ في الإسماع، وأن يعربهما بلا تمطيط)[٣].

وأما الكتب فهي من أكثر الوسائل التي أوصل بها الشيخ دعوته إلى الله تعالى وهي التي جعلته كأنه حي بيننا، وذلك بما انطوت عليه من أنوار الوحي، والنقول عن العلماء الربانيين، ومعالجة الجوانب التي يحتاجها طلاب العلم من مختلف العلوم والفنون، وقد تميزت كتبه - رحمه الله - تعال بمميزات كثيرة كان لها دور كبير في انتشارها ومحبة الناس لها، ومن تلك المميزات:

السهولة في الألفاظ، وذلك بخلو مؤلفاته من التعقيد والجفاف.

---

(١) حاشية الروض المربع لابن قاسم - (٣/ ٣٩٧).

(٢) حاشية الروض المربع لابن قاسم - (٣/ ٤٢٣).

(٣) حاشية الروض المربع لابن قاسم - (٣/ ٤٣٣).

استقصاء المادة العلمية من مصادر متعددة.

قوة الاستدلال والاستشهاد من الكتاب والسنة.

عدم التعصب من أجل الوصول إلى الحقيقة.

التركيز على الأصول لمعرفته بمقاصد الشريعة.

واهتم كذالك الشيخ بكتب الأخرين ليُظهر للأمة المصادر التأليفية الجيدة التي تستحق أن يعتني بها.

المبحث الرابع

الحياة الميدانية في دعوة الشيخ - رحمه الله - من خلال (إمامة المساجد. جباية الزكاة، الإشراف على طبع الكتب، تحقيق التراث)

إن الحياة الميدانية لأي شخص تستشف منها الاهتمامات والركائز الأساسية التي كانت تشغل باله ومدى الجهد الذي كان يبذله في تحقيق أهدافه السامية التي يرنو إليها.

ولقد كان الشيخ عبد الرحمن القاسم - رحمه الله تعالى - من أكثر العلماء دعوة من خلال حياته الميدانية؛ فقد كان قدوة في حياته الشخصية، وداعية في سلوكه اليومي..

ولما كانت إمامة المساجد من أهم المنافذ الدعوية للوصول إلى قلوب المدعوين استخدمها الشيخ - رحمه الله تعالى - لدعوة الناس إلى الدين، وعود أولاده وتلامذته على الاهتمام بإمامة المساجد وإقامة الصلاة [١].

وكان مستحضرًا في ذلك ما كرسه الشارع الإسلامي حول إمامة المساجد فقد قال ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا فى الهجرة سواء فأقدمهم سلمًا ولا يؤمن الرجل الرجل فى سلطانه ولا يقعد فى بيته على تكرمته إلا بإذنه**»[٢].

---

(١) قال لي الشيخ سعد بن عبدالرحمن بن قاسم حفظه الله كان والدي يحرص على تعويدنا الإمامة والصلاة بالناس وقد كان لها الأثر الكبير في حياتنا العلمية والعملية.

(٢) صحيح مسلم حديث رقم ١٥٦٤ - (٢/ ١٣٣).

ويمكن في شيء من الإيجاز تلخيص أحكام الإمامة فيما يلي[١]:

أولاً: الأحق بالإمامة؛ فقد رتب الشارع الأحقية في الإمامة على النحو التالي:

١- الأقرأ لكتاب الله، ويقصد به الأكثر حفظًا والأجود قراءة، والأحسن صوتًا.

٢- الأعلم بالسنة والمقصود به الأكثر حفظًا وفهمًا وعلمًا بسنة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ومعرفة أحكام الدين.

٣- الأكبر سنًّا، وذلك ما إذا تساوى المصلون في تلك الأمور السابقة؛ فإن الأكبر سنًّا أبعد غالبًا عن تسلط الشيطان عليه، وأقرب إلى ألإقبال على الله تعالى.

ثانياً: صاحب البيت في بيته.

الثالث: صاحب السلطان ومن له الأمر، أولى من غيره بالإمامة والدليل حديث عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنًّا ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه**»[٢].

من هذا المنطلق عود الشيخ أولاده على الإمامة وكان يشجعهم عليها..

جباية الزكاة:

لقد كانت جباية الزكاة منفذًا دعويًّا مهمًّا؛ فقد كان الجباة يبينون للناس أحكام الزكاة؛ ويرغبونهم في دفعها عن طيب خاطر..

وكان لذلك أثره في تأدية بقية الأركان الإسلامية؛ وله كذلك أثره في وحدة الأمة، وتقريب الهوة المادية بين فقرائها وأغنيائها..

---

(١) البداية في طريق الهداية - (١/ ٥٨).

(٢) تقدم تخريجه في (ص٢٦٥).

وقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - من أفقه الجباة لهذه الأحكام، ومن أشدهم تمسكًا بالآداب الدعوية من خلال تأدية مهمته تلك..

وقد حدثني: الشيخ عبدالله الغديان بعد أن سألته هل كان يأخذ مقابلًا فقال لا فلم تكن الدنيا تعنيه لا من قريب ولا من بعد.

الإشراف على طبع الكتب:

إن الشيخ - رحمه الله تعالى - كان يمثل القدوة في أعماله؛ وكانت تلك أهم سمات دعوته؛ ففعله كان دعوة، وتعامله مع الآخرين كان حثًّا لهم على أعمال الخير..

ومن هنا كان تعينه مشرفًا على طباعة بعض الكتب أمر في غاية الأهمية من الناحية الدعوية..

وقد أشرف الشيخ - رحمه الله تعالى - على طباعة مجموعة من الكتب من أهمها:

قال الشيخ إبراهيم بن عبيد آل محسن من الكتب التي نشرها ابن قاسم وعمل أسباباً لطبع كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل وكتاب التخويف من النار وأهوال القبور كلاهما للحافظ أبن رجب وكتاب ديوان الشيخ أحمد بن علي بن مشرف مصحوباً بميمية شمس الدين أبن القيم ونونية القحطاني ونبذة من قصيدة أبن عبدالقوي وجعل لهذه مقدمات وترجم لأصحابها [1].

والجدير بالذكر أن إشرافه ذلك كان يعطي تلك الكتب سمة دعوية بينة، وكان يضفي على تلك الكتب الفوائد العلمية المرجوة منها.

---

(١) تذكرة اؤلي النهى والعرفان لأيام الله الواحد الديان/ إبراهيم بن عبيد آل محسن مكتبة الرشد ج ٦ ص ٢٤٥.

تحقيق التراث:

قدمت الكتب التي حققها الشيخ - رحمه الله تعالى -، والجهد الكبير الذي بذله في ذلك..

وقد كان بتحقيقه لذلك التراث الضخم يشارك في النهضة الدعوية التي شملت العالم الإسلامي؛ بل إنه كان يضع له التأصيل العلمي، والغطاء المعرفي..

وكيف تقوم دعوة سلفية بمعزل عن جهود علماء السلف الذين أخرج الشيخ - رحمه الله تعالى - تراثهم، وحفظه من الاندثار.

إن جمع الشيخ - رحمه الله تعالى - وتحقيقه لمجموع الفتاوى لشيخ الإسلام يعتبر مسلكًا دعويًّا فريدًا، ولبنة تنضم إلى غيرها في إطار البناء المعرفي للدعوة السلفية المعاصرة..

الفصل الخامس

خصائص ومقومات جهود
الشيخ ابن قاسم - رحمه الله - في الدعوة إلى الله

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: خصائص دعوة الشيخ (العلمية، العقدية، المنهجية).

المبحث الثاني: مقومات دعوة الشيخ.

(من خلال الجانب التراثي، والجانب العلمي، والجانب الأخلاقي، وجانب الاحتساب والدعوة).

المبحث الثالث: آثار دعوة الشيخ ابن قاسم في حياته و بعد مماته رحمه الله.

المبحث الأول

خصائص دعوة الشيخ: (العلمية، العقدية، المنهجية)

إن معرفة حجم أي دعوة مهما كانت يلزم منه البحث في خصائصها، ومميزاتها حتى يعرف ما تميزت به عن غيرها من الدعوات وما انفردت به من خصوصيات..

ودعوة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى - لم تكن إلا جزءا من الدعوة السلفية التي كانت منتشرة في هذه البلاد المباركة؛ فكانت خصائص دعوته مصطبغة بما كانت تمتاز به الدعوة السلفية من التركيز على العلم، والاهتمام بالعقيدة والتوحيد، وسلوك منهج السلف الصالح في الفهم والاستدلال والاستنباط، وإن كان لدعوته خصوصياتها التي تتميز بها وتعطيها نكهته الخاصة والمهيبة..

من أهم خصائص دعوة الشيخ العلمية:

وإن المطالع لكتب الشيخ - رحمه الله تعالى - ومقالاته وجهده بشكل عام يتضح له بجلاء أنه تميز جهده الدعوي بخصائص طبعت غالب ما قدم - رحمه الله تعالى -.

ومن أهم تلك الخصائص في الجانب العلمي ما يلي:

١ - **تركيزه - رحمه الله تعالى - على الدليل**، فقد تميز ما قدمه من علوم - رحمه الله تعالى - بالاعتناء بالدليل الشرعي، والاهتمام به، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالعقيدة أو الفقه أو غيرهما:

يقول - رحمه الله تعالى -: (والوضوء من أعظم شرائط الصلاة والدليل على

وجوبه وشرطيته الكتاب والسنة والإجماع)[١].

ثم بدأ يعدد الأدلة مقدمًا الأهم فالمهم...

وهكذا في بقية المسائل الفقهية التي تعرض لها كنواقض الوضوء[٢] وكأحكام الغسل[٣] وغيرهما.

فتراه استدل على هذه المسائل الفقهية بالأصول المجمع عليها، وهذا دليل واضح على اعتناء الشيخ - رحمه الله تعالى - في دعوته العلمية بأهم خصائص الدعوة السلفية وهو الاعتماد والاهتمام بالدليل؛ وبدلًا من الاستدلال بأقوال أهل الفروع، والاكتفاء بإرجاع الفرع إلى أصول الإمام كما هو عادة كثير من علماء المذاهب[٤] نلاحظ أن الشيخ - رحمه الله تعالى - يركز على إبراز نقطة مهمة ألا وهي أن المستدل به إنما هو الكتاب والسنة والإجماع، فلا يجب ما لم يوجبوه، ولا يشترط ما لم يشترطوه...[٥].

وعند عرض الشيخ - رحمه الله تعالى - للأدلة في المسألة فإنه كثيرًا ما يناقش أقوال أهل العلم فيها، ويبين ما يعترض به على استدلالاتهم، وربما يتبع ذلك بترجيح من عنده أو اعتراض على بعض الأدلة في المسألة[٦].

ولا يقتصر اهتمام الشيخ - رحمه الله تعالى - بالدليل على الفقه وحده بل إن

---

(١) الإحكام شرح أصول الأحكام ج١ ص ٤٩.

(٢) الإحكام ج١ ص٦٩.

(٣) الإحكام ج١ ص ٨١.

(٤) ويسمى مثل هذا في الاصطلاح بالمجتهد المقيد، وهو الذي يستطيع إلحاق الفرع بأصول إمامه التي بنى عليها مذهبه.

(٥) ولا يعني ذلك إغفال أو إهمال أقوال أهل العلم، وإنما يعني أن كلامهم مهم حينما يكون في فهمهم للأدلة الشرعية، أما حينما يكون رأيا محضا فإنه يصير محجا بغيره، ولا يصلح للاستدلال استقلالا.

(٦) يراجع الإحكام شرح أصول الأحكام ج١ ص٤٤٢-٤٤٤.

أنصع وأوضح مظاهر ذلك الاهتمام جاء في العقيدة ومتعلقاتها..

يقول - رحمه الله تعالى -: (فإن أصحاب الأثر قد اقتدوا فيما اعتقدوه بالنبي ﷺ، واقتدوا من بعده بصحبه الذين صحبوه، فاقنع أي: ارض بهذا البيان المسند إلى الكتاب والسنة، والصحابة، والتابعين، وكفى بهؤلاء مستندًا والسلامة فيما نحوه، وأصلوه، لا فيما زخرفه المحرفون)[١].

ومما يبين اهتمامه بالدليل من الكتاب والسنة أنه - رحمه الله تعالى - نص في مقدمة كتابه الإحكام على أنهما هما المرجع والأساس..

يقول عليه رحمة الله تعالى: (الحمد لله الذي شرح صدر من اجتباه لمعرفة الأحكام.

وأبدع الإحكام أحمده سبحانه على ما أولاه من جزيل الفضل والإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. الأحد الصمد الملك العلام ذو الجلال والإكرام أبان الحجة وأوضح المحجة ورفع أعلام السنة بالكتاب والسنة، ووفيًّا بالأحكام)[٢].

ويقول: (أما بعد: فإن أجل ما اشتغل به المشتغلون وأعلى ما شمر إليه العاملون وأشرف ما تنافس فيه المتنافسون هو معرفة الكتاب والسنة فهما النعمة المسداة والرحمة المهداة نصبهما الله لنا أعلى علم للهداية وأوضح محجة للعناية وهما ينبوع الرسالة وأساس الملة والديانة وأعظم العلوم منزلة وأرفعها قدرًا وأقربها فهمًا وأغزرها علمًا وأسهلها عبارة، وأوضحها دليلاً)[٣].

ثم إنه عند الاختلاف والتنازع فإنه يجب الرجوع إلى الكتاب والسنة لا إلى غيرهما مهما كان..

---

(١) حاشاية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية - (ص ٢٢).

(٢) الإحكام شرح أصول الأحكام ج١ ص ٥.

(٣) الإحكام شرح أصول الأحكام ج١ ص ٥.

والتحاكم إليهما من شروط الإيمان، وتركه من أصول الكفر.

يقول الشيخ مبينًا هذا المعنى: (فمن الناس من يحكم بين الخصمين برأيه وهواه، ومنهم من يتبع في ذلك سلفه، ويحكم بما كانوا يحكمون به، ومنهم من يحكم بالقوانين اليونانية، وهذا كفر إذا استقر وغلب على من تصدى لذلك ممن يرجع الناس إليه إذا اختلفوا، وقد يلتحق بهذا بعض المقلدة لمن لم يسغ تقليده، فيعتمد على قول من قلده، ويدع ما دل عليه الكتاب والسنة)[١].

ويبين هذا المعنى في موضع آخر فيقول تنزلت عليه شآبيب الرحمة: (ترجم المصنف -رحمه الله- بهذه الآية[٢]، الدالة على كفر من أراد التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وإن كان مع ذلك يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله والمرسلين قبله، كما ذكر ذلك في سبب نزولها أنها نزلت في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد، وذلك يقول: بيني وبينك كعب بن الأشرف[٣]، كما ذكره المصنف. أو أنها نزلت في جماعة من المنافقين ممن أظهر الإسلام وأبطن الكفر، أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية أو غير ذلك، والآية أعم من ذلك كله، فحيث كان التوحيد هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله مشتملًا على الإيمان بالرسول ﷺ مستلزمًا له، نبه

---

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم - (ص ٤٨).

(٢) يقصد قوله تعالى: (ألم إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به..) النساء: ٦٠.

(٣) كعب بن الاشرف الطائي، من بني نبهان: شاعر كانت أمه من بني النضير فدان باليهودية، وكان سيدا في أخواله يقيم في حصن له قريب من المدينة، ما زالت بقاياه إلى اليوم، يبيع فيه التمر والطعام. أدرك الاسلام، ولم يسلم، وأكثر من هجو النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتله، فانطلق إليه خمسة من الانصار، فقتلوه في ظاهر حصنه، وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة سنة ٦٢٤م. انظر: الأعلام للزركلي - (٥/ ٢٢٥).

المصنف على ما تضمنه التوحيد واستلزمه، من تحكيم الرسول ﷺ في موارد النزاع؛ إذ هذا هو مقتضى الشهادة ولازمها، فمن عرفها لا بد له من الانقياد لحكم الله، والتسليم لأمره الذي جاء على يد رسوله ﷺ، فمن شهد أن لا إله إلا الله، ثم عدل إلى تحكيم غير الرسول ﷺ في موارد النزاع، فقد كذب في شهادته. ومعنى الآية أن الله أنكر على من يدعي الإيمان بما أنزله الله على رسوله وعلى الأنبياء قبله، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فإن قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] استفهام إنكار وتبكيت، وذم لمن عدل عن الكتاب والسنة، ورغب فيما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ههنا، كما تقدم من قول ابن القيم: إنه ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع،[1] فكل من حاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد حاكم إلى الطاغوت الذي أمر الله عباده المؤمنين أن يكفروا به، أي بما جاءهم به الطاغوت الذي يتحاكمون إليه؛ فإن التحاكم ليس إلا إلى كتاب الله وسنة رسوله، ومن كان يحكم بهما. فمن حاكم إلى غيرهما فقد تجاوز به حده، وخرج عما شرعه الله ورسوله، وكذلك من عبد شيئًا دون الله فإنما عبد الطاغوت، فهو الذي دعا إلى كل باطل وزينه لمن فعله، وهذا ينافي التوحيد؛ فإن التوحيد هو الكفر بكل طاغوت عبده العابدون من دون الله. فمن دعا إلى تحكيم غير الله ورسوله فقد ترك ما جاء به الرسول، ورغب عنه، وجعله شريكًا لله في الطاعة، وخالف ما جاء به الرسول ﷺ فيما أمر الله به في قوله: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية. وفي آية الباب أنكر الله

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين - (١/ ٥٣).

زعمهم الإيمان وأكذبهم؛ لما في ضمن "يزعمون" من نفي إيمانهم؛ فإن "يزعمون" إنما يقال غالبًا لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب)[١].

فقد أوضح أوضح الشيخ - رحمه الله تعالى - في الفقرات السابقة نقاطًا مهمة تبين أهم خصائص دعوته العلمية باختصار وهي:

أ - أن الكتاب والسنة قد رفع الله عز وجل بهما من علمهما وعمل بهما، قال ﷺ: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**»[٢]، وهذا يدعو طالب العلم إلى الاهتمام بهما ودراستهما والتفقه في أحكامهما.

ب - أن الكتاب والسنة قد وفيًّا بالأحكام، فلا يحتاجان إلى غيرهما، وغيرهما يحتاج لهما؛ لأنهما مناط الاستدلال، وعليهما الاعتماد في بيان الحلال والحرام.

ج - أنه عند الاختلاف يجب الرجوع إلى الكتاب والسنة والتحاكم إليهما فما أقروه ودلوا عليه فهو الحق، وما ردوه فهو الباطل.

ثم أوضح عليه رحمة الله تعالى أنه لا سبيل إلى معرفة الله تعالى، والفوز بجنته ورضاه إلا بالاشتغال بهذين الأصلين علمًا وعملًا بما دلا عليه، وحكمًا وتحاكماً..

يقول - رحمه الله تعالى -: (وقال ﷺ: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي**»[٣]، فهما أصل الأصول وعمدة الملة والطريقة الحقة بل لا طريق إلى الله والجنة إلا بالكتاب والسنة فمن أخذ بهما فاز كل الفوز. وظفر كل الظفر)[٤].

---

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم - ص٤٠.

(٢) صحيح مسلم: حديث رقم ٨١٧، ١/ ٥٥٩.

(٣) سنن الدارقطني ١٤٩(٤/ ٢٤٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم ٢٩٣٧ ١/ ٥٦٦.

(٤) الإحكام ج١ ص ٨.

ثم بين - رحمه الله تعالى - أن الاشتغال بغير هذين الأصلين ليس من الهدي السليم، ولا من العمل الرشيد..

يقول عليه رحمة الله تعالى: (ومع ذلك سلك الكثير سواهما - يعني الكتاب والسنة - سبيلاً، وقطعوا أعمارهم فيما لا يتخذ معتمدًا ولا تأصيلاً)[١].

ونتيجة الإعراض عن هذين الأصلين هي الخراب والدمار في الدنيا والآخرة..

يقول - رحمه الله تعالى -: (ومن أعرض عنهما فإن له معيشة ضنكًا ويحشر يوم القيامة أعمى كما عمي عنهما. وأرباب النهاية في علو الهمة لا يرضون بدون بعثها في علم الكتاب والسنة. فهما حجة الرب على العباد وعصمة العباد في المعاش والمعاد)[٢].

٢ - الإجماع:

وأما الإجماع فهو الأصل الثالث للأحكام، ولذا اهتم به الشيخ - رحمه الله تعالى - وبينه وأبرز دوره في الاستدلال للأحكام الشرعية، وأوضح خصائصه..

يقول عليه رحمة الله تعالى: (والإجماع لغة العزم والاتفاق[٣]. واصطلاحًا اتفاق المجتهدين من هذه الأمة في عصر على أمر. قال وهو أحد الأصول الثلاثة. وينبغي للمجتهد أن ينظر إليه أول شيء في كل مسألة فإن وجده لم يحتج إلى النظر في سواه لكونه دليلاً قاطعًا ثابتًا في نفس الأمر لا يقبل نسخًا ولا تأويلاً)[٤].

فتراه بين ما يتميز به الإجماع عن غيره من الأدلة؛ إذ أنه لا ينسخ ولا ينسخ،

---

(١) الإحكام ج١ ص ٥.
(٢) الإحكام ج١ ص ١١.
(٣) راجع: المحيط في اللغة - (١/ ٢٧٢).
(٤) الإحكام ١/ ٢٠.

ولا يقبل تأويلًا وصرفًا عن الظاهر بخلاف بعض الأدلة الأخرى..

ومن هنا فإن اعتناء طالب العلم بمواطن الإجماع أمر أساسي في طلبه للعلم، ويختصر عليه كثيرًا من الجهد والعناء، وهذا كله إذا ثبت الإجماع بشكل قطعي..

٣ - اهتمامه بفهم سلف الأمة:

إذا كان الكتاب والسنة هما الأصلان لكل الأحكام الشرعية، والاعتناء بهما هو ديدن من يريد الفلاح في الدنيا والأخرة، فلا بد من وسيلة تبين بعض ما يشكل من ألفاظهما، وتوضح بعض ما يلتبس من مضامينهما...

ولا شك أن أهم وسيلة لذلك هو فهم سلف هذه الأمة المشهود لهم بالخير، وأولهم وأولاهم بالفهم الصحيح، والنهج القويم هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم..

يقول الشيخ عليه رحمة الله تعالى: (فإن الصحابة رضي الله عنهم، قد شاهدوا المختار من سائر الأنام، محمدًا عليه أفضل الصلاة والسلام، وصحبوه، وعاينوا في صحبتهم له الأسرار القرآنية، وعلموا التنزيل وأسبابه، وعاينوا الأنوار المشرقة، من الكتاب والسنة؛ فهم أسعد الأمة بالفضل، وإصابة الصواب؛ وأجدر بفقه السنة والكتاب.

وجاهدوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، حتى ظهر دين الإسلام، الذي به الهدى والدلالة، والفوز والفلاح، وقد علا على سائر الأديان؛ فسائر الأديان غيره منسوخة، وكل عبادة لم يأت بها فباطل)[1].

ويقول في موضع آخر: (وما ذكرته عن الصحابة ﷺ فهو إما إجماع أو قول الجمهور مع أنه لم يزل أهل العلم يحتجون بفتاويهم وأقوالهم في كل عصر

(١) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية - (ص ١١٦).

ومصر لا ينكره منكر. وحكى بعض المالكية الإجماع على جواز الاحتجاج بأقوالهم)[١].

ويوضح - رحمه الله تعالى - أن من منهجه الاستدلال بأقوال السلف فيقول: (وجمعت مختصرًا لطيفًا انتقيته من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الأحكام الفقهية سهل المنال واضح المنوال وهذا شرح له موجز مقتبس من كلام الأئمة الأعلام.

يوضح معانيه. ويؤيد مبانيه. أردفته بآيات وأخبار. وبإجماع الأئمة الأخيار أو قول جمهور السلف الأطهار وبترجيح شيخ الإسلام وغيره من فحول أماثل الأحبار. يغنيك في وقت قليل عن مطالعة عدة من الأسفار)[٢].

وأما استدلاله بأقوال السلف وفهمهم للكتاب والسنة فهو كثير منتشر في ثنايا كتبه - رحمه الله تعالى -[٣].

٤ - اهتمامه بعلوم الآلة كاللغة العربية وعلم أصول الفقه وعلوم الحديث:

فقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - مهتمًّا بعلوم الآية كاللغة العربية وعلومها، وكعلم الأصول، وعلوم الحديث وغيرها.

وقد بين الشيخ - رحمه الله تعالى - مكانة اللغة العربية في الدين الإسلامي، عند كلامه على ما يقرأ المصلي في صلاته، فقال عليه رحمة الله تعالى: (ويحرم أن يترجم عنه - أي القرآن - بلغة أخرى لقوله قرآنًا عربيًا وقوله بلسان عربي ولأنه معجزة باللفظ والمعنى. وقال لا يقرأ القرآن بغير العربية سواء قدر عليها أو لم يقدر عند الجمهور وهو الصواب الذي لا ريب فيه. ولا يدعى الله ويذكر بغير العربية. واللسان العربي شعار الإسلام وأهله. واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها

---

(١) الإحكام ج١ ص ١٤.

(٢) الإحكام ج١ ض٦.

(٣) يراجع مثلا: الإحكام ١/ ١٨٢ و١/ ١٨٧.

يتميزون)[١].

وكثيرًا ما يشير - رحمه الله تعالى - إلى بعض القواعد الأصولية، مستدلًا بها على الأحكام الشرعية مما يدل على سعة اطلاعه في هذا الجانب، واهتمامه بدعوة طلاب العلم إلى حفظه وفهمه والعمل به..

ومن ذلك على سبيل المثال قوله - رحمه الله تعالى -: (وبينت السنة ما جاء مجملاً [٢] في القرآن العزيز أتم بيان. وصح عنه ﷺ أنه قال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[٣] فقوله وفعله بيان للواجب وبيان الواجب واجب كما تقرر في الأصول)[٤].

٥ – إبرازه لجهود علماء السلف:

وخاصة عند عرضه للأقوال العقدية والفقهية، فإنه كثيرًا ما يذكر مذاهب فقهاء الأمصار المنقولة عنهم، ثم يتوسع بذكر أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - ويكثر من عرضها[٥].

وكذلك ابن القيم عليه رحمة الله تعالى[٦].

ويبين دور العلماء بشكل عالم، وأنهم هم ورثة الأنبياء، وحملة هذا الدين فيقول عليه رحمة الله تعالى: (قيض الله سبحانه لحفظ كتابه وسنة نبيه ﷺ وتمييز

---

(١) الإحكام ج١ ص٢٠٠.

(٢) المجمل في اللغة: المبهم، من أجمل الأمر: إذا أبهم. وقيل: هو المجموع، من أجمل الحساب: إذا جُمِع وجُعِل جملة واحدة. وقيل: هو المتحصل من أجمل الشيء إذا حصله. وفي الاصطلاح: ما له دلالة على أحد معنيين، لا مزية لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه. وقيل: هو ما أفاد شيئًا من جملة أشياء، وهو متعين في نفسه، واللفظ لا يعينه. انظر: إرشاد الفحول (٢/ ١٢).

(٣) صحيح البخاري حديث رقم ٦٠٠٨ - (١٥/ ١٩١).

(٤) الإحكام ج١ ص١٩٩.

(٥) يراجع الإحكام شرح أصول الأحكام ج١ ص٧٢.

(٦) الإحكام شرح أصول الأحكام ج١ ص ١٧١.

الصحيح من السقيم، حتى استقر الثابت المعمول به فحولًا جهابذة أئمة للمسلمين، ورثة لسيد المرسلين، وسائط ووسائل بين الناس وبين الرسول ﷺ يبلغون الناس ما قاله، ويفهمونهم مراده، يقولون هذا عهده إلينا، ونحن عهدناه إليكم، وهكذا يتلقاه خالف عن سالف، قال عليه الصلاة والسلام «يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[1] فهموا عن الله ورسوله، فاستنبطوا أحكامًا فهموا معانيها من الكتاب والسنة، تارة من نفس القول، وتارة من معناه، وتارة من علة الحكم حتى نزلوا الوقائع التي لم تذكر على ما ذكر، وسهلوا لمن جاء بعدهم طريق ذلك، وهكذا جرى الأمر في كل علم توقف فهم الشريعة عليه، واحتيج في إيضاحها إليه، وهو عين الحفظ الذي تضمنته الأدلة، وكثيرًا ما يتبين الحق فيكون فهمهم من النصوص هو الذي تشهد العقول والفطر بأنه هو العلم النافع، ومن تمام العصمة أن جعل تعالى عددًا من العلماء إذا أخطأ الواحد في شيء كان الآخر قد أصاب فيه، حتى لا يضيع الحق، وجاء بعدهم من تعقب أقوالهم، فبين ما كان خطأ عنده، كل ذلك حفظ لهذا الدين)[2].

من أهم خصائص دعوة الشيخ العقدية:

إن جل مؤلفات الشيخ - رحمه الله تعالى - كانت حول العقيدة، وبيان أهميتها،

---

(١)أخرجه ابن حبان في الثقات (٤/ ١٠)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ٥٣)، وابن عبد البر في التمهيد (١/ ٥٩) عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري مرسلاً، وله شواهد كثيرة موصولة، وصححه أحمد كما في شرف أصحاب الحديث (ص ٢٩)، وقال العراقي في التقييد والإيضاح (ص ١٣٩): "وقد رُوي هذا الحديث متصلاً من رواية جماعة من الصحابة: علي بن أبي طالب وابن عمر وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر بن سمرة وأبي أمامة، وكلها ضعيفة لا يثبت منها شيء، وليس فيها شيء يقوّي المرسل المذكور".

(٢)حاشية الروض المربع لابن قاسم - (١/ ١١).

وذلك يدل على اهتمامه - رحمه الله تعالى - بالدعوة إلى التوحيد، والعقيدة الصحيحة الصافية من كل شائبة شرك، والملتزمة في أصولها وفروعها بالكتاب والسنة..

يقول - رحمه الله تعالى -: ("أشهد أن لا إله إلا الله" أي أجزم واقطع أن لا معبود بحق إلا الله وحده فالشهادة خبر قاطع والقطع من فعل القلب واللسان مخبر بذلك. وإن كان ابتداء هذه الكلمة العظيمة نفيًا فالمراد به الإثبات[١] ونهاية التحقيق إثبات الألوهية الحقة لله تعالى وحده ونفيها عن كل ما سواه فهي كلمة التوحيد والعروة الوثقى وكلمة التقوى والصراط المستقيم ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ولا يصح لعبد دين إلا بها. والمراد معرفة معناها والعمل بمقتضاها لا مجرد قولها باللسان.

"وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله" بصدق ويقين وذلك يقتضي متابعته ﷺ وأتى بهاتين الصفتين رفعًا للإفراط والتفريط)[٢]

ومما يدل على اعتناء الشيخ - رحمه الله تعالى - بالعقيدة وعلم التوحيد، والدعوة إليه اختياره للكتب التي لا جدال حول سنيتها ككتب الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، فقام بشرحها ووضع الحواشي عليها تسهيلًا على طلاب العلم، وبيانًا لما أشكل من إشارات الشيخ عليه رحمة الله تعالى.

ويبين في موضع آخر أهمية التوحيد، وضرورة أن يكون هو بداية نهار المسلم وخاتمة ليله..

يقول - رحمه الله تعالى -: (ولابن ماجه وكان يقول "**نعم السورتان**[٣] **يقرأ**

---

(١) لأن نفي الألوهية عن كل شيء دون إثباتها لله تعالى كفر محض، فلا بد من نفيها عن كل معبود، وإثباتها لله تعالى وحده.

(٢) الإحكام ج١ ص٢٣٢-٢٣٣.

(٣) يقصد الكافرون والإخلاص.

بهما"[١] ذلك لما جمعتاه من توحيد العلم والعمل. وتوحيد المعرفة والإرادة وإيجاب عبادته وحده. والتبري من عبادة ما سواه. وبيان ما يجب لله من صفات الكمال. وتنزيهه عن النقائص والأمثال.

ولهذا كان يقرأ بهما في ركعتي الفجر وفي الوتر اللتين هما فاتحة العمل وخاتمته ليكون مبتدأ النهار توحيد. وخاتمة الليل توحيد.)[٢]

وكان - رحمه الله تعالى - يشبع الجوانب العقدية التي يناقشها بحثًا وتدقيقاً، وتعليقاً، حتى لا يرتاب فيها من له أدنى عقل، وأقل إدراك..

ومن ذلك قوله - رحمه الله تعالى - مبينًا عدم جواز تعلق قلب المؤمن بغير الله عز وجل: (أمر الله نبيه ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ﴾ أي أخبروني عن الذين تدعون من دون الله، وتسألونهم من الأنداد والآلهة: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ مرض أو فقر أو بلاء أو شدة: ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ أي أنتم تعلمون أنهم لا يقدرون على ذلك أصلاً، وتعترفون بذلك، ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ صحة وعافية وخير: ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ أي أنتم تعلمون أنهم لا يستطيعون شيئًا من الأمر، وتعترفون أنهم لا يقدرون على شيء من ذلك، فإذا علمتم أنهم لا يقدرون على ذلك فلم تعلقون عليهم من دون الله، ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي الله كافي من توكل عليه، والتوكل التفويض والاعتماد، فإذا كانت آلهتهم التي يدعون من دون الله لا قدرة لها على كشف ضر أراده الله بعبده، أو إمساك رحمة أنزلها على عبده، فيلزمهم بذلك أن يكون الله سبحانه وتعالى هو معبودهم وحده المفوض إليه جميع أمورهم، لزوما لا محيد لهم عنه.

---

(١) سنن ابن ماجه حديث رقم ١١٥٠ - (١/ ٣٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم ٦٧٧٣ /١ ١١٤٦.

(٢) الإحكام ج١ ص٢٨٥-٢٨٦.

وهذا في القرآن كثير يقيم تعالى الحجة على المشركين بما يبطل شركهم بالله، وتسويتهم غيره به في العبادة، بضرب الأمثال وغير ذلك مما يعلمون به أن ذلك لله وحده، ويقرون به على ما يجحدونه من عبادته وحده، هذا وهم إنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ لا على أنهم يكشفون الضر، ويجيبون دعاء المضطر، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾. قال مقاتل: سألهم النبي ﷺ فسكتوا؛ لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها، وإذا كان ذلك كذلك بطلت عبادتهم الآلهة مع الله، وإذا بطلت فلبس الحلقة والخيط ونحوهما كذلك. والمصنف -رحمه الله- استدل بالآية النازلة في الأكبر على الأصغر، كما استدل بها ابن عباس وحذيفة وغيرهما، وهذه الآية وأمثالها تبطل تعلق القلب بغير الله في جلب نفع، أو دفع ضر وأن ذلك لا يكون إلا بالله وحده، وأن جميع أنواع العبادة لا يصلح منها شيء لغير الله، كما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وكذلك لا يصلح شيء من أنواع التعلقات بغير الله عز وجل)[1].

فتراه يبين المبين ويوضح الواضح حتى يزيل كل إشكال ورين وريب، وخاصة في المسائل التي تعم بها البلوى كدعاء غير الله عز وجل، والتعلق بالمخلوقين والاستغاثة بهم، والتوسل بهم، ونحو ذلك..

ولا يغفل في كل ذلك عن اتباع المنهج السني المعتمد على الأدلة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ..

ثم إنه - رحمه الله تعالى - لا يعتد بالمبتدعة من الصوفية وغيرهم؛ فتجده يستدل بالإجماع مع أنهم مخالفون في هذا الأصل العظيم فهم يرون التعلق بالمخلوقين من الأنبياء والأولياء وغيرهم..

---

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم - (ص ٨).

ولكن الإجماع المعتبر إنما هو إجماع أهل الحق، ولا مكان فيه لأهل الباطل ودعاة البدعة..

إن منهج الدعوة إلى الله تعالى أمر توقيفي لأنه عبادة والعبادات توقيفية لا مجال للرأي فيها من حيث الجملة، وإن ساغ الاجتهاد في بعض مكملاتها ووسائلها ونحو ذلك كما بينت سابقًا.

فابتداع منهج جديد في الدعوة إلى الله تعالى لا يستند في أساساته وأركانه إلى مناهج الأنبياء، ولا يتخذ من القرآن الكريم دليلًا ينير له طريق الدعوة يعتبر مسلكًا مشيناً، وابتداعًا في الدين، وشرعًا لما لم يأذن الله به..

وإن من منهج الدعوة الذي أرشد إليه كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن يكثر الداعية من الحديث عن أمور العقيدة، والتوحيد، ويتوسع في النهي عن الشرك ووسائله وذرائعه..

وتلك هي طريقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد كانوا يبدؤون أقوامهم بالدعوة إلى التوحيد، والنذارة من الشرك كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وإن من نظر في سير الدعاة المخلصين على مر العصور من العلماء والصلحاء ليجد أنهم كانوا يركزون على هذا الجانب، وخاصة أن أغلب الانحرافات في الأمم إنما تقع في جانب التوحيد، والتقصير في حق الله تعالى، وإن اتخذ ذلك الانحراف أشكالًا مختلفة قد يظنها البعض في بعض الحالات انحرافًا اقتصاديًا كما هو الحال في قوم شعيب أو انحرافًا اجتماعيًا كما هو الحال في قوم لوط...

ومن هنا كان الشيخ - رحمه الله تعالى - يسلك في دعوته إلى الله عز وجل نفس المسلك؛ فكان التوحيد شغله الشاغل، ومن ثم انطلق منه إلى بقية العلوم الأخرى، وهذا يدلنا على عنصر دعوته المنهجية الثاني ألا وهو مسلك التدرج

والبدء بالأهم فالمهم،..

يقول - رحمه الله تعالى - عند كلامه على أصناف مستحقي الزكاة: (لِلْفُقَرَاءِ) بدأ تعالى بهم لشدة حاجاتهم ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم)[١].

وقال عليه رحمة الله تعالى: ("وابدأ" أيها المتصدق "بمن تعول" أي تمون ممن تلزمك نفقته فقدمه على التصدق على غيرهم. تقديمًا للواجب على المندوب وفيه البداءة بالأهم فالأهم)[٢].

وكذلك كان من منهج الشيخ - رحمه الله تعالى - في دعوته إلى الله عز وجل اعتناؤه بالتوضيح والتمثيل والبعد عن الرموز والطلاسم..

ولذا فإنك تجد حواشيه موضوعة على كتب صغيرة لها أهميتها ومكانتها كحاشية كتاب التوحيد، والأصول الثلاثة وغيرها؛ فيشبعها بحثاً، وتمثيلاً، وشرحًا حتى لا تكاد وأنت تقرؤها تجد استشكالًا أو سؤالًا إلا وأجيب عليه...

منهج الاستنباط:

فقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - يرجح ويستنبط، معتمدًا في ذلك على أساسي الاستنباط المعروفين عند أهل العلم، وهما:

أ - معرفة النص الشرعي "محل استنباط الحكم" فيعرض الأدلة الشرعية في المسألة، ثم يثني بأقوال أهل العلم وفهمهم لتلك الأدلة.

ب - معرفة الواقع العملي "محل تنزيل الأحكام" فيبين الصورة التي هي محل تنزيل الحكم الشرعي، أو محل الترجيح.

ومن ذلك على سبيل المثال قوله - رحمه الله تعالى - مرجحًا أن ساعة الإجابة هي آخر ساعة من يوم الجمعة: (وإذا صادف يوم الجعة يوم عرفة اجتمع

---

(١) الإحكام ج٢ ص١٨٢.

(٢) الإحكام ج٢ ص٢٠٨.

فضيلتان وفي آخر الجمعة ساعة الإجابة على الراجح فيكون له مزية على سائر الأيام)[١].

وقال - رحمه الله تعالى -: (فإذا جازت المراهنة على آلات الجهاد ففي العلم أولى بالجواز. هذا القول هو الراجح. فإن القصد الأول إقامته بالحجة والسيف منفذ)[٢].

الصراحة، وعدم المجاملة في أمور الدين:

وكان من منهج الشيخ - رحمه الله تعالى -، ومن أخص خصائص دعوته المنهجية صرامته وصراحته في الحق، مع حسن الأمر ورقة الإنكار..

يقول الشيخ عبد الله بن جبرين - رحمه الله تعالى - عن الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في مقدمة (حاشية الروض المربع): ".... وكان - رحمه الله - غيوراً على حرمات الله آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر يصدق بالحق، ولا يخاف في الله لومة لائم..."[٣].

وكان - رحمه الله تعالى - يناصح الملوك، والعلماء، ويوضح لهم الحق بأدلته، ولا تحمله مكانتهم السامية على مجاملتهم في الحق، كما لا يترك بعض أخطائهم تغطي على محاسنهم الأخرى..

يقول الشيخ عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى: (وقد كان - رحمه الله - ناصحاً لأئمة المسلمين وعامتهم. أما الأئمة والعلماء فكان متواصياً معهم على الحق والصبر، وكان - رحمه الله - يرسل نصائح للملك سعود ثم الملك فيصل بخطابات يسلمها إليهم بوساطة أحد المقربين منه.

* وذكر العم الشيخ سعد أن الجد - رحمه الله - كان يتواصل مع الملوك

---

(١) الإحكام ج٢ ص٤٧١.

(٢) الإحكام ج٣ ص٢٨٩.

(٣) حاشية الروض المربع ج١ ص ٤.

بالنصيحة، وذكر أنه في أواخر سنوات عمره في عام ٩٠ أو ١٣٩١هـ كتب نصيحة للملك فيصل من صفحتين، وختمها بقوله: "وأرجو أن تكون معذرة إلى الله - عز وجل -)[1].

ومن خصائص دعوة الشيخ المنهجية أنه لم يترك وسيلة من وسائل الدعوة إلا استخدمها للوصول إلى قلوب المسلمين، وعقولهم، وإقناعهم بسلوك الطري السوي المستقيم المستند إلى الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة..

وقد قدمت استخدامه للكتب، والدروس والمواعظ، وأشبعت ذلك دراسة في الفصول السابقة..

وحتى وسيلة الرسائل الشخصية فإن الشيخ - رحمه الله تعالى - استخدمها للمناصحة والدعوة إلى الله تعالى، وتذكير العلماء وطلبة العلم بأن هذه الوسيلة قد تصل إلى الهدف المنشود من النصح مع الالتزام بآداب الدعوة، والأمر والنهي..

ومن أكبر الأمثلة التي توضح لنا هذا المسلك رسالته التي بعث بها إلى الشيخ حمد الجاسر، وأولى الناس بنقلها والتعليق عليها الشيخ عبد الملك بن قاسم الذي خبرها وشرحها وعلق عليها بفوائد جمة..

يقول حفظه الله تعالى: (حفلت رسائل العلماء قديماً وحديثاً بعناية خاصة واهتمام بالغ لجزالة ألفاظها وجمال معانيها؛ وصدق النصيحة بين حروفها.

وقد ترجمت للجد الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ـ رحمه الله ـ في مجلد من إصدارات دار القاسم، وبين طيات الترجمة رسالة كتبها الجد ـ رحمه الله ـ إلى الشيخ حمد الجاسر عندما كان مدرساً في ينبع عام ١٣٦٥هـ. و عمره حينذاك (٢٩) عاماً وعمر الجد (٣٨) عاماً، ومع أن الجد يكبره سناً وقدراً فقد طبع له

---

(١) عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته ص ٢٧٣.

قبل هذا التاريخ بأمر من الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» والتي تقع في ستة عشر مجلداً، وبدأ ايضاً في جمع مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية التي طبعت فيما بعد في (٣٧) مجلداً، رغم منزلته ـ رحمه الله ـ إلا أنه أرسل للشيخ حمد نصيحة مشفق فيها التلطف والتودد وجميل العبارة. وامتازت رسائل الجد عموماً بحسن الأدب تلطفاً وبراعة الأسلوب كتابة وبراءة الذمة ديانة.

وكان الجد ـ رحمه الله ـ يحب الشيخ حمد الجاسر في شبابه وبداية طلبه للعلم الشرعي، وله منزلة في قلبه حين بدأ في الطلب لما توسم فيه من النجابة والنباهة.

وقد ذكر الوالد ـ رحمه الله ـ عن الجد قوله: لا أرى أحداً يخلف الشيخ محمد بن إبراهيم في مكانه إلا هذا الفتى ـ يعني الشيخ حمد الجاسر ـ.

وكان لي لقاء مع الشيخ حمد الجاسر أواخر عام ١٤١٨هـ عندما بدأت في إعداد رسالة الدكتوراه، وذكر لي بحضور ثلة من طلبة العلم والأدب قوله: إن جدكم الشيخ عبدالرحمن بن قاسم هو أستاذي في التاريخ، وأثنى عليه كثيراً خاصة في فترة انقطاع الناس عنه، وأنه كان يرسل له من بواكير مزرعته من الرطب والعنب. وقال أنه: من أرق من عرفت من العلماء نفساً وألطفهم خلقاً وأسخاهم يداً.

وقد تحدث الشيخ حمد في ذلك المجلس قرابة الثلاث ساعات وعندما استأذنته في الانصراف تلطف كثيراً، قال: يا بني إن الإنسان إذا كبر سنه ورق عظمه تموت فيه جميع الشهوات إلا شهوة الحديث فاعذرني يا بُني.

وأترك القارئ يجول بين ثنايا عبارات الرسالة المؤرخة في ٢٦/ ٣/ ١٣٦٥هـ. و نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن قاسم إلى حضرة الأديب الصديق الأخ الشفيق حمد الجاسر المدُرك بلا تعاسر ألهمه الله رشده وتقواه آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأزكى وأشرف تحياته على الدوام، مُحبك يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو على جزيل نعمه.

وكتابكم الكريم وصل وسر الخاطر حيث أنبأ عن صحتك وسلامتك بعد انقطاع وحرقة من المكاتبة والفرقة.

وكنتُ في هذا العام مشتاقاً للقائك محزوناً بفراقك، وزاد في لوعة ما ذكرته من همك للتخصص مع البعثات لطلب الفنون، ولم أدر ماذا يتعلمون، وإلى ما بعده تكونون، وإلى أين تذهبون، ومساكنة الكفار ما تخفاك وانظر ما نحن فيه في بلاد الإسلام بين أهل المعاصي، لا ننكر ولا نفارق فكيف بالكفرة؟ والعاقل لا يأمن الفتنة، واذكر قصة أهل الهجرة وتأثير الخلطة، وقد خولك الله من فنون العلم والبلاغة والفصاحة ما لم يدركه أحد، وقد كنت وددت أن يسعد بك قطر من أقطار نجد، ولو اطلعوا على ما خولك الله لم يدعوه مهجوراً ولا على ينبع مقصوراً، ولغالوا فيك، ولكن نأيك يواريك وأوطانك أولى بما أودع فيك، ونأمل أن يأتينا منك كتاب يحيينا وبقدومك يهنينا، والمجلد الأول من الرسائل فرقوه في نجد وفي مكة قليل حتى أنا ما تحصلت على نسخة إلا من غير طريقة الشيخ، والنبذة التي لابن صالح أربع ورق عند المسعودي، ولم أنقل منها شيئاً وهي عند رجل في الرياض مستخف بها، ولابد إن فسح الله في الأجل ننقلها ونرسلها لك، والمجلد الثاني في متن الرسائل انتصف. ومنا السلام على الإخوان من أهل الدين، كما من عندنا العيال والإخوان طيبين وينهون السلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والرسالة امتازت ـ كما يلحظ القارئ الكريم ـ بأسلوب أدبي رفيع مع إظهار

المحبة والتودد والشفقة بين حروفها وأسطرها، وهي رد على رسالة كتبها الشيخ حمد الجاسر إلى الجد ـ رحمهما الله ـ حيث المودة قائمة وحبل النصيحة موصول والتواصل مبذول، ويظهر فيها أدب النصيحة الشرعي المعروف، من إظهار محاسن الشيخ حمد الجاسر وخشية الجد من تأثره بالخلطة حين الابتعاث وثنيه عن ذلك، واستشهد بقصة أهل الهجرة وتأثير الخلطة فيهم، وأحكام السفر والابتعاث مبثوثة في كتب العلماء قديماً وحديثاً، ثم ثنَّى بسعادة نجد وفرحتها إن أقام بها وترك الغربة والابتعاث، والتمس له أن يأتي كتاباً منه يخبرهم بالقدوم، وذكر أنه (يحيينا)! ثم استرسل في الحديث عن بعض المؤلفات وذكر له المجلد الأول من الرسائل وغيره وسعيه إن حصل له شيء أن يرسله إليه، ومن لطائف الرسالة أن الاستخفاء بالكتب وعدم إظهارها ممتد عبر العصور القديمة حتى حاضرنا، وللعلماء والأدباء مطارحات شيقة في ذلك وهم بين حامد وذام.

رحم الله الجميع، وفي القادم ـ بإذن الله ـ أورد رسالة أخرى بعث بها الجد إلى أكثر من شخصية معروفة لعل في ثناياها الفائدة.

د. عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم)[1].

(١) رسالة بعث بها إلي الشيخ عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى، وراجع أصل الكلام في "عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته" ص ٢٧٤ وما بعدها.

المبحث الثاني

مقومات دعوة الشيخ: (من خلال الجانب التراثي والجانب العلمي، والجانب الأخلاقي، وجانب الاحتساب والدعوة)

لقد كانت دعوة الشيخ - رحمه الله تعالى - تقوم على مقومات كتبت لها بعد الله عز وجل النجاح والقبول، ومن أهم تلك المقومات:

١ - **العلم**: ومن المعلوم أن للتحصيل العلمي دور مهم وأساسي في الدعوة إلى الله تعالى، وهو ركن تبنى عليه بقية الأركان، وتؤسس عليه بقية الأساسات، وبدونه لا تستطيع الدعوة أن تقوم على ساقها، ولا أن تستيقظ من سباتها..

ولذلك كان هو أول أمر أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كما قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

وبين تعالى فضل العلم والعلماء فقال جل من قائل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

وأوضح أن العالم أرفع درجة عند الله تعالى من غيره فقال عز وجل: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

ومن هنا كان اعتناء الشيخ - رحمه الله تعالى - بالعلم، وانشغاله به حتى كان لا يفتر عن الجمع والتحصيل والتأصيل، حتى وهو في مرضه الذي مات فيه - رحمه الله تعالى -.

وقد قدمت في الفصول السابقة مقدار ذلك التحصيل، سواء من ناحية تأليفه - رحمه الله تعالى - للكتب والرسائل، أو من ناحية جمعه لذلك التراث الهائل الذي لم تكن الأمة لتستغني عنه وكانت حاجتها ماسة إلى نشره لما يحويه من

العلوم النافعة المفيدة.

ولقد كان لهذا التحصيل العلمي دور أساسي في إعطاء دعوة الشيخ - رحمه الله تعالى - ذلك الأثر البالغ الذي كانت له نتائج كبيرة ليس على مستوى بلاد الحرمين الشريفين فقط؛ بل على مستوى العالم الإسلامي برمته..

ولكن العلم ليس مطلوبًا لذاته أو للتفاخر به، ولكن السعي في تحصيله من أجل عبادة الله تعال على بصيرة وعلى هدى، فلا فائدة لعلم بلا عمل..

يقول الشيخ - رحمه الله تعالى -: (فالعمل: هو ثمرة العلم، والعلم مقصود لغيره، فهو بمنزلة الشجرة والعمل بمنزلة الثمرة، فلا بد مع العلم بدين الإسلام العمل به، فإن الذي معه علم ولا يعمل به شر من الجاهل، وفي الحديث: «**أشد الناس عذاباً عالم لم ينفعه الله بعلمه**»[(١)]، وهو أحد الثلاثة الذين أخبر النبي ﷺ أنهم أول من تسعر بهم النار يوم القيامة.[(٢)] وقد قيل:

وعامل بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن)[(٣)].

٢ - الإخلاص:

إن أي دعوة لا تتصف بالإخلاص لله تعالى، لن يكتب لها النجاح والاستمرارية، فهو الأساس الذي يكسبها القبول عند الله تعالى أولًا ثم عند الناس..

والإخلاص من أهم سمات العمل الصالح كما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤].

وأمر به تعالى فقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ

---

(١) شعب الإيمان حديث رقم ١٧٧٨ - (٢/ ٢٨٤) المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٠ تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

(٢) صحيح مسلم حديث رقم ٥٠٣٢ - (٦/ ٤٧).

(٣) حاشية الأصول الثلاثة لابن قاسم - (ص ١٧).

وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

وتتضح معالم الإخلاص عند الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى - في نقطتين بارزتين:

أ - أنه كان محتسبًا في الجهد الذي يبذله في الجمع والتأليف، وذلك أكبر دليل على الإخلاص؛ إذ لولا ذلك لكان حريًّا بأن يأخذ المال الوفير على ذلك الجهد وتلك المشقة التي كان يبذلها في جمع ذلك التراث العلمي الرائع، وتأليف تلك المؤلفات العلمية النافعة..

ب - أن مؤلفاته - رحمه الله تعالى - قد انتشرت وذاع صيتها، وكتب الله تعالى لها القبول، وذلك دليل إخلاصها لله تعالى، فما كان لله بقي...

وقد ألف العلماء كتبًا كثيرة اندثرت أو فقدت أو قل من يقرؤها، أما كتب الشيخ - رحمه الله تعالى - فبعضها مقرر في المناهج الدراسية[١]، والبعض مقروء في دروس المشايخ[٢]، ولم يهمل منها شيء فيما أعلم..

وضوح الرؤية والهدف:

وهذا من السمات البارزة في دعوة الشيخ - رحمه الله تعالى -، فإن المتابع لمؤلفاته، وطريقة انتقائه للكتب التي يشرح والمواضيع التي يطرق، يدل دلالة واضحة على وضوح الهدف أمامه، ونصاعة الرؤية..

وقد كان هدفه - رحمه الله تعالى - هو تعليم طلبة العلم مسائل مهمة يمكن إجمالها من خلال استقراء كتبه فيما يلي:

أ - التفقه في الدين عامة، وعلم التوحيد خاصة، ويدل على ذلك كثرة مؤلفاته

---

(١) ككتاب حاشية الروض المربع.

(٢) كالحواشي على كتاب التوحيد والأصول الثلاثة ومقدمة في أصول التفسير وغيرها.

في علم التوحيد والعقيدة، ودقته في معالجة الأمور المتعلقة بحقوق الله تعالى، وهذا بين في جل مؤلفاته..

ب – دعوة طلبة العلم إلى عدم إهمال أي علم من العلوم الشرعية:

فكان – رحمه الله تعالى – يعرج في كل مرة على علم من العلوم الشرعية كعلوم اللغة وعلم الأصول تنبيهًا للطلاب على أهمية هذه العلوم، وضرورة الاعتناء بها..

ج – التركيز على إبراز جهود السلف:

فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، وهم الذين يعلمون الناس الخير، فتقديرهم واحترامهم وتوقيرهم كان هدفًا من أهم أهداف الشيخ – رحمه الله تعالى – في دعوته إلى الله تعالى؛ مع إشارته إلى أن بعضهم قد يخطئ في مسائل معينة، فالواجب هو رد خطئه مع بقاء فضله ومكانته، ومن ذا الذي ترضى سجاه كلها كفى المرء نبلًا أن تعد معايبه.

وربما استساغ الشيخ أقوال بعض أهل العلم وزكى أقوالهم تزكية مطلقة، كأقوال شيخ الإسلام مثلاً، فقد سئل الشيخ عبد الرحمن بن قاسم – رحمه الله تعالى – عن عدم تخريجه لأحاديث فتاوى شيخ الإسلام فأجاب بقوله: : شيخ الإسلام أعلم منا بالحديث.

وعندما سألت الشيخ عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى مجموعة أسئلة متعلقة بالشيخ – رحمه الله تعالى – وتكرم بالإجابة على كثير منها ومنه أني سألته: هل كان الشيخ – رحمه الله تعالى – يستدرك على شيخ الإسلام في أقواله إن خالفت الدليل؟

فأجابني حفظه الله تعالى: لا (ويرى أنها عسل مصفى). وقد وضع في هامش ص (٤/ ٣٣٨) عن الخضر أنه حي قال ما نصه في الهامش (لم أجد الهامش المذكور فابحث عنه في المطبوعة عندك).

وربما استدرك الشيخ على بعض أهل العلم وبين غلطه في بعض المسائل،

وسهوه عن بعض الثوابت، ولكن بأدب وعلمية منقطعة النظير..

ومن قوله رحمه الله تعالى معلقًا على قول الإمام السفاريني - رحمه الله تعالى -:

والـــضد والخـــلاف والنقـــيض والمثـــل والغيـــران مـــستفيض

وكـــل هـــذا علمـــه محقـــق فلـــم نطـــل بـــه ولم ننمـــق

(أي: وكل هذا المذكور، وأضعافه مما لم يذكره علمه مشهور محقق، فلم يطل بذكره؛ ولم ينمق، من التنميق وهو التحسين والتزيين؛ قال المصنف: إذ المقصود إنما هو ذكر أمهات مسائل العقائد السلفية.

وإدخال المصنف - عفا الله عنه - هذا ونحوه في عقائدهم، وهلة عظيمة، لم يذكره أحد من السلف، لا أحمد ولا غيره، ولا حكاه أحد المحققين في عقائدهم، وإنما هو طريقة المتكلمة، والمناطقة، الذين بنوا أصول دينهم على مقتضى عقولهم، وما خالفه من الكتاب والسنة أولوه وحرفوه.

وتقدم نقض ما بناه على أصولهم، من إنكار بعض الصفات الثابتة لله، وما أوجب اعتقاده بالعقل دون الشرع، وأهل السنة والجماعة مبنى عقائدهم على الكتاب والسنة، وهم أجل من أن يظن بهم الالتفات إلى تلك الطريقة، فضلًا عن أن يجعلوا مبنى أصول دينهم مجرد الأدلة العقلية، التي حقيقتها جهل وضلال وقدح في كمال الشرع)[1].

وذم الشيخ - رحمه الله تعالى - التقليد الذي يعني أخذ قول الغير دون معرفة دليله، أو اتباع قوله وإن عارض الدليل..

يقول - رحمه الله تعالى -: (قال ابن عباس -لما عارضوا الحديث برأي أبي بكر وعمر- «**يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء**» الحديث. فإذا كان هذا قول ابن عباس في الخليفتين الراشدين، فكيف بمن ترك قول رسول الله ﷺ لقول من

(١) حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية - ١٣٨.

هو دونهم؟ وقال الشافعي: "أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد". وما زال العلماء يجتهدون في الوقائع، لكن إذا استبان لهم الدليل أخذوا به وتركوا اجتهادهم، وفي عصر الأئمة الأربعة إنما طلب الحديث ممن هو عنده باللقاء والسماع، ويسافر الرجل في طلب الحديث إلى الأمصار عدة سنين، ثم اعتنى الأئمة بالتصانيف، ودونوا الأحاديث، ورووها بأسانيدها، وبينوا صحيحها من حسنها من ضعيفها، وناسخها ومنسوخها، والفقهاء صنفوا في كل مذهب، وذكروا حجج المجتهدين، فسهل الأمر على طالب العلم، فعليه أن ينظر في مذاهب العلماء، وما استدل به كل إمام ويأخذ من أقوالهم ما دل عليه الدليل، إذا كان له ملكة يقتدر بها، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]. وإذا لم يكن له ملكة، سأل أعلم من يجده؛ لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. وفي كلام ابن عباس ما يدل على أنه من بلغه الدليل فلم يأخذ به تقليدًا لإمامه فإنه يجب الإنكار عليه بالتغليظ؛ لمخالفة الدليل، وأجمع الأئمة على هذا، وأنه لا يسوغ التقليد إلا في مسائل الاجتهاد التي قد يخفى دليلها، فهذا هو الذي عناه العلماء بقولهم: لا إنكار في مسائل الاجتهاد، وأما من خالف الكتاب والسنة فيجب الرد عليه بالإجماع، وليس ما خالف الكتاب والسنة مذهبًا لأحد من الأئمة، وهم أجل من أن يقال ذلك في حقهم، لتصريحهم بذلك، ونهيهم عن تقليدهم إذا استبانت السنة)[1].

هذا وإن أوضح ما يلخص ذلك المنهج مجتمعًا ويبين ما كان منه مجملًا رسالة الشيخ - رحمه الله تعالى - التي بعث بها للشيخ محمد بن مانع - رحمه الله تعالى - وهذا نصها:

---

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم - ٣٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن مانع المحترم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ونحمد إليك الله على جزيل نعمه

وبعد، قد استرعاك الله على إحياء هذه الأمة المحمدية، فعليك بالاعتناء بالأساتذة الأكفاء وتفقد حالهم وحال التلاميذ فإن ذلك من أعظم أسباب التوفيق، فقد مضت سنون ولم ينتج عن التلاميذ ـ مع كثرتهم ـ مَنْ برع في العلم النافع؛ وذلك لعدم كفاءة الأساتذة ومزاحمة الفنون التي هي تعب وعنى، وعند النقد تتلاشى وتضمحل فيخسر التلميذ شبابه والعلم النافع، والرجاء من حضرة الأستاذ الجد في إعزاز ما جاء به سيد المرسلين وإعلائه ورفع مقامه وتقديمه وتقديم من قام به ورفض ما سواه، ورفض من أصيب بالانصراف عنه أو الصرف عنه، لاسيما من ابتلي بالأخلاق التي هي غير مرضية؛ كحلق اللحى، وشرب الدخان، والتهاون بالجماعات، وغير ذلك؛ فإن التلميذ ينصبغ بأخلاق أستاذه فتنطبع فيه تلك الروح، بل لا يجوز أخذ العلم عمن تلك حاله وبالأخص من تخصص في نجد بالعلم النافع، بل لا يجوز أن توجه فطرته إلى ما قد رغب فيه من لا بصيرة له، ويصد عن العلم النافع؛ علم الكتاب والسنة؛ هدي محمد ﷺ الذي هو الهدى والنور وفيه الخير بحذافيره، من أخذ به أخذ بحظ وافر ومن أعرض عنه خسر دنياه وآخرته، وهو يسير على طالبه، ومع ضعف الاعتناء به، وقلة من يهتم به، وكثرة العوامل الصارفة عنه؛ أصيب الناس بوضع فنون تزاحمه، وأساتذة يحثون الناس عليها ويوهنون أمره، فنسأل الله بأسمائه الحسنى أن يعين الأستاذ ومن له مقال في المقام على إعزاز ما جاء به سيد الأنام وتقديمه على ما سواه وجعله نصب أعينهم ودفع ما يضعفه؛ فلقد أشرعت الدول في أصله مجادفها، وأنشبت العلوم العصرية فيه أظفارها، وغلغلت أساتذتهم فيه أنيابها؛ ليقلعوه، وأحاطت به منه كل جانب الأسقام،

وبلغت منه الروح الحلقوم، وطوى غالب العرب في كثير من النواحي بساطه، وأقيمت القشور من الفنون والمجلات وغيرها مقامه وإن حضروا فللتبجح والتبرك، ولئن لم تُطيب أرضه، وينق بذره، ويُخلص من الدغل ويبالغ في سقيه؛ ليضعفن ويتلاشى من هذا الوطن فتداركوه قبل أن يجتث باب أصله كما اجتث من كثير من الأقطار وعسى أن لا تكون المصيبة به في عهدكم؛ فاهتموا به واعتدوا نياتكم في تداركه وتوطيده من صالح الأعمال، وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، ومنا السلام على الأبناء والمشايخ والإخوان ومن عندنا المشايخ والإخوان ينهون جزيل السلام وأنتم في أمان الله وحفظه والسلام. ١٠/ ٥/ ٦٩ محبكم/ عبد الرحمن بن قاسم.

وعلق الشيخ عبد الملك بن قاسم حفظه الله تعالى على هذه الرسالة تعليقًا وافيًا شافيًا حين قال: (والرسالة وصية جامعة تبين أهمية المعلم وأنه المربي والموجه للطلاب ومنه يأخذون ومن طرقه يستنون وبسيرته يقتدون. ذكرت كتب السير والتراجم أن الإمام مالك قال: قلت لأمي أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال فالبس ثياب العلم فألبستني مسمرة، ووضعت الطويلة على رأسي وعممتني فوقها، ثم قالت: اذهب فاكتب الآن، وكانت تقول: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه.

ومن تأمل واستقرأ في كتب السير يرى مكانة المعلم وانطباع أخلاقه وعاداته في نفس الطالب ناهيك عن علمه وعقيدته.

وللقارئ أن يجول في سطور الرسالة ليقرأ ما بينهما، ومن تأمل فوارق الزمن وما أحدثته يلحظ أموراً لا تخفى)[1].

(١) من رسالة بعث بها إلي الشيخ عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى.

المبحث الثالث

آثار دعوة الشيخ ابن قاسم
في حياته و بعد مماته - رحمه الله -

إن قيمة أي دعوة تبرز من خلال الآثار التي تخلفها على الأمة، وكم وكيف المستفيدين منها إذ لولا ذلك لما عرفنا الصالح من الطالح، ولما ميزنا بين الدعوات النافعة، والتجارب المنقطعة العابرة..

وإن الناظر في دعوة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى -، وما بذله من جهد في ترغيب الناس في دينهم، ودعوتهم للتمسك به ليتضح له بجلاء تلك الآثار النيرة التي أضاءت لكثير من هذه الأمة طريق الحق، وسهلت عليه سلوك سبيل النجاة..

يقول الشيخ عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى: (الآثار الواضحة الجلية هي عموم النفع بمؤلفاته ـ رحمه الله ـ فقل أن تجد كتاباً مؤلفاً أو بحثاً مقدماً أو منهجاً لطالب علم أو شرحاً لدرس إلا ويرجع إلى مؤلفاته. ومن أوضح الأمثلة على ذلك:

كتاب مجموع الفتاوى نفع الله به الإسلام والمسلمين الذي أصبح مرجعاً للعلماء وطلبة العلم، إليه يرجعون ومنه يصدرون، يقرأة العلماء في دروسهم وما أجمل ما قاله الشيخ بكر أبوزيد: "إن هذا المجموع المبارك مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية لابن قاسم هو غرة في جبين الدهر زينة لأهل الإسلام ولسان صدق للعلماء وعمدة الباحثين. نفع الله به أقواماً بعد آخرين، وقد انتشر في العالمين انتشار العافية وكتب له من القبول والانتشار ما يعز نظيره في جهود المتأخرين فالحمد لله رب العالمين".

ب-حاشية الروض المربع وهي حاشية في غاية النفاسة يستفيد منه كل طالب علم باختلاف مذهبه على اختلاف مستوى علميته، لما فيه من الفقه المقارن والمعضد بالدليل والمقرون بأقوال الأئمة كابن تيمية وابن القيم وغيرهما، ومن أثر النفع الواضح الجلي أنها مقررة على بعض مستويات طلاب كلية الشريعة بالمملكة).[١]

وعندما سألت الشيخ عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى عن أهم آثار دعوة الشيخ - رحمه الله تعالى - في حياته وبعد مماته أجابني بما نصه:

(أما في حياته ـ رحمه الله ـ وأثر دعوته فهي في أنصع صورها في المؤلفات التي طبعها في حياته "كالدرر السنية" و"مجموع الفتاوى" وكذلك "حاشية الأصول الثلاثة" وهي أول حاشية مطبوعة على الأصول الثلاثة.

وبعد مماته ـ رحمه الله ـ انتشار مؤلفاته التي طبع في حياته أو الأخرى التي لم تطبع في حياته كحاشية الروض المربع [٢] وغيرها)[٣]

وكذلك من آثار دعوته تلك الكتب التي أشرف عليها وراجعها وصححها وكتب لها مقدمة ضافية وهي مجموعة من مؤلفات التراث ومنها كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل طبع في مطبعة أم القرى بمكة عام ١٣٥٧هـ.

وكذلك "ديوان ابن مشرف" وغيرها.[٤]

ولا شك أن هناك جيلًا كاملًا تخرج على مؤلفات الشيخ - رحمه الله تعالى -، واستنار بما فيها من معارف، واستفاد مما تضمنته من علوم جمة..

---

(١) رسالة أرسلها لي الشيخ عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى..

(٢) قال لي الشيخ عبدالمحسن القاسم أن الشيخ مكث قرابة الأربعين سنة في تأليفه وهو من أنفس كتبه.

(٣) رسالة أرسلها لي الشيخ عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى.

(٤) رسالة أرسلها لي الشيخ عبد الملك القاسم حفظه الله تعالى.

وخلف ذلك الجيل أجيالًا أخرى على نفس الوتيرة..

وذلك كله يصب – إن شاء الله تعالى – في ميزان حسنات الشيخ – رحمه الله تعالى – مصداقًا لقول من لا ينطق عن الهوى ﷺ حين قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**»[1].

وإن الكتب لتعتبر من العلم الذي ينتفع به، لما يستفيدونه منه، ولما يدرس لهم من خلاله..

(١) صحيح مسلم حديث رقم ٤٣١٠- (٥/ ٧٣).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله والتوكل عليه تسهل الصعوبات، وترتقى المرتفعات، هو الذي سهل لي العسير ويسره، وزاد اليسير يسرًا وأكمله؛ فله الحمد لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، وانى لي بعد نعمه علي وشكره عليها؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾.

قال الإمام الشنقيطي - رحمه الله تعالى - معلقًا على هذه الآية: (ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن بني آدم لا يقدرون على إحصاء نعم الله لكثرتها عليهم، وأتبع ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨] فدل ذلك على تقصير بني آدم في شكر تلك النعم، وأن الله يغفر لمن تاب منهم، ويغفر لمن شاء أن يغفر له ذلك التقصير في شكر النعم، وبين هذا المفهوم المشار إليه هنا بقوله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ولا شك أن كل نعمة فهي من الله تعالى كما قال في قوله جل من قائل: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ...﴾ [النحل: ٥٣].

قال البيضاوي - رحمه الله تعالى -: (﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ أي وأي شيء اتصل بكم من نعمة فهو منا له و"ما" شرطية أو موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الإخبار دون الحصول فإن استقرار النعمة بهم يكون سببًا للإخبار بأنها من الله لا لحصولها منه)[1].

وإن من نعمه علي سبحانه وتعالى تيسيره لي إتمام هذا البحث المبارك بقدر استطاعتي، ويسر لي إنجازه على قلة بضاعتي..

وأرجو أن يكون في نصاب ما هو مرجو مني؛ فقد بذلت فيه من الجهد في

(١) تفسير البيضاوى (٣-٤/ ٤٠٣).

الجمع والبحث عن مظان المسائل ما الله به عليم..

وإن مثل هذه البحوث التي تغوص في الحياة الدعوية للمشايخ الكبار لتستخلص منها ينبوعًا فياضًا بالمواقف الدعوية، والتنظير الدعوي الذي ينير طرق الدعاة ويبعث فيهم روح الهم الدعوي في أسمى مراتبه؛ لتحتاج لدراسات وتأملات ممن هم أهل لذلك من أهل العلم والمتخصصين في الشرع حتى يعطوها حقها من البحث والتدقيق والتحقيق ويفيدوا منها طلاب العلم ويثروا بها المكتبة الإسلامية المحتاجة إليها..

وفي غياب المهتمين بها على الساحة العلمية لم يكن لي بد من الإدلاء بدلوي فيها فحاولت على قدر استطاعتي بحثها وجمع ما استطعت جمعه فيها من كتب الشيخ - رحمه الله تعالى - وحياته الميدانية..

وبعد بحثي في هذا الموضوع، وجمعي لكلام الشيخ فيه، ولملمة ما أمكن من المباحث المتعلقة به من الناحية الدعوية، وتوضيح ما كان للشيخ من جهود في المسائل المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى نظريًا وعمليًا، توصلت من خلال ذلك إلى نتائج يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

١ - أن الشيخ - رحمه الله تعالى - عاش في فترة كانت الدعوة فيها إلى الله تعالى منتعشة؛ وفطاحلة العلماء من أهل نجد وغيرها يحطون رحالهم في كل مناخ للعلوم المعرفية بشكل عام وللعلوم الدعوية بشكل خاص مما ساعد في ظهور نماذج في قمة الأسوة الدعوية، وفي ذروة سنام المجاهدة الفكرية والتنظيرية....

ولقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - مظهرًا من تلك المظاهر التي أنجبها ذلك الحراك الدعوي الذي شهدته نجد والبلاد السعودية بشكل عام، والذي سيمتد هطوله في الفترات اللاحقة إلى كافة البلاد الإسلامية؛ فتعمر هي الأخرى وتخضر وتنبت نماذج دعوية استنت بسنة هؤلاء، وسارت على نهجهم السلفي السَّني الحميد..

٢ – أن جهود الشيخ – رحمه الله تعالى – الدعوية كانت متنوعة وشملت معظم المجالات الدعوية، مستخدمًا في ذلك جل الوسائل الدعوية المتاحة..

ولقد كان – رحمه الله تعالى – بارعًا في جهده الدعوي بشكل عام وخاصة ما يتعلق منه بالجهد العلمي الدعوي..

٣ – أن الشيخ – رحمه الله تعالى – كان قمة في التركيز العلمي في جانبيه؛ ويتضح ذلك في جمعه لذلك الكم الهائل والمتميز من التراث الإسلامي؛ والذي كانت المكتبة الإسلامية محتاجة إليه أيما حاجة؛ وقد بينت مظاهر تلك الدقة، والتثبت في النقل؛ وجودة التنظيم في الفلصول السابقة..

٤ – أن الشيخ – رحمه الله تعالى – كان له جهد لا يستهان به في التأليف والتحقيق، وقد اشتملت تآليفه وتحقيقاته على فوائد يستفيد منها طلاب العلم عامة، والدعاة خاصة في مسيرتهم الدعوية.

٥ – أن الشيخ – رحمه الله تعالى – كان داعية في أسلوب حياته العادية؛ ويتمثل الأسوة الحسنة، والقدوة الصالحة في سمته وخلقه وحياته بشكل عام..

٦ – أنه – رحمه الله تعالى – كان يربي أبناءه على الدعوة إلى الله تعالى، ويعودهم على الإمامة، والالتزام بالآداب الإسلامية، ويحثهم على طلب العلم والاشتغال به..

٧ – أنه عليه رحمة الله تعالى كان مهاب[1] فلا تكاد تنظر إليه إلا أجللته حتى كان بعض طلبة العلم يهاب سؤاله عن بعض المسائل العلمية من شدة مهابته وقوته في الحق وكان – رحمه الله – لطيفاً كثير المداعبة وكان يأكل مع العمال وكان لا يلقى في الغالب طفلاً إلا وأعطاه من الحلوى – رحمه الله – رحمةً واسعة..

---

(١) لا تعارض بين أن يكون الإنسان محبوبا لطيفاً وهو في نفس الوقت له هيب فيجله الحاكم والمحكوم كما قيل من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء.

٨ – أنه – رحمه الله تعالى – كان زاهدًا في الدنيا؛ وكان محتسبًا في جل أعماله التي كان يمارسها خدمة للعلم، والدعوة إلى الله تعالى، وقد بينت مظاهر ذلك الاحتساب وأدلته في محلها.

٩ – أنه – رحمه الله تعالى – كان لا يثنيه شيء مهما جل عن العلم؛ وكان يعيش حياته من أجله؛ حتى وهو على أسرة المستشفيات؛ وفي مراكب السفر؛ بل حتى وهو في مرض الموت..

١٠ – أن أسلوبه الدعوي في كتبه ومقالاته كان متميزًا من حيث سلاسة اللفظ مع جزالته ووضوح أهدافه، وصراحته في الحق؛ مع الاعتدال في الطرح والأسلوب والمعالجة، دون تنطع أو ميوعة في الثوابت والأساسيات..

١١ – أنه – رحمه الله تعالى – كان يوقر العلماء ويثني عليهم خيراً، ويناصحهم بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة؛ وكان يستوي عنده وقت المناصحة كل العلماء أشياخًا له كانوا أم أقرانًا أم تلامذة له..

وقد اكتشفت من خلال بحثي عن جهود الشيخ – رحمه الله تعالى – الدعوية أن ما خلف الشيخ عليه رحمة الله تعالى من علوم تحتاج إلى بحوث أخرى في كل الميادين؛ فله جهود في تقرير عقيدة السلف[1]، وله جهود في الفقه وأصوله، وله أعمال في الإعلام والصحافة وغيرها..

التوصيات:

بعد أن بحثت في تراث الشيخ عبد الرحمن القاسم – رحمه الله تعالى – واطلعت على جهوده في الدعوة إلى الله تعالى؛ فإن أهم التوصيات يمكن أن ألخصها فيما:

---

(١) سبق الإشارة عن رسالة جامعية لم تناقش بعد في جامعة أم القرى بعنوان جهود الشيخ عبدالرحمن بن قاسم في تقرير عقيدة السلف.

١ – بوصفي أول من بحث تراث الشيخ – رحمه الله تعالى – على شكل رسالة علمية؛ فإني تلقيت كثيرًا من الصعوبات في استخراج المواضيع المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى من كتبه؛ لذلك فإني أوصي الباحثين بدراسة كتبه واستخلاص المواضيع من جهوده في شتى علوم الشريعة.

٢ – للشيخ جهود كبيرة في تقرير عقيدة السلف؛ فلعل الباحثين في كلية العقيدة أن يهتموا بها.

٣ – له – رحمه الله تعالى – جهود كبيرة كذلك في الفقه وأصوله والفرائض.

٤ – له جهود في النحو والصرف.

٥ – له جهود كذلك في الحاكمية والعلاقة مع الحكام من منظور شرعي؛ فما أحوج طلاب العلم إلى تلك الجهود في أيامنا هذه.

والله تعالى أعلم.

هذا ما حاولت إيضاحه من نتائج لهذا البحث؛ وكذلك التوصيات؛ فأسأل الله تعالى أن ينفع به كاتبه وقارئه، وكل المسلمين، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

والله تعالى أعلم وأحكم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١. ابن تيمية الحسبة في الإسلام (ضمن مجموعة الرسائل)، القاهرة، المطبعة الحسينية ١٣٢٣
٢. الإحكام لابن حزم المؤلف: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد الناشر: دار الحديث – القاهرة الطبعة الأولى، ١٤٠٤
٣. إحياء علوم الدين محمد بن محمد الغزالي أبو حامد الناشر دار المعرفة بيروت
٤. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور الناشر: دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م
٥. الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير المؤلف: الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة ـ رحمه الله ـ الناشر: مكتبة السنة الطبعة الرابعة
٦. الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب البلاغية، أحمد الشايب، بدون ذكر الطبعة (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦ م)
٧. الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، خالد بن عبدالكريم الخياط، الطبعة الأولى جدة: دار المجتمع، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م
٨. الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٢ تحقيق: علي محمد البجاوي.

٩. أصول الدعوة، الدكتور عبد الكريم زيدان الطبعة الثالثة، بغداد ١ رمضان ١٣٩٥هـ ٠٦/ ٠٩/ ١٩٧٥م
١٠. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان الطبعة: ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م
١١. أعذار المتقاعسين لمؤلف د. يحي بن إبراهيم اليحي
١٢. إعلام الموقعين عن رب العالمين تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٧٥١هـ دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م
١٣. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب والمستغربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط السادسة ١٩٨٤م.
١٤. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر: مطبعة السنة المحمدية – القاهرة الطبعة الثانية، ١٣٦٩ تحقيق: محمد حامد الفقي
١٥. إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة. د. إبراهيم الفوزان، مطابع الفرزدق التجارية ١٤٠١ هـ
١٦. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المؤلف: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الطبعة: الأولى الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية تاريخ النشر: ١٤١٨هـ

١٧. البحر المحيط في أصول الفقه المؤلف: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد محمد تامر الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

١٨. تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية

١٩. تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، مادة (دع ى)، ٦/ ٢٣٣٦-٢٣٣٧، الطبعة الثانية (بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)

٢٠. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

٢١. التدرج في دعوة النبي، لإبراهيم بن عبد الله المطلق الطبعة: الأولى الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - مركز البحوث والدراسات الإسلامية تاريخ النشر: ١٤١٧هـ

٢٢. تذكرة أولي النهى والعرفان لأيام الله الواحد الديان / إبراهيم بن عبيد آل محسن مكتبة الرشد.

٢٣. تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك المؤلف / أبو الحسن علي بن محمد الماوردي دار النشر / دار النهضة العربية - بيروت – ١٩٨١ تحقيق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي

٢٤. التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الجرجاني الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥ تحقيق: إبراهيم الأبياري
٢٥. تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م الطبعة: الأولى
٢٦. تفسير السراج المنير ـ موافق للمطبوع المؤلف: محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين دار النشر / دار الكتب العلمية ـ بيروت
٢٧. تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمود حسن الناشر: دار الفكر الطبعة: الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م
٢٨. تفسير الماوردى، النكت والعيون المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان
٢٩. تهذيب اللغة المؤلف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م الطبعة: الأولى تحقيق: محمد عوض مرعب
٣٠. توجيهات إسلامية للإصلاح الفرد والمجتمع المؤلف: محمد بن جميل زينو الطبعة: الأولى الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية تاريخ النشر: ١٤١٨هـ
٣١. التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين تأليف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب دراسة وتحقيق: بشير محمد عيون الناشر: مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية

السعودية/ مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م

٣٢. التيسير بشرح الجامع الصغير المؤلف / الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي دار النشر / مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
الطبعة: الثالثة

٣٣. جامع بيان العلم وفضله يوسف بن عبد البر النمري الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ١٣٩٨ مكان النشر بيروت

٣٤. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

٣٥. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع المؤلف: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، ١٤٠٣ تحقيق: د. محمود الطحان

٣٦. حاشية الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي ١٣٩٢هـ الناشر: دار الزاحم الطبعة: الثانية ١٤٢٣ه--٢٠٠٢م

٣٧. حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية تأليف: العالم الأوحد الشيخ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني النابلسي الحنبلي - رحمه الله تعالى - ١١١٤ - ١١٨٨ هـ

٣٨. حاشية كتاب التوحيد تأليف: الشيخ/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ

٣٩. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة: الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

٤٠. الحطة فى ذكر الصحاح الستة المؤلف / بو الطيب السيد صديق حسن القنوجي، عدد الأجزاء / ١ دار النشر / دار الكتب التعليمية – بيروت - ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م الطبعة: الأولى

٤١. حقيقة الالتزام للشيخ عبد الله بن جبرين - رحمه الله تعالى - قام بتنسيقه سلمان بن عبد القادر أبو زيد.

٤٢. الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى المؤلف: سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الطبعة: الأولى الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية تاريخ النشر: ١٤٢٣هـ

٤٣. الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى سعيد بن علي بن وهف القحطاني الطبعة: الأولى الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية تاريخ النشر: ١٤٢٣هـ

٤٤. حمد بن علي بن عتيق وجهوده في الدعوة والاحتساب" رسالة من جامعة الإمام كلية الدعوة والإعلام إعداد الطالب سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى العام الدراسي ١٤٢١هـ

٤٥. الدرر السنية في الأجوبة النجدية المؤلف: علماء نجد الأعلام المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م

٤٦. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني تحقيق / محمد عبد المعيد ضان الناشر مجلس دائرة المعارف العثمانية سنة النشر ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م مكان النشر حيدر اباد/ الهند

٤٧. دروس للشيخ سعيد بن مسفر المؤلف: سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية الكتاب مرقم آليًّا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ١١٨ درسا

٤٨. دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون المؤلف: القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م الطبعة: الأولى

٤٩. دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي المؤلف: محمد بن عبد الله بن سليمان السلمان الطبعة: الأولى الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية تاريخ النشر: ١٤٢٢هـ

٥٠. الرد على البكري - المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة الطبعة الأولى، ١٤١٧ تحقيق: محمد علي عجال

٥١. رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب لمؤلف: تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، دار النشر: عالم الكتب - لبنان / بيروت - ١٩٩٩ م - ١٤١٩ هـ الطبعة: الأولى عدد الأجزاء / ٤ تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود.

٥٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: محمود الألوسي أبو الفضل الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت عدد الأجزاء: ٣٠
٥٣. سنن ابن ماجه المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني الناشر: دار الفكر – بيروت تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي
٥٤. سنن أبي داود المؤلف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي الناشر: دار الفكر تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد
٥٥. سنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون
٥٦. سنن الدارقطني المؤلف: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦ – ١٩٦٦ تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني
٥٧. سنن الدارمي المؤلف: عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٧ تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي
٥٨. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة المؤلف: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، الناشر: دار طيبة - الرياض، ١٤٠٢ تحقيق: د. أحمد سعد حمدان
٥٩. شرح العقيدة الواسطية، د. صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة السابعة (الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ م

٦٠. شرح كتاب اعتقاد أهل السنة لعبد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامي رقم الجزء هو رقم الدرس ومجموعه ١٧ درسًا.
٦١. شرح نهج البلاغة المؤلف: أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م الطبعة: الأولى تحقيق: محمد عبد الكريم النمري
٦٢. شعب الإيمان المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٠ تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
٦٣. صبح الأعشى المؤلف: أحمد بن علي القلقشندي الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة الأولى، ١٩٨٧ تحقيق: د.يوسف علي طويل
٦٤. الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية. المؤلف: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ). الناشر: دار العلم للملايين- بيروت. الطبعة: الرابعة- يناير ١٩٩٠.
٦٥. صحيح البخاري المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة
الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ
٦٦. صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط الثالثة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٦٧. صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت ط الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
٦٨. صحيح مسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي
٦٩. صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: محمد عوض دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٧٠. العالم العابد الشيخ محمد بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته، إعداد عبد الملك بن القاسم، دار القاسم الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
٧١. عبد الرحمن بن قاسم حياته وسيرته ومؤلفاته، إعداد عبد الملك القاسم، دار القاسم الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ.
٧٢. العقوبات الإلهية للأفراد والجماعات والأمم، أبوبكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم ط الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م
٧٣. عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، د.محمد أحمد ملكاوي، الطبعة الثانية (الرياض: دار ابن تيمية للنشر والتوزيع والإعلام، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م).
٧٤. العلاقة بين الفقه والدعوة. مفيد خالد عيد أحمد عيد ص ٨ مكتبة دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع الكويت الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م.
٧٥. علماء نجد خلال ثمانية قرون. ٢٠٢ الطبعة الثانية ١٤١٩ دار العاصمة.
٧٦. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء المؤلف: أحمد بن عبد

وتحقيق، محمد بن عبدالرحمن بن قاسم الطبعة الأولى مطبعة الحكومة بمكة المكرمة،١٣٩٩ هـ

٧٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

٧٨. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت الطبعة الثانية، ١٩٧٧

٧٩. فضل إلهي، الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم، الطبعة الأولى، باكستان، إدارة ترجمان الإسلام، ١٤١٠ هـ الطبعة الأولى، باكستان

٨٠. فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، المؤلف: سعيد بن علي بن وهب القحطاني الطبعة: الأولى الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد تاريخ النشر: ١٤٢١هـ

٨١. لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة الأولى

٨٢. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

٨٣. المجتبى من السنن المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦ تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة

٨٤. مجلة التأصيل العدد الأول.
٨٥. مجلة الجامعة الإسلامية عدد ١٠٨
٨٦. مجلة الدعوة العدد ١٨٤٦
٨٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢ هـ الموافق ١٩٩٢ ميلادي
٨٨. مجموع الفتاوى المؤلف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني.المحقق: أنور الباز - عامر الجزار الناشر: دار الوفاء الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م
٨٩. المدخل إلى السنن الكبرى أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر، تحقيق د. محمد ضياء االرحمن الأعظمي الناشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي سنة النشر ١٤٠٤ مكان النشر الكويت.
٩٠. المستدرك على الصحيحين المؤلف: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا
٩١. المستصفى في علم الأصول المؤلف: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٣ تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي.
٩٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أحمد بن حنبل المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م

٩٣. المطلع على أبواب الفقه المؤلف: محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي أبو عبد الله، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠١ - ١٩٨١ تحقيق: محمد بشير الأدلبي.
٩٤. معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة المؤلف: محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٢٧ هـ
٩٥. المعجم الجامع لتراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين. [الكتاب عبارة عن كتاب إلكتروني تم إدخاله إلى الموسوعة الشاملة و لا يوجد مطبوعاً] أعده للموسوعة خالد الكحل.
٩٦. المعجم الفلسفي ج ٢ ص ١٧ د.جميل صليبا ١٩٧٩ م دار الكتاب اللبناني.
٩٧. المعجم الكبير المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني الناشر: مكتبة العلوم والحكم – الموصل الطبعة الثانية، ١٤٠٤ – ١٩٨٣ تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي
٩٨. المعجم الكبير المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني الناشر: مكتبة العلوم والحكم – الموصل الطبعة الثانية، ١٤٠٤ -١٩٨٣
٩٩. المعجم الوسيط ـ موافق للمطبوع المؤلف: إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار دار النشر: دار الدعوة تحقيق: مجمع اللغة العربية.
١٠٠. مفاتيح الغيب ـ المؤلف: الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م الطبعة: الأولى

١٠١. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
١٠٢. مقامات الحريري، تأليف: أبومحمد القاسم الحريري، دار الكتب العلمية، (د.ت)
١٠٣. مقاييس الغة المؤلف: أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا المحقق: عبد السَّلام محمد هَارُون، الناشر: اتحاد الكتاب العرب الطبعة: ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢م.
١٠٤. الملك عبد العزيز آل سعود أمة في رجل عبد الله بن عبد المحسن التركي. الطبعة: الأولى الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية تاريخ النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
١٠٥. منهاج السنة النبوية المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر: مؤسسة قرطبة الطبعة الأولى، ١٤٠٦ تحقيق: د. محمد رشاد سالم
١٠٦. منهج الإمام عبد العزيز بن باز في الدعوة إلى الله تعالى إعداد محمد بن خالد البداح رسالة دكتوراه في الدعوة.
١٠٧. منهج الشيخ ابن عثيمين في الدعوة إلى الله رسالة دكتوراه أعدها الأخ عبد العزيز بن عبد الرحمن الروضان.
١٠٨. الموافقات تأليف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي دراسة وتحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

١٠٩. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، المؤلف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة: الرابعة
١١٠. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي " ص ٢٥٣ - دار الكلمة - المنصورة - مصر ط ١ / ١٩٩٧، ١٤١٨ هـ
١١١. النهاية في غريب الحديث والأثر المؤلف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري
الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي
١١٢. الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) المؤلف: عبد الله بن عبد الحميد الأثري مراجعة وتقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. الطبعة الأولى الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية تاريخ النشر: ١٤٢٢هـ

فهرس الموضوعات

مقدمـــة.....٥
أهميـة الموضـوع.....٩
أسباب اختيار الموضوع.....١٠
أهداف الدراسـة.....١٢
تساؤلات الدراسة.....١٢
حـدود البحـث.....١٣
الدراسات الـسابقة.....١٣
شكر وتقدير.....١٤

التمهيد

ترجمة الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله

المبحث الأول: عصر الـشيخ.....١٧
المطلب الأول: الحالة الـسياسية.....١٩
المطلب الثاني: الحالـة الدينيـة.....٢٤
المطلب الثالث: الحالة العلمية والدعويـة.....٢٩
المبحث الثاني: حياة الشيخ ابن قاسم - رحمـه الله -.....٣٢
المطلب الأول: اسمه وكنيتـه ونـسبه.....٣٢
المطلب الثاني: مولده ونشأته ووفاتـه.....٣٣
المطلب الثالث: تلقيه العلم ورحلاتـه.....٥٠
المطلب الرابـع: شـيوخه وتلاميـذه.....٥٤
المطلب الخامس: مكانته العلمية وثناء العلمـاء عليـه.....٥٩
المطلب السادس: مؤلفاتـه.....٦١

الفصل الأول

جهود الشيخ ابن قاسم رحمه الله تعالى

في بيان مفهوم الدعوة وحكمها ومصادرها ومقاصدها ومجالاتها

المبحث الأول: مفهوم الدعوة وحكمها وجهود الشيخ في بيانها.....٦٩
المطلب الأول: مفهوم الدعوة وجهود الشيخ في بيانه.....٦٩
المطلب الثاني: حكم القيام بالدعوة وجهود الشيخ في بيانه.....٧٩
المبحث الثاني: جهود الشيخ في بيان مصادر الدعوة ومقاصدها.....٩١
المطلب الأول: مصادر الدعوة، وجهود الشيخ في بيانها.....٩١
المطلب الثاني: مقاصد الدعوة، وجهود الشيخ في بيانها.....١٠٣
المبحث الثالث: جهوده في مجالات الدعوة (في العقيدة، والشريعة، والأخلاق).....١١١
المطلب الأول: نظرة حول مجالات الدعوة.....١١١
المطلب الثاني: جهود الشيخ في مجالات الدعوة.....١١٣

الفصل الثاني

جهود الشيخ ابن قاسم رحمه الله في العلم وأثره في تأصيل الدعوة

المبحث الأول: (العلم) تعريفه، اعتباره من صفات الدعاة، وباعتباره من وسائل الدعوة، على ضوء كتابات الشيخ - رحمه الله -.....١٣٠
المبحث الثاني: جهود الشيخ في خدمة العلم وأثر ذلك في تأصيل الدعوة..١٤١
المبحث الثالث: جهود الشيخ ومنهجه في جمع فتاوى شيخ الإسلام وترتيبها، وموقع ذلك في تأصيل الدعوة ومنهجها.....١٥٠
المبحث الرابع: جهود الشيخ ومنهجه في التأليف والتحقيق وأثر ذلك في تأصيل قضايا الدعوة.....١٦٣

الفصل الثالث

جهود الشيخ ابن قاسم رحمه الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتأصيل مسائله

المبحث الأول: جهود الشيخ في تحقيق وتأصيل مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....١٨٦
المبحث الثاني: جهود الشيخ في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.٢٠٩
المبحث الثالث: الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في عصر الشيخ ابن قاسم - رحمه الله تعالى -.....٢٢١

الفصل الرابع

منهج وجهود الشيخ ابن قاسم رحمه الله تعالى في أساليب ووسائل الدعوة

المبحث الأول: التأصيل في منهج الشيخ رحمه الله تعالى وأهم ركائزه.٢٣٣
المبحث الثاني: منهج الشيخ و آراؤه في أساليب الدعوة.....٢٥٤
المبحث الثالث: منهج الشيخ وآراؤه في وسائل الدعوة.....٢٦٧
المبحث الرابع: الحياة الميدانية في دعوة الشيخ - رحمه الله - من خلال (إمامة المساجد، جباية الزكاة، الإشراف على طبع الكتب، تحقيق التراث).....٢٧٧

الفصل الخامس

خصائص ومقومات جهود الشيخ ابن قاسم رحمه الله في الدعوة إلى الله

المبحث الأول: خصائص دعوة الشيخ: (العلمية، العقدية، المنهجية)...٢٨٢
المبحث الثاني: مقومات دعوة الشيخ: (من خلال الجانب التراثي، والجانب العلمي، والجانب الأخلاقي، وجانب الاحتساب والدعوة).....٣٠٣
المبحث الثالث: آثار دعوة الشيخ ابن قاسم في حياته وبعد مماته.....٣١١
الخاتمة.....٣١٤
فهرس المصادر والمراجع.....٣١٩
فهرس الموضوعات.....٣٣٤